التشيع الإمامي الفاطمي

إشعاع حي وحضاري

مئتان وعشر سنوات
من الإبداع الإنساني

تأليف: الدكتور حسن محمد صالح
أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

١

المرتكزات الدينية والتاريخية

دار المحجة البيضاء

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

التشيع المصري الفاطمي

إشعاع حي وحضاري

بسم الله الرحمن الرحيم

التشيع المصري الفاطمي

إشعاع حي وحضاري

مئتان وعشر سنوات
من الإبداع الإنساني

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

تأليف : الدكتور حسن محمد صالح
أستاذ محاضر في الجامعة اللبنانية

٥

الكتابة النثرية والخصائص الفنية للأدب
المصري الشيعي الفاطمي

دار الحجة البيضاء

شماره ثبت: ۰۲۰۶۷۶
تاریخ ثبت :

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

دار المحجة البيضاء
للطباعة والنشر والتوزيع
بيروت - لبنان

الرويس - خلف محفوظ ستورز - بناية رمال

ص.ب: ١٤/٥٤٧٩ - هاتف: ٠٣/٢٨٧١٧٩ - ٠١/٥٤١٢١١ - تلفاكس: ٠١/٥٥٢٨٤٧

E-mail:almahajja@terra.net.lb
www.daralmahaja.com
info@daralmahaja.com

الكتاب الخامس

الكتابة النثرية والخصائص الفنية للأدب المصري الشيعي الفاطمي

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الباب الأول: الكتابة النثرية

- الخطابة
- السجلّات والمراسيم الرسمية
- الكتابة الفلسفية
- الترجمة الشخصية
- الكتابة عن نمط العيش ـ الحضارة ـ
- فن المقامة المصرية
- النثر الهزلي

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الكتابة النثرية في أدب مصر الفاطمية

منذ العصر الجاهلي، وما أن بدأ الرواة العرب كالأصمعي والمفضّل الضبي وحماد الراوية يجمعون إبداعات الجاهليّين شعراً، كذلك أعطوا الكتابة النثرية حقّها من الاهتمام والتقميش والجمع، فنقلوا لنا خطب قس بن ساعدة وأكثم بن صيفي وقيس بن مسعود وعمرو بن معد يكرب من شعراء الجاهلية وخطبائها، كما نقلوا لنا بعضاً من المناقرات التي كانت تجري بينهم، وكلّها بلاغة وروعة في الإيجاز والتعبير، كقول علقمة العامري لعامر بن الطفيل حين تنازعا على زعامة القبيلة: أنا خير منك أثراً وأحدّ بصراً، وأعزّ منك نفراً، وأشرف منك ذكراً، فردّ عليه عامر بن الطفيل بقوله: «إنّي أسمى منك سمة وأطول قمّة وأحسن منك لمة وأجعد منك جمّة وأسرع منك رحمة وأبعد منك همّة»(١).

وعندما جاء العصر الإسلامي الأول أخذ النثر يحلّ مكان الشعر في مواقف كثيرة، بسبب التعقيدات الفكرية والعقائدية والفلسفية التي

---

(١) الخطب والمواعظ، محمد عبد الغني حسن، ط ٢، القاهرة، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٨، ص ٥٦.

طرحها الإسلام في سوق البلاغة وفنّ القول، مما جعل الشعر عاجزاً عن الغوص في معميّات هذه العقائد والفلسفات، وأصبحت الخطابة النثرية أقوى وأطوع وأسلس على ألسنة الخطباء، علماً أن الخطيب كان يضمّن خطبته أشعاراً له أو لغيره لدعم وجهة نظره وفكره.

وبعد العصور الأموية والعباسية الأولى، ظهر علم الكلام والترجمة والتاريخ والسير وفنّ المقامات والحكم والأمثال والمواعظ والكتابة الديوانية وفن الرسائل أو الترسّل. وأصبحت أهمية الكتابة النثرية تضاهي بل تتجاوز الكتابة الشعرية، حيث أصبحت جزءاً لا يتجزّأ من حياة الدولة في الحسابات والبيانات والمنشورات والمراسيم الصادرة عن قصور الخلافة والسلاطين، إضافة إلى خطب صلوات الجمع وخطب الأعياد. وكلها نثراً، وأصبح الشعر من مظاهر الترف والدعة، تستطيع الدولة به وبدونه أن تسيّر أمورها.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الخطابة:

كانت الخطابة من أهم أساليب الدعاية الشيعية المصرية، ومن أمضاها تقطيعاً في إدعاءات خلفاء بني العباس في بغداد وبني أمية في الأندلس. فقد كان يقف الخليفة المصري أو قاضي القضاة أو داعي الدعاة في المسجد الجامع يلقى خطبة الجمعة أو خطبة العيد، فيجذب أسماع وعقول وأنظار المصلّين، وكيف لا وقد كان يتمتّع بخصال لا يملكها غيره من الخطباء المعاصرين: إنه من العترة النبوية الطاهرة، ويملك من الفصاحة ومعرفة أسرار الآيات والأحاديث القدسية ما لا يعرفه غيره، أضف إلى ذلك فهو شاعر ابن شاعر.

وقف الخليفة الفاطمي الثاني المنصور بالله يخطب في المصلّين، في عيد النحر فقال:[1]

«الحمد لله المبدىء المعيد، الكريم المجيد، الفعّال لما يريد، خالق الخلق، وباسط الرزق، منزل القطر، ومدبّر الامر.

«وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحدَه لا شريك له. وأشهد أنّ محمّداً عبدُه ورسوله المرتضى، وأمينُه على ما أوحى، المنقذ من الضلال والـــــــردى، ﷺ، وعلى آل بيته الكرام المهتديّين، الأئمّة الراشدين الطاهرين، وعلى عليّ أمير المؤمنين وفاطمة الزهراء سيّدة نساء العالمين، وعلى الحسن والحسين سيّدي شباب أهل الجنّة، حبال الدين وسادات العالمين، وعلى الإمام المرتضى، والوليّ المصطفى، عبد الله أبي محمد الإمام المهدي بالله أمير المؤمنين، ووارث فضل الأئمّة المهديّين من آبائه الخلفاء الراشدين، وصفو الصفوة من الأوّلين والآخرين، الذي قامت به دولة المؤمنين، وبسيفه ذلّت رقاب المنافقين، فأعاد الإسلامَ غضّاً ناضراً، والدينَ مُشرقاً زاهراً، والحقَّ مضيئاً باهراً، فأحيى الله به من الدين ما اندرس، ومن الحقّ ما التبس، وجمع له شرف الدنيا وفخرَها، وفضلَ الآخرة وذخرها، صلوات الله عليه ورضوانُه، ورحمتُه وحنانُه.

«وصلّى الله على وليّ عهده، ووارث مجده، وخليفته من بعده، المتقلّد الإمامة، المتوّج بالكرامة، عبد الله أبي القاسم الإمام القائم بأمر الله أمير المؤمنين، سليل النبيّين، وبقيّة الأئمّة المهديّين، صلاة

---

(١) كتاب المقفّى الكبير، م.س، ص ١٦٠.

يزيده بها كرامة وعَلاءً، وشرفاً وسناءً، ساميةَ القدر، عاليةَ الفخر، باقيةَ الدهر.

«اللهمَّ، وكما قلَّدتني خلافتك التي كرَّمتَها وشرَّفتها، ولعنتَ مدّعِيهَا، وأخزيتَ مناوئَها، واخترت [لها] الواحدَ بعد الواحد من آبائي الكرام المصطفين، الخلفاء الراشدين، ثمَّ ألبَستَني ثوبَ مجدهم، وتوَّجْتَنِي تاجَ عِزّهم، وطوَّقتنِي إمامَتَهُم، وقلَّدتنِي خلافتَهم، وأورَثْتَنِي مقامهم، وأحييتَ بي ذكرهُم، وتمَّمْت بي أمرهم، ونصبتَنِي لما نصبتَهم من الاحتجاج على خلقك، والقيام بحقِّك، ونَصر دينك، وإعزاز ملَّة رسولك، ثمَّ أيّدتَنِي ونصرتنِي وأظهرتني، وأعززتَ بي الأمَّة بعد الذلَّة، وكثَّرتَهم بعد القلَّة، وجمعتَهم، بعد الفرقة، وكشفتَ عنهم مدلهمّ الفتنة، ودياجي المحنة، فأصبح الحقّ مشرقاً، والباطل زاهقاً، فضلاً منك عليّ، ونعمة جدَّدتها لديّ، اللهمَّ، فألهمني شكرَ نعمتِكَ، ووفِّقني للعمل بما يرضيك، ويزلفني لديك، ويقرِّبني إليكَ، فإنَّه لا حول ولا قوَّة إلاّ بك، عليك توكَّلت وإليك أنيب.»

وإذا أمعنّا النظر في خطبة الخليفة المنصور نجد أنّها لا تخرج عن أركان الإسلام الأصيل، وعن أدبيات الإسلام الشيعي الجعفري، إسلام أهل بيت النبي وعترته.

الكتابة النثرية في المحاضرات:

نحن نعلم أنّ أغلب المحاضرات التي كان يلقيها الدعاة المصريون في الجامع الأزهر وجامع الحاكم وبقية جوامع القاهرة ومصر هي محاضرات فلسفية، هدفها شرح ما استغلق من الفكر الإسلامي الشيعي

أو شرح الآيات القرآنية والأحكام الشرعية، لذا كانت هذه المحاضرات تنطلق من الصعب المبهم إلى السهل المبسط، ومن التأويل الباطن إلى التفسير الظاهر. وقد كانت وجهات نظر المحاضرين مدعّمة بآيات قرآنية وأحاديث نبوية وأحاديث عن الأئمة خاصة، الإمام علي، والإمام السجّاد والإمام جعفر الصادق، ـ عليهم السلام أجمعين ـ وقد أطلق المؤرّخون تسمية «مجلس» على المحاضرة، والمجالس المؤيدية، هي المحاضرات التي كان يلقيها المؤيّد في الدين، داعي الدعاة، هبة الله بن موسى الشيرازي، والمجالس المستنصرية هي محاضرات كان يلقيها أحد الدعاة باسم الخليفة المستنصر.

ولا يبدو أنّ الخليفة المستنصر كان يكتب هذه المحاضرات ولكنّه، كان يطلع عليها ويبدي ملاحظاته ويحذف منها ما يحذف ويزيد ما يريد، ثم ترسل إلى الجامع فتلقى على المريدين والمحازبين والأنصار وطلبة العلم.

المحاضرة السابعة والثلاثون للمؤيّد في الدين: عليّ (ع) مسيح هذه الأمة[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم والحمد لله مبدع ما تحرك وسكن، ومبدىء ما ظهر وما بطن، الذي إذا الوهم فيه أمعن، وبلغ آخر ما استطاع وأمكن، ردّه العجز إلى أول مراحله أسيراً، وتعالى الله عنه عُلُواً كبيراً.

---

(١) المجالس المؤيدّية، المائة الأولى. م.س. ص ١٨٠.

أحمده حمد من انخفض فارتفع، ولو طار لوقع، وعجز فأدرك، ولو تحرّك لأشرك، وأحجم فملك ولو أقدم لهلك، لأنه الله تعالى الذي لا يدركه من لا تدركه الأبصار، [ولا يحصره من لا تحصره] الأفكار، فسبحان الذي دون تناوله للأفكار إستار، ولإقدام الأوهام زلل وعثار، وصلّى الله على المصطفى مُحَمَّدٍ خير من قام بدينه كافلاً، ولأعباء ملكوته حاملاً، ليحق حقاً ويبطل باطلاً، وعلى وصيّه الذي كان بمنزلة هارون من موسى نازلاً، علي بن أبي طالب (ع) خير من مشى بين السماطين للأقران منازلاً، [وسلم عليه] وعلى الأئمّة الطاهرين من ذريّته سلاماً تاماً كاملاً.

معشر المؤمنين: جعلكم الله ممن شرح صدره للإيمان، ونور قلبه بنور البيان، انتبهوا لمعرفة نفوسكم التي أجسامكم عليها غواش، وجوارحكم لها خدم وحواش، وتميّزوا بعرفانها عن تماثيل ممثّلة في حيطانها، وابحثوا عن كمية مزاوجتها بلطافتها لهذه الهياكل مع كثافتها، وعن المنبع الذي منه تنبع، والمرجع الذي نحوه ترجع، واسعوا في حسن استدراجها، وتحرّزوا من دواعي اعوجاجها، واعلموا أنّ العكوف على تربية الأجسام، هو العكوف على عبادة الأصنام، ولا يصدنكم الميت عن الحي من بعد ما تبين لكم الرشد من الغي، كفيتم الأجسام عوادي بردها وحرها، وأزحتم عللها في حلوها ومرها، أليس مفضاها إلى البوار؟ أليست من المنايا على شفا جرف هار؟ فليت شعري لم الهاكم البيت عن رب البيت، فما وجه اشتغالكم عن الحي بالميت؟ فانظروا رحمكم الله لما يبقى، من جيف في التراب تلقى، وتجردوا لما يؤذن بحميد الرجعة، يوم تجزى كل

نفس بما تسعى، وعليكم بالصلاة والزكاة وبرّ الوالدين، تفوزوا بذلك في المعاد، وتلتقوا بصالحي العباد.

وكان قرىء عليكم من معنى قول أمير المؤمنين (ع) وغلو من غلا فيه وقولهم ما قال النصارى في المسيح ما سمعتموه، وأورد عليكم في حل مشكل الخبر المأثور عنه ما عرفتموه، وأولياء الله الظاهرون مُتَنَزِّهُون عن أفك الغالين فيهم والمتجاوزين بهم لحدهم، بريئون إلى الله سبحانه من شر ما يأفكون، وأنهم لفي سبل طاعته وعبوديته سالكون، ولما كان علي (ع) مسيح هذه الأمة بما شبهه النبي (ص) به اعترضت فيه عوارض هذه الشبهة فقد قيل في المسيح إنما سمي مسيحاً لكونه ممسوحاً بكلمة الله، وقيل كان ممسوحاً بماء نهر الأردن، وقيل كان ممسوحاً بالدهن، وعلى هذه النسبة فقد كان علي (ع) مسيحاً لكونه ممسوحاً بكلمة الله، ما مسه دنس الجاهلية، آمن برسول الله وهو طفل، وكان يصلّي بصلاته، ويتنسّك بنسكه، وكما أنّ المسيح أوتي الكلمة التي هي آية النبوة طفلاً، فكذلك أوتي هذه الكلمة التي هي آية الوصاية طفلاً، وكما أنّ المسيح قال للدنيا طلقتك ثلاثاً، [وكذلك (ع) قال للدنيا] طلقتك ثلاثاً، وقال: يا صفراء ويا بيضاء غري غيري، وقال النبي (ص): لولا أني أتخوف أن يقول فيك الناس ما قالت النصارى في المسيح لقلت فيك قولاً لا تمر بملأ من الناس إلاّ وكانوا يأخذون التراب من تحت قدمك، ويشربون من فضل طهورك، وقال الله سبحانه: ﴿وَلَما ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَقَالُوا آلِهتَنُا خَيرٌ أَمْ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إلاّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ * إنْ هُوَ إلاّ عَبْدٌ أَنعَمْنَا عَلَيهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَني إسْرَائِيلَ﴾.

وفي ضمن هذه الآية من التعريض بعلي (ع) ما لا يصح غيره في المعقول عند ذوي الخبرة التأويل، وإلا فلم ضرب ابن مريم مثلاً لقوم النبي (ص) وهم بالبعد الأبعد من القول من جهة المناسبة إذ كانت أمته النصارى الذين هم على ملته ولم يكن العرب على ملته بكونهم متوجهين للأصنام والأوثان، وما وجه صدورهم عنه وغيظهم منه من حيث لا معرفة هناك ولا نكرة، والعهد بينه وبينهم ستمائة سنة لولا كانت الإشارة متوجهة به إلى من يبغضونه ولا يحبونه من معاصريهم فيكون حينئذٍ لصدودهم عنه معنى، وقوله سبحانه عنهم: ﴿**أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ**﴾ هذه الآية في معنى الإلهية وفق ما كان رسول الله (ص) تلاه على بعض النصارى من قول الله سبحانه: ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُم وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَاباً من دُونِ اللَّهِ وَالمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ**﴾ فقال النصراني: يا رسول الله ما عبدناهم ولا اتخذناهم أرباباً. فقال النبي (ص): ألم يكونوا يأمرونكم فتأتمرون، وينهونكم فتنتهون؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال: فتلك عبادتكم لهم في اتخاذكم إياهم أرباباً.

وكمثل ذلك سياقة قول من قال الله تعالى عنهم: ﴿**وَقَالُوا أَآلِهَتنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً**﴾ ثم قال سبحانه: ﴿**إِن هُوَ إِلاَّ عَبْدٌ أَنعَمْنَا عَلَيْهِ**﴾ وهذا القول وفق ما نزل يوم الغدير في شأنه: ﴿**اليَومَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمتَي وَرَضيتُ لَكُمْ الإِسْلاَمَ دِيناً**﴾ وقال سبحانه: ﴿**وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَني إِسْرَائِيلَ**﴾ وبنو إسرائيل في عصرهم المقدم ذرية النبوة من حيث الولادة، وفي عصرنا ذرية النبوّة من حيث ولادة الإيمان.

ولم يستعمل المؤيدّ في الدين السجع في هذه المحاضرة، بل سعى إلى الآيات البيّنات والأحاديث النبويّة الشريفة، لإثبات ما يريد إثباته، ولإقناع الحاضرين بفكرته. كما وأنّه لم يخرج عن مسلّمات الإسلام الشيعي الإمامي الصافي من الأكدار.

ومن المجالس المستنصرية أو المحاضرات التي كان يلقيها أحد الدعاة باسم الخليفة المستنصر، المجلس أو المحاضرة الثانية والثلاثون وهي حول الصوم في شهر رمضان.

محاضرة الخليفة المستنصر عن فوائد الصيام[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله المحمود في سمائه وأرضه، الفعال لما يشاء في بسطه وقبضه. الحاكم بما يريد فلا معقب لحكمه في إبرامه ونقضه، لا إله إلا هو المؤمن من عذابه من عمل ليوم عرضه، وصلى الله على نبيه المنذر بوعظه وحضه، محمد رسوله الهادي إلى سنة الدين وفرضه، وعلى وصيّه المدمّر لأهل الشرك بزجره ودحضه، علي بن أبي طالب المؤثر لسهره في طاعة الله على غمضه، وعلى الأئمة من ذريتهما الدالين من توحيد الله على حقيقته ومحضه، أيها المؤمنون؛ جاد الله لكم بصوب نعمه، وحباكم عن غيره ونقمه، إنّ أسباب السعادة قد أشرقت أنوارها، وإنّ وجوه البركات قد دنا إسفارها، وإنّ شجرة الخيرات قد انهدلت أثمارها، بقدوم شهر بركة أباحه للبرية جبارها، كان الصادق جعفر بن محمد (ص) يقول لبنيه: «إذا دخل شهر رمضان فاجهدوا فيه أنفسكم فإن فيه تقسم

---

(١) المجالس المستنصرية، م.س. ص ١٣٦.

الأرزاق وتؤقت الآجال ويكتب وفد الله الذين يفدون عليه، وفيه ليلة العمل فيها، خير من العمل في ألف شهر، وقال (ص) «صوم شهر رمضان فرض في كل عام. وأدنى ما يتمّ به فرض صومه العزيمة من قلب المؤمن على صيامه بنية صادقة. وترك الأكل والشرب والنكاح في نهاره كله. وأن يجمع في صومه التوقّي بجميع جوارحه وكفّها عن محارم ربه، متقرّباً بذلك كلّه إليه، فإذا فعل ذلك كان مؤدّياً لفرضه». وقال: «رُبّ صائم ليس له من صومه إلا العطش والجوع، إذا كان جاهلاً بحقنا أهل البيت»، وقال «لا صيام لمن عصى الإمام ولا صيام لولد عاق حتى يبر لوالديه، ولا صيام لعبد آبق حتى يرجع إلى مواليه، ولا صيام لامرأة ناشزة حتى تتوب» فأطيعوا رحمكم الله إمام زمانكم، وبرّوا والديكم أو من حضر منهما برّاً تتقربون به إلى الله تعالى، وليرجع كل آبق إلى مولاه يتقبّل الله صومه وتكون الجنة عاقبته ومثواه. وكانت التلاوة انتهت من الذكر الحكيم إلى ما يتلوه قول الله السميع العليم **﴿وإذا استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم. كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعيثوا في الأرض مفسدين، وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها. قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير. اهبطوا مصرا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله. ذلك بأنّهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق. ذلك بما عصوا وكانوا**

يعتدون﴾. معشر المؤمنين: قد امتنّ الله على من كان قبلكم بأن سقاهم ماء ينبع من الحجر وأنتم على شاطىء البحر العذب الفرات الطهور ماؤه، الحل ميْته، تنالون منّه باطناً وظاهراً بغير منة عليكم تكدره، فاذكروا آلاء الله ولا تعيثوا في الأرض مفسدين، ولا تبدلوا الذي هو أدنى بالذي هو خير. كما التمس من تقدمكم الاستبدال بما ينزل من السماء من المن والسلوى، ما يصعد من الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها، فاستوجبوا بذلك أن ضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله أبعدهم به عن الجنة. وارضوا بما رضى الله لكم تكونوا من الفائزين، وسلموا لأمره تستوجبوا ثواب الشاكرين. ورد عن أبي ذر رحمة الله عليه أنّه قام عند الكعبة فقال: أيها الناس أنا جندب بن السكن الغفاري، إنّي لكم ناصح شفيق فهلموا، فاكتنفه الناس فقال: «إن أحدكم لو أراد سفراً لاتخذ من الزاد ما يصلحه، وطريق يوم القيامة أحق ما تزودتم له، فقام رجل فقال: ارشدنا يا أبا ذر! فقال: حج حجة لعظائم الأمور، وصم يوماً لزجرة النشور، وصل ركعتين في سواد الليل لوحشة القبور. وكلمة حق تقولها، أو كلمة سوء تسكت عنها صدقة منك على مسكين، لعلّك أن تنجو من يوم عسير، اجعل الدنيا كلمتين كلمة في طلب الحلال، وكلمة في طلب الآخرة، وانظر كلمة تضر ولا تنفع فدعها، اجعل المال درهمين: درهماً قدمه لآخرتك ودرهماً أنفقه على عيالك، فذلك كل يوم صدقة جعلكم الله ممن سمع الوعظ فوعاه، وعمل بطاعة ربه وأرضاه والحمد لله خالق السموات والأرض، ومالك البسط والقبض، وصلى الله على رسوله محمد الدال على النجاة في يوم العرض، وعلى وصيّه

علي بن أبي طالب المجتهد للسنة والفرض، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين بسط الله أمرهم في الإبرام والنقض وسلّم تسليماً».

وبالرغم من استعمال المحاضر مصطلحات الظاهر والباطن والتأكيد عليهما، فلم يخرج النص عن أدبيات الإسلام الشيعي المصري الأصيل، وبقي ضمن الحدود والمعتقدات الإسلامية العامة. كذلك لم يستعمل السجع ولا الأشعار، بل أكثر من الاستشهاد بالآيات القرآنية والأحاديث القدسية، ولو لم يفتتحها بالصلاة على أهل بيت النبي (ص) ويختمها بمثل ما افتتحها لما علمنا أنّ المحاضر مسلم شيعيّ إمامي.

معرفة صياغة البيانات والسجلات والمراسيم الصادرة عن مؤسسات الدولة أو الوزارة أو قصر الخلافة من شروط توظيف الكاتب:

يقول ابن منجب الصيرفي في مقدمة كتابه: «القانون في ديوان الرسائل»، مؤكّداً ضرورة وجود الكاتب المتخصّص في الدواوين.

«فأما صناعة الشعر وذكر بديعه وسائر أنواعه وتقاسيمه، فقد أكثر كلّ منهم فيه المقال، وتوسّع في تصنيفه وأطال، ورأيتهم أهملوا الكلام في الكتابة «النثرية» الجليلة قدراً، النبيهة ذكراً، الرفيعة شأناً، العلية مكاناً، التي هي كتابة حضرة الملك المشتملة على الإنشاء إلى ملوك الدول، والمكاتبة عنه إلى من قلّ من الأمم وجلّ، وكيف يجب أن يكون متوليّها، وما يخصّه من الأخلاق والأدوات، وما يجب أن يكون فيه من الفضائل، وأن يجتنبه من القبائح، والرذائل. وأي حال يجب أن يكون عليها «ديوان الرسائل». فمن ألمّ منهم بصناعة الكتابة

فإنما لم يلم بشيء، وأكثرهم حشا كتبه الموضوعة لذلك باللغة والنحو والتصريف، فخرجت هذه الكتب عن الغرض المقصود. ولما وجدت المتقدّمين قد تركوا ذلك وأهملوه وأضاعوه وأغفلوه، علمت أنّ الله تعالى قد ذخر فضيلة تصنيعه وإظهاره، ومنقبة بروزه إلى الوجود وإشهاره، إلى هذه الأيام الزاهرة العادلة الأفضلية.»

وكأنّ ابن منجب الصيرفي يوحي بكلامه هذا أن الوزير الأفضل طلب منه وضع كتاب يتضمن الشروط المطلوبة لموظف الدواوين فهو يقول: «الغرض بهذا الكتاب أن يكون قانوناً يعرف به من يجب أن يتولى رئاسة ديوان الرسائل». ويذكر أهم الشروط:

١ ـ أن يكون الكاتب ذا دين وورع وأمانة لأنّه بقلمه «يتحكّم بأرواح الناس وأموالهم».

٢ ـ يجب أن يكون دينه الإسلام لأنه من الملك بمنزلة الوزير، والوزير مشتق من المؤازرة ويعلل ذلك، أنّ أكثر الرسائل يجب أن يستعين الكاتب في كتابتها بالقرآن الكريم، ولا يصح أن يكون الكاتب ذمياً، لأنّه من المعقول أن لا يحترم كتاب الله «يتخذه هزواً ولعباً»[1].

٣ ـ يجب أن يكون مذهب الكاتب من مذهب الملك «فإنّ المسلمين، وإن جمعتهم كلمة الإسلام، فقد اختص كل واحد منهم بمذهب يباين به بعضهم بعضاً».

٤ ـ يجب أن يكون الكاتب «ممكّناً من عقله، فإنّ العقل أسُّ الفضائل».

---

(١) القانون في ديوان الرسائل، م.س. ص ٩.

٥ ـ يجب أن يكون من البلاغة والفصاحة في أعلى مرتبة وأسنى منزلة، «بحيث لا يوجد أحد في عصره يفوقه في هذا الفن، فإنه لسان السلطان الذي ينطق به ويده التي بها يكتب».

٦ ـ يجب أن يكون مضطلعاً بفنون الكتابة من نحو وصرف وبلاغة وبيان.

٧ ـ يجب أن يكون حافظاً لكتاب الله تعالى ولأخبار الرسول و «أخبار الأئمة المعصومين من ذرّيته، صلى الله عليهم أجمعين».

٨ ـ يجب أن يكون ملماً بتاريخ الأمم والماضين من وزرائهم.

٩ ـ يجب أن يكون ملماً بالحلال والحرام.

١٠ ـ يجب أن يكون حافظاً للأشعار راوياً للكثير منها.

١١ ـ يجب أن يكون صبيح الوجه، فصيح الألفاظ، طلق اللسان، وقوراً، مجدّاً بعيداً عن الهزل، كتوماً «فإن الكاتب إذا أكمل جميع هذه الخِلال، استحقّ أن يكون كاتباً لحضرة الملك، وأن يتولّى ديوان رسائله»[١].

بيان صادر عن قصر الخلافة: حول مقتل الوزير برجوان:

عندما أقدم الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي على قتل وزيره برجوان عمم على المصريين وجميع البلاد الإسلامية التابعة للحكم المصري البيان التالي[٢]:

---

(١) م.س. نفسه، ص ١٤.

(٢) الإشارة لمن نال الوزارة، علي بن منجب الصيرفي، ط ١، القاهرة، الدار المصرية، سنة ١٩٩٠، ص ١١١.

«من عبد الله ووليِّه المنصور أبي علي، الإمام الحاكم بأمر الله، أمير المؤمنين: إلى سائر مَن شهد الصلاة الجامعة في مَسَاجد القاهرة المعزية ومِصْر والجزيرة.

سلامٌ عليكم معاشرَ المسلمين المصلين في يومنا هذا في الجوامع، وسائر الناس كافة أجمعين. فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، ويسأله أن يُصَلِّي على جَدِّه محمد خاتم النبيين، وسيّد المرسلين، وعلى أهل بيته الطاهرين.

أما بعد، فالحمد لله الذي قال ـ وقولُه الحقُّ المبين ـ: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ * لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الآيتان ٢٢، ٢٣ سورة الانبياء].

يحمده أمير المؤمنين على ما أعطاه من خلافته، وجعل إليه ـ دون بريته ـ من البَسْط والقَبْض، والإبرام والنَّقض. معاشرَ المسلمين: إن بَرْجَوَان كان فيما مضى عبداً ناصحاً أرضى أمير المؤمنين حيناً، فاستخدمه كما يشاء فيما يشاء، وفَعَل به ما شاء، كما سبق في العلوم، وجاز عليه في المختوم. قال الله ـ عَزَّ وجَلَّ ـ: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الأَرْضِ، وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ، إنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [الآية ٢٧، سورة الشورى]؛ ولقد كان أمير المؤمنين مَلَّكه، فلما أساء البسه النقم، لقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الآية ٥٥، سورة الزخرف]؛ وقوله ـ: ﴿إنَّ الإِنْسَانَ لَيَطْغَى، أَن رَآهُ اسْتَغْنَى﴾ [الآية ٦، سورة العلق]؛ فحظره [كذا] أمير المؤمنين عما صبا إليه، ونَزَعَه ما كان فيه؛ وتمت مشيئة الله ـ عز وجل ـ ونفذ قضاؤه وتقديره فيه؛ وكان ذلك في الكتاب مسطوراً.

فأقبلوا ـ معاشَر التجار والرعية ـ على معايشكم، واشتغلوا بأشغالكم، فهو أعْود لشأنكم، ولا تطغوا في أمر أنفسكم؛ فلأمير المؤمنين الرأيُ فيه وفيكم؛ فمن كانت له منكم مطالبة أو حاجة فليمض إلى أمير المؤمنين بها، فإنّه مباشر ذلك لكم بنفسه، وبابه مفتوح بينكم وبينه؛ ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الآية ١٠٥، سورة البقرة]؛ وأنتم رعايا أمير المؤمنين، المفتّحة لها باب عدله، وإحسانه وفضله؛ والله يؤيده فيما يريده ويعتمده من الخير لمن أطاعه من الأنام، والحماية بحمى الإسلام؛ عليه توكلت وإليه أنيب، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وكُتِب يوم الجمعة لثلاثٍ بقين من شهر ربيع الآخر سنة تسعين وثلاثمائة.

وصلَّى الله على سيدنا محمد وآله الطيبّين الأخيار، وسلم تسليماً».

وكتبت سجلات على نسخة واحدة، وأُنفذت إلى سائر النواحي والأعمال.

والبيان، يخلو من سجع، دون خلوه من الجناس والطباق الذي استعمله لإثبات حقّه باستعمال ما وهبه الله من حقوق في مقاضاة رعيته إذا أخطأت. فالبسط والقبض والإبرام والنقض، حقّ للإمام وهبه إيّاه الله، «دون البرية». إلى جانب الآيات القرآنية الداعمة للعمل الذي أقدم عليه. ويعتبر قتل برجوان تنفيذاً لمشيئة الله ولأمره. ويدعو المصريين في نهاية الأمر لأن يشتغلوا بأشغالهم ولا يلتفتوا لهذا الأمر العادي: «تنفيذ مشيئة الله بأحد عبيده المخطئين».

مرسوم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بتكليف أبي القاسم أحمد بن علي الجرجرائي بالوزارة:

وفي يوم الجمعة الموافق في ١٢ ذي الحجة سنة ٤١٨هـ، صدر عن قصر الخلافة المرسوم التالي[١]:

وكُتب له السجلُّ بالتقليد من إنشاء ولي الدولة أبى علي بن خيران ـ متولي الإنشاء ـ ونسخته بعد البسملة:

«أما بعد، فالحمد لله مُطلق الألسن بذكره، ومجل النعم بشكره[٢] ومُصَرِّف الأمور على حكم إرادته وأمره؛ الذي استحمد بالطَّول والنعماء، وتمجَّد بالحكمة والسَّناء، وملك ملكوت الأرض والسماء، واستغنى عن الظُّهَراء والوُزَراء؛ وأكرم عباده بأن جعل تذكرته لهم في صحف مكرمةٍ، مرفوعةٍ مطهرةٍ، بأيدي سَفرةٍ، كرامٍ بَرَرة؛ فسبحان من نظر لخلقه فأحسن وأنعم، وعلَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم.

يحمده أميرُ المؤمنين حَمدَ مُخلصٍ في الحمد والشكر، متخصص بشرف الأمانة ونفاذة النهي والأمر، ويرغب الله تعالى في الصلاة على نبيه محمد الذي نَزَّل عليه الفُرقان ليكون للعالمين نذيراً، وعزَّ به الإيمان وجعل له من لدنه سلطاناً نصيراً، وانتخب أبانا عليّاً أمير المؤمنين أخاً ووزيراً، وصيَّره على أمر الدين والدنيا منجداً له وظهيراً؛ صلى الله عليهما وسلم في العترة الزاكية من سلالتهما سلاماً دائماً كثيراً.

---

(١) الإشارة لمن نال الوزارة، علي بن منجب الصيرفي، ط ١، القاهرة الدار المصرية اللبنانية، سنة ١٩٩٠، ص ١١٥.

(٢) م. س. نفسه.

وإنَّ أحقَّ مَنْ عُوِّلَ عليه في الوزارة ونصب لحفظ الأموال وتمييزها، وسياسة الأعمال وتدبيرها، وإيالة طوائف الرجال كبيرها وصغيرها، من كان حفيظاً لما يستحفظ من الأمور، قؤوما بمصالح الجمهور، عليماً بمجارى السياسة والتدبير؛ ولذاك قال يوسف الصديق ـ عليه السلام ـ: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [الآية ٥٥، سورة يوسف].

ولو استغنى أحد من رعاة العباد عن وزير وظهير يكاتبه على أمره ويظاهره، لكان كليم الله موسى ـ صلى الله عليه ـ وهو القوي الأمين عنه مستغنياً، ولم يكن له من الأمر ـ جلَّ جلالُه ـ طالباً مستدعياً، وقد قال: ﴿رَبِّ اُشرَح لِي صَدْرِي، وَيَسِّرْ لي أَمري، وَاُحلُلْ عُقْدَةَ مِنْ لِسَانِي يَفْقَهُوا قَوْلي، وَاجعَل لِي وَزِيراً مِنْ أَهلِي، هَـرُون أَخِي، اشدُدْ بِهِ أَزرِي، وَأَشرِكهُ في أَمرِي، كَي نُسَبِّحَكَ كَثِيراً، وَنذكُرَكَ كَثِيراً﴾ [الآيات: ٢٥ ـ ٣٤ سورة طه].

ولما كنتَ بالأمانة والكفاية عَلَماً، وعند أهل المعرفة والدراية مقدماً؛ وكان الكُتَّاب على اختلاف طبقاتهم وتفاوت درجاتهم يُسَلِّمون إليك في الكتابة، ويقتدون بك في الإصابة، ويشهدون لك بالتقدم في العنَاء، ويهتدون بحلمك اهتداء السَّفر بالنجم في الليلة الظَّلمَاء، ولا يتناكرون الانحطاط عن درجتك في الفَضْل لتفاوتها في الارتفاع، ولا يَرُدُّ ذلك رادٌّ من الناس أجمعين إلا خَصَمَه وقوع الإجماع؛ هذا مع المعروف من استقلالك بالسياسة، واستكمالك لأدوات الرياسة، وتدبيرك أمور المملكة؛ وماأُلِفَ برُشد وَسَاطَتك من سُمُوّ اليُمْن والبركة.

رأى أمير المؤمنين ـ وبالله توفيقه ـ أن يستكفيك أمر وزارته، وينزلك أعلى منازل الاصطفاء بخاص أَثَرته، ويرفعك على جميع الأكفاء بتام تكرمته، وينوِّه باسمك تنويهاً لم يكن لأحدٍ قبلك من الظهراء في دولته؛ فسمَّاك بالوزير لمؤازرتك له على حمل الأعباء؛ ووكَّد هذا الاسم بالأجلّ لأنك أجَلُّ الوزراء؛ وعزَّز ذلك بصَفِيّ أمير المؤمنين وخالصته إذ كنت أعز الخلصاء والأصفياء؛ وشرَّفك بالتكنية تسميقاً بك في العلياء؛ ودعا لك بأن يُمَتِّعه الله بك ويؤيّدك ويُعَضِّدك دعاءَ يجيبه فيك رب السماء؛ فأنت الوزير الأَجَلُّ صفيُّ أمير المؤمنين وخالصتُه المحبوّ بالمنِّ الجسيم، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم.

فاحمد الله تبارك وتعالى على تمييز أمير المؤمنين لك بتشريفه واختصاصه؛ وإجلاله إياك أعلى محال خواصه؛ واجْرِ على سَنَنِك الحميد في خدمته، ومذهبك الرشيد في مناصحته؛ إذ كان قد فَوَّض إليك أمر وزارته، وجعلك الوَسِيط بينه وبين أوليائه وأنصَار دعوته، ووُلاَةَ أعمال مملكته، وكُتَّاب دواوينه وسائر عبيده ورعيته، شرقاً وغرباً، وبُعْداً وقُرْباً؛ وامض توقيع من تُنَصِّبه للتوقيع عن أمير المؤمنين في الإخراج والإنفاق، والإيجاب والإطلاق. وناط بك أَزِمَّة الحلّ والعَقد، والإبرام والنَّقض، والقَبْض والبَسط، والإثبات والحَطّ، والتصريف والصَّرف؛ تفويضاً إلى أمانتك التي لا يَقْدح فيها معاب، وسكوناً إلى ثقتك التي لا يلم بها ارتياب؛ وعلماً بأنك تورد وتصدر عن علمٍ وحزمٍ تفوق فيهما كل مقاوم، ولا تأخذها في المناصحة لأمير المؤمنين والاحتياط له لَوْمَة لائمٍ، وجميع ما يوصى به غيرك ليكون له تذكرة وعليه حجة، فهو مستغنى عنه معك لأنك تغنى بفرط

معرفتك عن التعريف، ولا تحتاج مع وقوفك على الصواب وعلمك به إلى توقيف.

غير انّ امير المؤمنين يؤكّد عليك الامر بحُسن النَّظَر لرجال دولته دانيهم وقاصيهم، بارك الله فيهم، وأن يتوفَّر على ما يعود بصلاح أحوالهم، وانفساح آمالهم، وانشراح صدورهم، وانتظام أمورهم؛ إذ كانوا كَتائب الإسلام، ومَعَاقِل الانام، وأنصار أمير المؤمنين المحفوفين بالإحسَان والإنعَام، حتى تُحسن أحوالهم بجميل نظرك ويزول سوء الأثر فيهم بُحسن أثرك؛ وكذلك الرعايا بالحضرة وأعمال الدَّولة فأمرهم من المعَنِيّ به والمسؤول عنه؛ وأمير المؤمنين يأمرك بأن تستشفّ خيرة الولاية فيهم، فمن ألفيته من الرَّعِيَّة مظلوماً أوعَزتَ بنصَفَته؛ ومن صادفته من الولاة ظلوماً تقدَّمتَ بصرفه وحَسم مضرته وَمَعرَّته.

وما يستزيدك أمير المؤمنين على ما عندك من حُسن التأنّي والاجتهاد في إصلاح الفاسد، واستصلاح المعاند، واستفاءَة الشارد بالمعصية إلى طاعته، وإعطاء رجال الدولة ما توجب لها حقوق الخدمة من فضل نعمته.

وأميرُ المؤمنين يقول بعد ذلك قولاً يُؤثر عنده في المشرق والمغرب، ويصل إلى الأبعد والأقرب، إن أكثر من وقع عليه اسم الوزارة قبلك إنما تهيَّأ له الحظ والاتفاق، ولم يوقع اسمها عليك ويعزف بك أمرها إلا باستيجاب واستحقاق، لأنها احتاجت إليك حاجة الرُّمْح إلى عامله، والعبء إلى حامله، والمكفول إلى كافله؛ وكم أفرجت عن الطريق إليها لسواك، واجتهدت أن يعدوك مقامها إكباراً له فما عداك.

والله يكبت بجميل رأى أمير المؤمنين حَسَدَتك وعداك، ويتولاك بالمعونة على ما قلَّدك وولاَّك، ويمتعه ببقائك، كما أمتعه بكفايتك وغناك، ويخير له في استيزارك، كما خار له من قبل في اصطناعك وإيثارك، بمنه وكرمه.

والسلام عليك ورحمة الله.

«كُتب يوم الجمعة لاثنتى عشرة خلت من ذى الحجة سنة ٤١٨هـ».

بيان صادر عن دائرة المناقصات في الوزارة المصرية (الأفضل) يحدد شروط العطاءات وضمان الأراضي العائدة للحكومة المصرية الفاطمية[1]:

وتضمَّن ذلك منشورٌ في الجامعين الأزهر بالقاهرة والعتيق بمصر وديواني المجلس والخاص الأمريين:

«ولما انتهى إلى حضرتنا ما يُعْتمد في الدواوين ويقصده جماعةٌ من المتصرِّفين المستخدمين من تضمين الأبواب والرباع والبساتين والحمَّامات والقياسر والمساكن وغير ذلك من الضمانات للراغبين فيها ممن تستمر معاملته ولا تُنْكر طريقته، فما هو إلاَّ أن يحضر من يزيد عليه في ضَمَانه حتى نقض عليه حكم الضمان وقبل ما يبذل من الزيادة كائناً من كان، وقُبِضَت يدُ الضامن الأول عن التصرّف وتمكّن الضامن الثاني من التصرف من غير رعاية للعقد على الضامن الأول، ولا تحرز في فَسْخه الذي لا يبيحه الشرع ولا يُتأوَّل، أنكرنا ذلك على معتمديه وذممناه من قصد

---

(١) تاريخ مصر، ابن المأمون، م.س. ص ٣٠.

فاعليه ومرتكبيه إذاكان للحق مجانباً وعن مذهب الصواب ذاهباً، وعرضنا ذلك بالمواقف المقدَّسة المطهَّرة ضاعف الله أنوارها وأعلى أبداً منارها، واستخرجنا الأوامر المطاعة في كَتْب هذا المنشور إلى سائر الأعمال بأنه أي أحد من الناس ضمن ضماناً من باب أو رَبْع أو بستان أو ناحية أو كَفْر وكان لأقساط ضَمَانه مؤدِّياً ولما يَلْزَمه من ذلك مُبْدِياً وللحق متَّبعاً، فإنّ ضمَانَه باقٍ في يده لا تُقْبل زيادة عليه مدَّة ضمانه على العقد المعقود عملاً بالواجب والنظام المحمود واتِّباعاً لما أَمَر الله تعالى في كتابه المجيد إذ يقول جلَّ من قائل ﴿يٰاَيُّهَا اَلَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالعُقُودَ﴾ [الآية: ١، سورة المائدة] إلى أن تنقضي مدة الضَّمَان ويزول حكمها ويذهب وضعها ورسمها حملاً على قضية الواجب وسننها واعتماداً على حكم الشريعة التي ما ضلَّ من اهتدى بفرائضها وسننها. فأما من ضمن ضماناً ولم يَقُم بما يجب عليه فيه وأصَرَّ على المدافعة والمغالطة التي لا يعتمدها إلاَّ كل ذميم الطباع سفيه، فذلك الذي فَسَخ حكم ضمانه بنقضه الشروط المشروطة عليه، وحُكْمُه حكم من إذا زيد عليه في ضمانه نُقِلَ عنه وأُخرج من يديه لأنّه الذي بدأ بالفَسخ وأَوجَد السبيل إليه. فليعتمد كافة أرباب الدواوين وجميع المتصرِّفين والمستخدمين العمل بما تضمَّنه هذا المنشور وامتثال المأمور، وحمل هؤلاء الضُّمناء والمعاملين على ما نُصَّ فيه، والحَذَر من تجاوزه وتعدِّيه بعد ثبوته في ديوانَيّ المجلس والخاص الآمريين السعيدين، وبحيث يثبت مثله إن شاء الله تعالى».

قال: ووَصَلَت المكاتبة من الوالي والمُشَارف ومن كان نُدِب

صُحبته لكشف الأراضي والسواقي ومساحتها، متضمِّنة ما أظهره الكشف وأوضحته المساحة على من بيده السواقي، وهم عدَّة كثيرة، ومن جملتها ساقية مساحتها ثلاثمائة وستون فداناً تشتمل على النخل والكَرم وقصب السكر بمدينة إسنَا، خراجها في السنة عشرة دنانير، وما يجري في الأعمال هذاا لمجرى وأنهم وضعوا يد الديوان على جميعها وطلبوا من أرباب السواقي ما يدلُّ على ما بأيديهم، فذكروا أنّها انتقلت إليهم ولم يُظهروا ما يَدُلُّ عليهم، وقد سَيَّروا أملاكها إلى الباب تحت الحَوْطَة ليخرج الأمر بما يُعتمد عليه في أمرهم. وعند صولهم أُوقع الترسيم بهم إلى أن يقوموا بما يجب من الخراج عن هذه السواقي، فإنّ الأملاك بجملتها لا تقوم بما يجب عليها. فوقف المذكورون للمأمون في يوم جلوسه للمظالم، فأمر بحضورهم بين يديه وتقدَّم إلى القاضي جلال الملك أبو الحجاج يوسف بن أيوب المغربي، وهو يومئذٍ قاضي القضاة، لمحاكمتهم. فجَرَى له معهم مفاوضة أوجَبت الحق عليهم وألزَمهم القيام بما يستغرق أحوالهم وأملاكهم فحصل من تضرُّرهم ما أوجَب العاطفة عليهم وأخذهم بالخراج من بعد أن يضرب عما تقدَّم صفحاً، وكتب منشوراً نسخته:

«قد علم الكافة ما نراه من إفاضة سُحُب العدل عليهم، والإحسان والنظر في مصالح كل قاصٍ منهم ودان، وإنّا لا نَدَعُ ضرراً يَتَوجَّه إلى أحَدٍ من الرعية إلا حَسَمناه، ولا نَعلمُ صلاحاً يعود نَفعُه عليه إلاّ قوَّينا سببه ووَصَلناه حسب ما...». وقد انتهى المنشور بمسامحة هؤلاء الضمانين بما توّجب عليهم للدولة.

بيان إعادة فتح جامعة القاهرة:

لما أقدم بعض الدعاة على الغلو في محاضراتهم التي كانوا يلقونها في جامعة القاهرة (دار الحكمة)، أمر الخليفة الحاكم بإقفالها. وعندما هدأت الحال، وتوّلى ولده الظاهر لإعزاز دين الله الخلافة، أعاد فتحها، وأصدر البيان التالي[1]:

بسم الله الرحمن الرحيم من عبد الله ووليه علي بن الحسين الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين، ابن الإمام الحاكم بأمر الله أمير المؤمنين، إلى كافة أولياء الدولة وجنودها، وسائر أهل الملة من رعاياها وعبيدها، سلام عليكم، فإنّ أمير المؤمنين يحمد إليكم الله الذي لا إله إلاّ هو، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين، وسيد المرسلين، وعلى آله الطاهرين الأئمة المهديين.

أما بعد: فالحمد لله الغامر طوله، القاهر صوله، الصادر عن الحكمة والمعرفة فعله وقوله، الذي خلق الخلائق ابتداعاً واقتداراً، وكلفهم العمل بطاعته ابتلاءً واختباراً، وانتجب منهم المرسلين، وجعلهم شموساً للأمم، وأقماراً؛ وأنجب أئمة الحق المهديين، وصيرهم مصابيح في الظلمة وأنواراً، موجد الموجودات، ومالك ملكوت الأرض والسموات، مقدر المقادير الجاريات، والمتعالي بعظمته عن أن تحيط به حدود الصفات، فما يجده لسان، ولا تدركه عيان، ولا يتصوره جنان، ولا يحوزه مكان، ولا يخفى عليه إسرار ولا إعلان، ذلكم الله ربكم لا إله إلاّ هو، خالق كل شيء فاعبدوه، وهو على كل شيء قدير،

---

(١) عيون الأخبار وفنون الآثار، السبع السادس، م.س. ص ٣١١.

والحمد لله الذي رضي لمن ارتضاه من عباده دين الإسلام، وأيده بالأعوان والإعظام، وأنار بهديه سدف الظلام، وابتعث نبيه محمداً سيد الأنام، فأكمل بمبعثه الصنائع ونسخ بشريعته الشرائع، وأطلع من مشكاة نوره النجوم الطوالع، واختصه بالقرآن العزيز، والذكر الحكيم الوجيز، أوضح المعجزات برهاناً، وأكثرها آية وشاناً، وأثبتها على تصرف الأزمان دليلاً وبياناً، وأمره أن يهدي الجن والأنس، ويزيل ببرهانه غمرة الشك واللبس، ولما وجبت الحجّة على الثقلين، ووضع الصبح لذي العينين، نص بالخلافة على السابق إلى الإيمان، والناطق بالحكمة والبيان، والمعصوم من عبادة الأوثان، والمخصوص بخير النسوان، والمتوج بغرر المناقب، والمفرج لهم النوائب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وقال له مستوزراً مستخلفاً، أنت مني كهرون من موسى فاجتباه بالرفع على الصحابة والأثافة، وخصه بمزية الإمامة والخلافة، وأوجب بولايته الهداية، وأعطاه بوحي من الله الراية، وجعله المفزع والغاية (ع)، وعلى الأئمة من ذريتهما الذين اصطفاهم على الخلق، وأوضح بهم مناهج الحق؛ والحمد لله ولي المنايح، وميسر المناجح، وموفق أمير المؤمنين للأفعال المشتملة على المنافع والمصالح، صنعاً من الله (عز وجل) جميلاً وسيماً، وتأييداً هداه به صراطاً مستقيماً، ذلك الفضل من الله، وكفى بالله عليماً؛ وانّ أمير المؤمنين بموقعه من أيالة الأمة، وموضعه من وراثة آبائه الهداة الأئمة، الذي جمع الله بهم الشتات، وأحيا بعلومهم الموات، ونور بحكمهم الظلمات، وحل بحججهم الشبهات، لا يألو حرصاً في ما حاط الدين ورفع مناره، وأعز جانب المؤمنين وحمى ذماره، وعمر قلوب المؤمنين

بالذكرى النافعة، وشرح صدور المستبصرين بالحكمة البارعة، وأقام حجة الإيمان بكل مكان، ونهج محجة الرضوان لكل قاص ودان، إعزازاً للدين الذي هدانا الله بأضوائه، وشرفنا بسنائه، ووطد بنا قواعد بنائه، وانتجبنا لتشييده وإعلائه، نظر للعارفين الذين اهتدوا بهدينا، وسلموا إلينا فسلموا، ونالوا معالم الدين والدنيا فظفروا، وغنموا أولئك هم بررة العباد، وعمدة سبيل الرشاد، ونحن أولياؤهم في الحياة الدنيا، وفي الآخرة وهداتهم، ولكل قوم هاد، ولم تزل أئمة الحق يجرون أمر الحكمة في الإطلاق والمنع، والإباحة، والحصر على ما يوجب الصواب، ويحتمله الألباب، وتقضيه المصلحة في الأوقات، وتستدعيه نوازع المطالب والرغبات، وقد كان باب الحكمة مفتوحاً وكنز الرحمة ممنوحاً، وشرع العلم للطالبين مباحاً، ومفتاح الرحمة مقبولاً مباحاً، وبحر الحكمة مسجوراً متاحاً، إلى أن أمر مولانا الحاكم بأمر الله ع.م بإغلاق بابها لما رآه من المصلحة. بحكم مشاهدته الأمور، وسياسة الجمهور، وإذ كان للكلام في عصره حكم ينفرد بقضيته، ويتوحد بمزيته، بذلك جرت أحكام أئمة الهدى على مر الزمان، والله جل جلاله كل يوم هو في شان.

ولما أفضى الله إلى أمير المؤمنين بخلافته، وصير سعد العالمين في ضمن إيالته، وأعلا بسط قدرته وتمكينه، وجعله الظاهر لإعزاز دين الله كامل الحال في ذلك. تأمّل المؤيد حكمه، المسدّد عزمه، الكاشف بهداية الله لغوامض الأشياء علمه، فوضح له أنّ السبب فيه والداعي إليه ما كان اعتمده جَهَلَةٌ، مرقوا عن الدين وفسقوا عن أمر الأئمة الراشدين، من تحريف الكلم عن مواضعه، وتأوّل ما يسمعونه

من العلم بغرائب الجهل وبدائعه، إغراقاً في قول المحال، واعتقاداً للكفر والضلال، فجلاهم الله عن موارد شربهم، وجزاهم ذلك بكفرهم وغيّهم، ورفع العلم تنزيهاً له عنهم لعظيم دينهم، كما رفع التابوت عن كفرة بني إسرائيل، وفيه سكينة من ربهم، لا جرم إنّا تتبعناهم في الأقطار وبوأناهم مباءَ الخزي والصغار، ووضعنا في من ظفرنا به منهم سيف الحق الذي أمضى الله مضاربه، وجعل هؤلاء الكفرة ضرائبه، حتى أثمت حلائلهم، وخلت منهم منازلهم، واعتبر بمصائبهم المعتبرون؛ فتلك بيوتهم خاوية، بما ظلموا، إنّ في ذلك لآية لقوم يعلمون؛ قاتلهم الله من فسقة أصروا على الكفر، ومرتعه وخيم، فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم .(غلاة الشيعة).

ولما تجلّت الغمرة، وتولت الفترة، ونكص الشيطان على عقبه مثبوراً مدحوراً، وأسلم حزبه إلى الهلكة، وتولى منهم خاسراً مدبراً، ولم يكن له فئة ينصرونه من دون الله، وما كان منتصراً وأذن الله تعالى في زوال الفتنة المضلّة وانقراضها، ورجوع عزائم الإرشاد إلى منازعها وأعراضها، عزم أمير المؤمنين على مداواة البصائر من عللها وأمراضها، وعمارة العلوم التي ترتفع خواطر المحقين في رياضتها، فأمر داعي الدعاة ثقة الدولة، وأمير الأمراء قاسم بن عبد العزيز بن محمد بن النعمان سلمه الله، ووفقه وأعانه، بفتح باب الحكمة لطالبيها، وقراءة المجالس في قصور الخلافة، بحيث جرت الرسوم المتقدمة في قراءتها فيها.

وهذه معشر المؤمنين رحمكم الله تعالى متجددة عليكم، ومنه منساقة إليكم، فاربطوا نعمة الله بشكره، وازدلفوا إليه بمواصلة ذكره،

وانتبهوا في طاعة ولي أمركم، وإمام عصركم، إلى حدود أمره، وأقبلوا على علوم الأئمة سلام الله عليهم بقلوب سليمة، وعقائد مستقيمة، وصدور عامرة بالتقوى، وآذان واعية للذكرى، ونفوس مستعدة لما ينجيها في الدار الأخرى، وتجنبوا مقاصد من حاد عن الواجب وجنف، **(وإياكم وإطلاق هجر القول في أحد ممن سلف)**، تلك أمة قد خلت، لها ما كسبت ولكم ما كسبتم، ولا تسألوا عما كانوا يعملون، واعلموا أنّ المؤمن الموقن من أقبل على شأنه، وأمن الناس من بوادر يده ولسانه، وتبرى من القبيح بجهده، وذكر القول الجميل في صدره ووردده، ودفع بالتي هي أحسن، وقصد من الأمور ما هو أحمد ذكراً، وزين وتورع عن محارم الله تقدس اسمه، وزجر نفسه عن كل ما يورط أمره ويوبق إثمه، فليكن طلبكم العلم تديناً لا تعصباً، وتأدباً لا توصلاً إلى التقرب وتسبباً، فإن العلم إذا أخذ بحقه، وقصد مقصد الانتفاع في الدين به زكت ثمرته، وعمت منفعته، وتضاعفت مثوبته، وإذا استفيد لتناول الحطام والتكبر به على العوام شملت مضرته، وانعكست مصلحته، وعدمت فائدته، وكان علمه مبدياً جهله، وكان حجة عليه لا له، وأمير المؤمنين يحرم على كل منكم تحريف ما سمعه من العلم والإقدام على تأويله من تلقاء نفسه، والرجوع في استنباطه وتفسيره إلى رأيه وحدسه، فإن فاعل ذلك مأثوم، والمعترض له مأثوم، محروم؛ ونستعين بالله ونهتدي بهداه، ونسأله أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه، ويقطع بأسيافنا دابر من اتخذ إلهه هواه، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، فاعلموا معاشر دولتنا، وجنود مملكتنا، وبشائر رغبتنا ما أعلمناكم في سجلنا هذا لنزيد في بصائركم في اكتساب الحسنات،

واجتناب السيئات، واعملوا بها يقربكم إلى الله ويجزل لكم برحمته الحظ الأجزل الأوفى وما تفعلوا من خير يعلمه الله، وتزوَّدوا فإن خيرالزاد التقوى، إن شاء الله.

وكتب لخمس خلون من شعبان سنة سبع عشرة وأربعمائة، وصلى الله على رسوله سيدنا محمد وآله الطاهرين، وسلم عليهم أجمعين، وحسبنا الله ونعم الوكيل».

مدح الخليفة الحاكم نثراً خطابياً:

وقف أبو القاسم الحسين بن علي المغربي خطيباً بين يدي الخليفة الحاكم بأمر الله فمدحه بقوله[1]:

«السلامُ على أمير المؤمنين بقدر استحقاقه من ربّه لا بقدر مقالِ عبده، ولا زالت الدنيا بعزّه حَالِيةَ الأجياد، والأعوامُ بسناء دولته مصقولة الأطراف، حتى تعود الأعيادُ بين أيامه في عموم المسرّة وإشراق نور الخلافة، وحتى أقف بين يديه خطيباً بنعمة الله جلّ وعزّ في إنجاز ما وعده من مُلكِ المشرِقَين والمغربين، وحتى أرى سيوف انتقامه تشكو الظماء وتتعلّل بالأماني، لا عدوّاً أبقت بتلها علقاً(؟)، ولا عن باغ ذهلت، رويت برويها دماً صبيباً.

هذا الطاغي ملكُ الرومِ بقسطنطينيّة قد كان خرق إزار السِّلمِ، وهَتَكَ حجابَ الأمنِ، وأطلقَ مقالَ الحرب، وظنّ أنّ ما أجرى من الحديد، وصَوَّب من مجاري الجنود، عاصماً له من جندالله وملائكته

---

(١) خريدة القصر، الجزء الأول، ص ٣٠٩.

المسوّمين، وستراً على ما أنزله الله من الفتح المبين، حتى ضَعضَعَهُ زلزالُ الحرُوب، وأذابته نارُ الوقايع، فعاد يفتل حَبلَ الهدنة، ويمدّ إليك أمير المؤمنين كفَّ الرغبة، فلمَّا افرَشْتَهُ مراقد الإمهال، وأسكنته تحت ظلِّ القرار، عاد يستسري ويمتري، فهبّ يشغب قصد القنا، ويستنّ فلول القُضب، فكيف بنبش الرسم وإحياء الموتى، الا وإني أقول لكم يا قومنا معشرَ انصارِ أمير المؤمنين. كما قال أخو خزاعة:

قاتلوا القومَ يا خزاعَ ولا يدخلكم من قتالهم فَشَلُ
القومُ أمثالكم لهم شعرٌ في الرأسِ لا ينشرون إن قتلوا

﴿قاتلوهم حتى لا تكون فتنةٌ ويكون الدينُ كله لله﴾، ﴿ولا تَهنُوا في ابتغاء القَومِ إن تكونوا تَألَمُونَ فإنَّهُمْ يالَمُون كما تالمون وتَرجُون من الله ما لا يرجون﴾ و ﴿عَسَى أن يكون رَدِفَكم بعضَ الذي تستعجلون﴾.

هلمّوا رحمكم الله، هلمّوا نصركم الله، هذا بابُ الزُّلفى مفتوح هذا رواقُ الجنّة ممدود، هذا أميرُ المؤمنين لكم أمير، هذا جبريلُ وفئتُه لكم ظهيرٌ ونصير، **﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ﴾ ﴿فإنَّ حِزبَ الله هم الغالبون﴾** وأيم الله يا أمير المؤمنين، لو لم يكن لك إلا هيبتَك جندٌ، وإلاّ فرسَك معقلٌ، وإلاّ ذا الفقار سلّة، وإلاّ لوائك ظلالٌ، لَدَمَغَهم سلطانُ الحق، ورَشَقَتْهم سهامُ النصر، والتقت عليهم خيلُ الله بالظفر، ولكان الرعبُ في القلوب خليفةَ سيفِك في قصر الهامات **﴿وإنَّ لك موعداً لن تخلفه﴾** و **﴿إنَّ نَصرَ الله قريب﴾**.

ثم إني يا أمير المؤمنين عبدُك ووليّك ابنُ أوليائك، إن شئتَ كنتُ جمرةً تسعرُ في صدُورهم، أو سحابةً تفيض على رؤوسهم، وأجلو

عن بصائرهم بالمواعظ، وأحلل عقدَ صدورِهم بسحر البيان، وإن شِئتَ فاقِمني بحضرةِ سرير عِزِّك خطيباً بِنِعَمِ الله عليك، وناظماً بسيرة أيّامك، وسِناناً تدرَأُ به نَحْرَ كلِّ خطيبٍ أشرق في مُلكٍ غير مُلكِك. فوالذي أقامك بالحقّ إماماً، ما سرّني بنظرةٍ نظرتُها إليك مِلء الأرض ذهباً. ولئن كنتَ نِعمَ الإمام ونعم الراعي، لأنا بئسَ المؤتمّ وبئس الرعيّة، وإنّي لأصدَقُ الناسِ قولاً حيث أقول فيك يا أمير المؤمنين:

أعطيتني كتاباً إلى رضوان حتى ... أجزني بخيرَ الجزَاءِ(؟)
وسقتني يداك من علل الكو ... ثر كأساً شَفَتْ غَليلَ ظمآئي
أتمنى لو راسَلَتك الأعادي ... ببليغٍ يوفى على البُلغاءِ
لِترى موقفي هناك وسَهلٌ ... دون شأوي وواصلٌ بن عطاء

ومن كتابة القاضي جلال الدولة بن عمار قوله[1]:

مرحباً بطليعة السرور، ومساعدةِ الدهور، وبشير النُّجح والبركة في جميع الأمور، هذه صفةٌ تخصُّ كتاباً وردني من مولاي الأمير ـ أطال الله بقاءه، وأدامَ تأييده ونعماءه ـ على بُعدِ عهدٍ بكتبه وأنبائِهِ، بمعاندةِ الزمانِ لي فيه، إلى أن أحكمَ أسباب البعدِ بيني وبينه، مع تقاربِ قلوبنا وامتزاجها في حالي القربِ والبعد، كما قال الباهلي:

وعاندني فيه ريبُ الزمانِ ... كأنَّ الزمانَ له عاشق

وإنّي لأتذكّرك وأتذكّرُ أوقاتَ المسرةِ بقربك، والأنس بالاجتماع بك، كما يتذكرُ الشيخُ الهَرِمُ شبابَهُ، والعاشقُ المفارقُ أحبابَهُ، وأرغبُ

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الثاني، ص ٦٢٥.

إلى الله في تسهيل أمرِ تجمّعنا كما نحبّ، وأدعوه ربي ﴿عسى ألاّ أكونَ بدعاءِ رب شقياً﴾ [مريم: ٤٨] وما ذلك على الله بعزيز.

نعم سررتُ والله يا مولايَ بكتابك وأَنِستُ بقراءته، وأوجبتُ حقّاً لحامله وهششتُ والله إليه، كما قال قيس:

إذا ذُكِرَت ليلى هششتُ لذكرها كما هشَّ للثّدي الدَّرورِ وليدُ

وفي فصل:

وأما ما ذكرتَهُ من التحرّكِ إلى جهتنا، فهلُمَّ، قرَّب الله دارَكَ، وأَدنى مزارَكَ، ورعى الله جواداً يحملك، وطيَّبَ ريحاًتُوصلك، وبارك اللّهُ في ليلٍ أو نهارٍ يفترُّ عن لقائك، ويبسمُ عن شهيِّ مشاهدتك.

وله من أخرى:

وافى كتابُكَ مطوياً على نُزَه تَقَسُّمَ الحسنِ بين السمع والبصرِ
جزلُ المعاني رقيقُ اللفظ مونقه كالماءِ يخرج ينبوعاً من الحجر

وصل كتابُكَ يومَ عيد النحر فكان عيداً ثانياً، وصادف أُنسي واهياً، فكان له مسنداً بانياً، فارتحتُ له ارتياحَ الروضِ للمطر، ولم أملَّ بتكرير قراءته وهل تملُّ عينُ من النظر، فكم من معنى بديع، ولفظٍ مُحكَمٍ صنيع، وبراعةٍ أتى بها [قلمه] شَرعاً، وبلاغةٍ جاشَ بها بحره طبعاً لا تطبّعاً، «وليس بمنكرٍ سبقُ الجوادِ» ولا بمبتدعٍ جَودُ العهاد، وأمّا النظمُ فنظمَ صفاتِ الإحسان، واستدعى نوافج الاستحسان، وأما النثر، فأبهى من منثور الزَّهر، وأغلى قدراً من الدرّ والجوهر: ولقد هزَّتني إلى لقاء مولاي لواعجُ شوقٍ تالد، وبواعثُ وجدٍ خالد، ودواعي أسفٍ متضرّم، لم يُخلِقِ البعدُ جديده، ولا أَذوَى

طولُ العهد عُودَهُ، ولا أَنسى تقلّبُ الأحوالِ جهوده، ولا نقض مرورُ الأيام مرائره، ولا كدَّر تكدُّرُ العيش سرائره.

وقد أكثر ابن عمار من تضمين كتاباته النثرية السجع المرسل والأبيات الشعرية، وهي طريقة جديدة بدأها الأدباء والكتاب في تضمين نثرهم شيئاً من الشعر.

وصف بـاز هـارب:

كتب الوزير المغربي يصف بازاً هارباً من صاحبه[1]:

وطار للشريف أبي طاهر بازٌ كان يتصيد به، فكتب إليه: بلغني خبرُ الغادِر المفارق، والباشقِ الآبق، فشاركتُهُ في الاستيحاش [مِن فراقِهِ] لما كان يُبْدِعُ من مصايده، ويقرّب عن مطارده، ورأيتُهُ قد شابَ فضائلَهُ بهذا الغدر الذي يُسلي عن تذكاره، والإباقِ الذي يُنسي محاسنَ آثاره، والنُّكثِ الذي ختم به عواقبَ عهده، وبغَّضَ إلينا، بل إلى سيدنا، استخدامَ أمثالِهِ من بعده، لأنّ أحقَّ الناس بكراهةِ الغدر من كان الوفاءُ رضيعَ لبانه، والحفاظُ منبتَ أُصُولِهِ ومنشأَ أغصانه، وكأني بفقده وهو عند الدَّراج من أنعم الأعراس، ومن الوحشةِ منه وهي بين سرابِ الطيور من أَلذّ الإيناسِ، لأنها أُريحت بعدَه من حَتفها العاجِل، وَسَمِّها القاتل، وأَجَلها القاصر، وَوَجَلها الحاضر، وَعُقلَةِ قوادِمهَا وخوافيها، ودهشةِ نواظرها ومآقيها، والكوكبِ المنقضّ على مسارحها، والسهمِ القاصدِ إلى مذابحها، والآفة التي كانت حُرِمَت بها

---

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الثاني، ص ٥٠٣.

حُسنَ الرياضِ المونقة، وثكلت بَردَ الغدرانِ المغدقة، وتنغَّصت مشاهدةَ هذا الجوِّ الرقيقِ الشمائل، اللازورديَ الغلائل، حتى صارت لا تلتذُّ بوكرٍ تَبنيهِ، ولا بَفَرخٍ تُغذِّيه، علماً بأنَّ لها منه مُفَرِّقُ العدد، وفاجعَ الوالدِ بالولد؛ ولو علمت هذه الأطيارُ الشامتةُ بنفاده، السالكةُ سبيلَ الأشرِ بافتقاده، بما يُعِدَّهُ سيدنا لها من ذي ظُفُرٍ مظفّر، ومِنسَرٍ للطير مُيَسّر، وخَلَفٍ صالح، وجارحٍ جارح، أشدَّ لها منه اصطلاماً، وأَسَدَّ إلى مقاتِلِها سهاماً، لعلمت أنَّ كثرتها استجماع له، وأنّ وفورها توفير عليه.

وفي فصل منها: وما الومُ هذا المارق على مَلِلِه وانحياشه، لأنّه كان قد تعوَّد أن يصيدَ بمقدار قُوتِهِ ومعاشِهِ فصار سيّدا يستخدمه بهمّةٍ تَطلبُ الغايةَ البعيدة، وتستسهل المشقة الشديدة، التي هَزلُها جِدّ، وَجَورُهَا قَصدٌ، ولعبُها ارتياض، يتصيّدُ من لم ينقد إليها سريعاً، [ذا] ضراوة على اقتناص من لم ينتهِ إلى أوامرها مطيعاً، فلم يُطِق على ذلك جَلَداً، ولم يجد بهذا الأمرِ الفادِح يداً، فما أشدَّ بَسطي لعذره، ومعرفتي بسببِ غَدرِهِ، وآملُ أن يتذكَّرَ ما كان له بفنائِهِ من نعيمٍ، خيالُهُ بين عينيه، وطيبِ عيشٍ، تذكّرُهُ أَجدى له من حماقيه، فتدعوه عواطفُ التربة والإيثار، وتزولُ عنه عوارضُ السَّهوِ والاغترار، فيعودُ إلى رسمه، ويعوذُ من جُرمِهِ، ويرجعُ وقد أَدَّبَتهُ النكبةُ، وهذَّبَتهُ الغربة.

تعزيـة بمريـض:

كتب الحسن بن زيد الأنصاري يعزي بمريض[1]:

الخطبُ الحادثُ، الفادحُ الكارثُ، الذي كادَت له القلوبُ أن تَتبرَّأ من أضالعها، والعيونُ أن تتعوَّضَ بدمائها من مدامعها، والضُّحَى أن يدَّرِعَ جلبابَ الدُّجُنَّة، والحوامل [أن] تُجهَضَ بما في بطونها من الأَجنَّة.

إنّ المنيَّةَ حَوضٌ كلُّ الناس وارِدُهُ، ومنهلٌ كل الخليقةِ قاصِدُهُ، المتهالكُ في الهلعِ، المتهافتُ في الجزَعِ، مخالفٌ لأمر ربه، لا يستطيع دفعَ خِطبةِ الموت. لا يسلمُ منه مَلِكٌ نافذُ الأمر، ولا فقيرٌ خاملُ الذِّكرِ.

تهنئـة بانتصـار:

ومن كتابات الأنصاري يهنّيء بانتصار الخليفة على أعدائه[2]:

الحمد لله الذي فَضَّلَ دولةَ أمير المؤمنين على سائر الدول، كما فَضَّلَ مِلَّةَ محمد ﷺ على سائر الملل، وجعل أيامه واضحة الحُجُول والغُرَرُ، مخصوصةً بالفتوح والظفَر، يخفق النصرُ على بنوده، وتسير السعادةُ أمامَ جنوده، ويقابل الأقدارَ في جَحافلها، وتصبح الملائكة الأَبرارُ من قبائلها، فما يتوجَّه من جيوشه جيشٌ إلا والتأييدُ يقدمه، والقدرة تخدمه، والدهر يؤازِره، والنصرة تضافره[3]. نهنيء بهذا الفتح الذي ضحكت به الدنيا عن مباسمها، وتجلَّت به شموسُ النصر

---

(١) الخريدة، للعماد الأصفهاني، قسم شعراء مصر، الجزء الثاني، ص ٧٧.

(٢) الخريدة، للعماد الأصفهاني، الجزء الثاني، ص ٧٦.

(٣) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ٧٦.

عن غمائمها، ونسأل الله أن يجعل الأَرض قَبضَةَ يده، والأفلاكَ الجاريةَ من أعوانه وعُدَده، وكلَّ يوم من أيامه موفياً على أمسه، مقصِّراً عن غده، الفتح الذي نُكِسَت به رؤوس ذوي الشقاق، وقُطِع به دوابرُ أهل الخلاف والنفاق، ورَجَفَت به أكبادُ الأَعداءِ رَهَباً وجَزَعاً، وتضعضعت به أركان الباطل خوفاً وهَلعاً، وأصبحَ الإسلامُ به عزيز الجَناب، فسيح الرحاب، منصور الأعوان والأحزاب، والدولةُ فاخرة على الدول، بالغةً أقصى الأمل، يخفق النصر في أعلامها، ويحفُّها الظفر من ورائها وأمامها.

تهنئة بإبلال من المرض:

وكتب الأنصاري يهنيّء أحد أصحابه بشفائه فقال[1]:

إذا قَدُمَ الوِدادُ، وصَحَّ الاعتقاد، وصَفَتِ الضمائرُ، وخَلَصت السَّرَائر، حَلَّ الإخاءُ المكتسَبُ محلَّ أُخُوَّةِ النَّسَب، وصار المتعاقدان على الإيثارِ، والمتحابَّان على بعد الدار، متساهمين فيما ساءَ وسرَّ، ومتشاركين فيما نَفَعَ وضَرَّ، وتلك حالي وحال حضرة مولاي، فإني وإياها كنفسٍ قُسِّمَت على جسمين، وروح فُرِّقَت بين شخصين، فأما ألمها فقد مضى وأزعَجني، وأمَّا بُرءُهَا فقد سَرَّني وأبهجني، وَعَرَفت خبر إبلالها، من أَلَمٍ كان بها، فشكرتُ الله على خَلَّتين معاً، ونَفَعين اجتمعا، أحدهما أنني [لو كنت] أعلمُ تألمها، لكنت الاَقي ما يُكَدِّرُ الشرابَ، ويمنع تلاقيَ الأهداب، وأَجد على حال الصحة ما يجدُ

---

(١) م.س. نفسه، ص ٧٥.

الرميضُ، وأرى الدنيا على آثارها بعين البغيض، والآخرُ عِلمي ببرئها عند حلوله، ومعرفتي به عند تَخييمه بساحتها ونزوله[1].

ومن تهنئة بولد:

وردت البشارةُ السيَّارَةُ بالقادم الأمجد، المستقبَلِ بالطالعِ الأَسعد، فأخذ المملوكُ من المسرَّةِ بأوفرِ حظٍّ الأولياء، المخلصين في الولاء، المغمورين بجزيل الآلاء، وسأل الله سبحانه تخليدَ الأيام المالكية، مديدةَ الأمد، وافرة العدد، نامية الأهل والولد حتى تَرَى هذا المُبَشَّر بقدومه ممتطياً صهوات الجياد، مخُوفَ الشَّدِّ يوم الجِلاد، يخفق وراءَهُ اللواءُ، وتخاف سطوتَه الأعداء، وتُحصَّنُ البلاد بقَواضِبه، وتُشنَّفُ الأَسماعُ بذكر مناقبه، وتَرَى من أولاده أمجاداً.

ومن تهنئته بمناسبة شهر رمضان نثراً وشعراً:

وبمناسبة شهر رمضان، أرسل ابن الشخباء العسقلاني هذه الرسالة النثرية الشعرية للوزير الأفضل بن بدر الجمالي يمدحه ويهنئه بصيام شهر رمضان[2]:

أطال اللَّهُ بقاءَ الحضرةِ السَّاميةِ معمورةً بوفود السعادةِ ديارُها، مشدودة إلى قَصدِهَا أنساعُ العِيرِ وأكوارُهَا، مفلولةً عنها أنيابُ النُّوَبِ وأظفارُهَا، ولا زالَ من مدَّ الظلَّ ولو شاء جعله ساكناً، يمدُّ عليها الظلَّ ما سرى في الليل سَفر، وطلع في السَّماءِ غَفرٌ، وخرج عن أيدي

---

(١) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ٧٥.

(٢) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، الجزء الثامن، ص ٦٤٥.

الكرامِ وَفرٌ، وأَنِسَ بالركبان مهمهٌ قفر:

يَطُوعُ لها العاصي من الخطبِ عِزَّةً ... وَيَدخُلُ قَسراً تحت أحكامِهَا الدهرُ
ولا زال يُعلي في الخليقةِ أَمرَها ... على كلِّ أمرٍ مَن له النهيُ والأمر

ومنها:

يا صارماً حاز الثناءَ بأَنعُمٍ ... لا تنقضي أوقاتهنَّ فتنقضي
لما انتضَتهُ يدُ الإمام تحققَّتْ ... هذي البريَّةُ حُسنَ رأي المنتضي
متواهنٌ عن كل جُرْمٍ طَرفُهُ ... فإذا رأى أكرومةً لم يُغمِض
علقت يداهُ بكلِّ لدنَ أسمرٍ ... يومَ اللقاءِ وكلِّ عَضبٍ أبيض
وتراهُ حين تضيقُ أثوابُ العلا ... متمايساً في السؤدد المتفضفض
يا عاشقَ العليا وَمُبغِضَ مالِهِ ... نفسي فداؤُكَ من محبٍّ مبغض
لا تسألنَّي عن زماني هل بَدَت ... ليَ منه صفحةُ مُقبلٍ أو مُعرِضِ
أنت الزمانُ فإن وَجَدتُكَ ساخطاً ... يسخط عليَّ وإن رضيتَ فقد رضي
كم قَوَّضَت يمناكَ عنّا شدةً ... لولاك بعدَ الله لم تتقوّض
ونهضتَ من ثقلِ المعالي بالذي ... لو سيم يَذبُلُ بَعضهُ لم ينهض
[وبقيت تُسهرُ] كلَّ طرفٍ للعدا ... وتحلُّ قَضبَ سعادةٍ [لم تُخفَضِ]

[وتقطف] من إنعام الحضرتين ثماراً، وتعيدُ جدبَ الزمانِ ربيعاً، وَتُفيضُ على بني الآمالِ ربيعاً، فقد وَفَتْ لها حين خانتِ اليدُ بنانَها، وسئمتِ الضلوعُ جَنَانَها، وصدحت بالكلمةِ العَلَوِيَّةِ على المنبر، وسهامُ العدا تقع خلفاً وأماما، ورهجُ خيولهم يَسحَبُ على الموت غماماً، وكم لها من مقامٍ نتقَ قلوبَ العداةِ نتقاً، وجمع قُطري الرسالة فتقاً ورتقاً، فلا قلَّص الله ظلَّها عن هذا الثغر الذي يكادُ ترابُهُ بكرمها يورق، ونبتُهُ بحسنها يُشرِق.

وقال في وصف شهر الصيام نثراً أيضاً:

شهرُ الصيامِ [ذو] فضلٍ مشهور، ورتبتُهُ عَلَت جميعَ الأيامِ والشهور، فما تُنتَهَكُ للشرع فيه حُرُماتٌ، ولا تُسمَعُ للأوتارِ نغَمات، ولا تنطقُ باللغو أفواه، ولا ترشفُ خضابَ الكؤوس شفاه، وإذا اعتُبرت أوقاتُ الحضرةِ المنصورة، وُجِدَ أكثرها على هذه الصفةِ المذكورة، إلاّ أنّ الشهر اختصّه الله بشرفِ القضية، وفرض صيامَهُ على جميع البريّة، فلا زال على الحضرة العالية عائداً، ولها للأعمال الصالحةِ شاهداً؛ تطلعُ في لياليه الحسناتُ شموساً، وتجمعُ بين الشفقِ والفَلَقِ تسبيحاً وتقديساً، خاطرةً في جلابيب عزٍّ يعتلقُ الدهر بأسبابه، وكرمٍ يَغرقُ البحرُ في عبابه، ومجدٍ تعشو النيراتُ إلى أنوارِه، وتعتصمُ الملوكُ الخائفةُ بجواره، وتتربّبُ بمكارمها الأيدي التربة، وتثبتُ بسعدها بروجُهُم المتقلّبة، ويجدون ترابها في أفواههم عسلاً، وفي أجفانهم كَحَلاً، ويرون وظائفَ النُّوبِ عنهم تُرفع، وأنوفَ الحوادثِ تُجدَعُ:

وقال فيه شعراً:

قد ودَّ هذا الشهرُ أنّ هلالَهُ ... أضحى على غُرَرِ الشهور [يُرَفَّعُ]

أَلبسْتَه تقوى وأَلبسَ حُلَّةً ... من سرمدٍ وكلاهما لا ينزع

وبرزتَ في جيشٍ تَغَصُّ به الفلا ... وترى ذُكاءَ بنقعه تتقنَّعُ

لا بدّ تُعرفُ بالعراقِ جيادُهُ ... ونسيمُ ذكركَ فوقها يتضوّع

وعلى مَطَاها دارعون سيوفُهُمْ ... تدعُ السَّرابَ كأنما هو أيدَع

وتقيم شرعَ بني النبيِّ بأرضِهِ ... والبيضُ تُرعَفُ والذوابلُ تُشرَع

لم ترضَ معروفَ العوارفِ نفسُهُ ... فتراه يُغرِبُ في السَّماح وَيُبدع

وإذا تمنّى المالُ يُودَعُ كفَّهُ خابت أمانيه وباتَ يُوَزّع
تركت سيوفُكَ كلَّ خالعِ طاعةٍ وفؤادُهُ من خوفِ بأسك يُخلَعُ

تهنئة بمولود أنثى للخليفة المستنصر:

ولد للخليفة المستنصر مولود أنثى، فصعب عليه الأمر، لأن الخلفاء الفاطميين كانوا يفضّلون الولد على الأنثى بسبب حاجتهم للولد الذكر الذي به تستمر الخلافة والدولة والإمامة، فكتب الأشروسي هذه التهنئة، معزّياً الخليفة المستنصر ذاكراً له كل ما هو مؤنث ومهم في الحياة اليومية[1]:

صلواتُ الله العائدة البادية، الرائحةُ الغادية، وتحياتُه المستمرة، الزاهية، المستقرة، القاطنة، وسلامه المتعهدّ بالعشيّ والإبكار، والمتجدّدُ آناءَ الليلِ وأطراف النهار، على مولانا وسيدِنا الإمامِ المستنصر بالله أميرِ المؤمنين، وعلى آبائه الطاهرين الأبرارِ الراشدين، ما أخضرّ في غصنٍ ورقة، وناحت على شجرةٍ مُطَوّقة، وأسعد اللّهُ مولانا بطلوع شمسٍ غدا نورُها كاسفاً للأقمار، وزاد ضياؤها في إشراق النهار، وعَظّمَ عليه يُمنَ سيدةٍ تقاصت عن عُلاها الرتب، وتجملت بذكرها السّيرُ والخطب، وما التانيث منغصاً للعطيّة الكريمة، ولا مُنقِصاً من العارفة الجسيمة، لأنّ الله تعالى جعل التانيث في أشرفِ ما صنع، وأعظم ما اخترع، فالأرضُ مؤنثّةٌ ومنها خُلقت الأمم، والدنيا مؤنثّةٌ والعالم لها خَدَم، والسماء مؤنّثة وهي محلُّ

---

(١) الدرة المضية في أخبار الدولة الفاطمية، ابن أيبك الدواداري، م.س. ص ٤٥٥.

الكواكب، والشمسُ مؤنثة ولها النورُ الثاقب، والنفسُ مؤنّثة وهي محلُّ الكواكب، والشمسُ مؤنثة ولها النورُ الثاقب، والنفسُ مؤنّثة وهي قوام الحيوان، والعينُ مؤنّثةٌ وهي سراجُ الإنسان، والتقوى مؤنثة وهي خيرُ زاد، والآخرةُ مؤنّثةٌ وهي دارُ المعاد، والنبوّة مؤنثة وهي صراطُ الحقّ، والإمامةُ مؤنثّة وهي حجّةُ الله على الخلق، والدولةُ مؤنثةٌ والبريّة عبيدُها، والدعوةُ مؤنثةٌ والهدى عمودُها، والبركةُ مؤنّثةٌ وهي أيمَنُ طالع، والنعمة مؤنثةٌ وهي أسعدُ قادم، فالحمدُ لله على جزيلِ عطيّتِه، وكريم عارِفتِه، وإليه الرغبةُ في تبليغ مولانا أبعدَ حدودِ الأمل، وأعلى درجاتِ الغبطة والجَذَل، وأن يشفع هذه الموهبة بعدد من أنجاب نجلِه الطاهِرِ، وفروع أصله الكريم العناصر، وهو بكرمه وليُّ الفضل، ومولى الامتنان والتطوّل، إن شاء الله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الكتابة الفلسفية

استطاعت الفلسفة الشيعية الفاطمية خلال فترة قصيرة، السيطرة على عقول وقلوب مثقّفي العالم الإسلامي، بعد وصول جوهر الصقلي وبنائه القاهرة المعزّية. فأصبحت الفلسفة الشيعية المصرية ومحاضرات الفلاسفة المصريين التي كانوا يلقونها في جامعة القاهرة وقصور الخلافة، تدرّس في كل أنحاء العالم الإسلامي. ولم نجد من يردّ عليها، لقوة منطق هذه الفلسفة وقوة حجتها. أما الكتب التي سطرّت في الرد على الشيعة المصريين، فقد ظهرت بعد انتهاء الحكم الفاطمي بمصر.

أما رسائل إخوان الصفا التي قال المؤرّخون أنّهم من البصرة، استناداً إلى قول ذكره أبو حيّان التوحيدي، فلم تكن البصرة حينها مؤهلة لقيادة هكذا حركة فلسفية. والأقرب إلى العقل، هو أن رسائل إخوان الصفا، هي من تاليف مصري، مثلها مثل رسائل الحكمة عند الدروز، فكلتا المجموعتين، صدرتا في وقت واحد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، وكلتا المجموعتين تعالجان أموراً متقاربة. والمجموعتان لا علاقة لها بالفكر الإسلامي الشيعي المصري، وإن

كانتا قد خرجتا من رحمه، فالفكر الإسلامي الشيعي الإمامي، المصري، الفاطمي، الزيدي، الاثني عشري، نستطيع قراءته في بيانات وسجلات الخلفاء المصريين ومحاضرات دعاتهم.

الترجمة الشخصية:

تعتبر التراجم والسير، من أقدم الفنون النثرية التي اهتم بها الكتّاب المسلمون، فقد أقدموا على كتابة سيرة النبي محمد (ص): و «التراجم هي ذلك النوع الذي يتناول التعريف بحياة رجل أو أكثر، تعريفاً يطول أو يقصر، ويتعمّق أو يبدو على السطح، تبعاً لحالة العصر الذي كتب فيه الترجمة، وتبعة لثقافة المترجم، ومدى قدرته على رسم صورة كاملة واضحة دقيقة من مجموع المعارف والمعلومات التي تجمّعت لديه، عن المترجم له»[1].

اضف إلى التراجم، فناً آخر، ظهر في التاريخ العربي والإسلامي، وهو فن المذكرّات أو اليوميات، كمذكرات أسامة ابن منقذ، ومذكّرات داعي دعاة الدولة الفاطمية المصرية هبة الله بن موسى الشيرازي، وكلتا اليوميات، لها علاقة مباشرة بأحداث الدولة الفاطمية المصرية.

وكذلك هناك الترجمة الذاتية، ككتاب النكت العصرية لعمارة اليمني، وهو أقدم من عالجها، حيث تحدّث عن نفسه في الكتاب وعن علاقته بالوزراء الفاطميين وبالخلفاء والقوّاد وبموظّفي الدولة المصرية، إضافة إلى سيرة الأستاذ جوذر وعلاقته بالخليفة المعزّ لدين الله.

---

(١) التراجم والسير، محمد عبد الغني حسن، ط ٢، القاهرة، دار المعارف بمصر سنة ١٩٦٥، ص ٩.

القاهرة المعزّية مطمح العلماء وسيطرة الفلسفة الشيعية المصرية على العالم الإسلامي:

قال الكاتب والمؤرّخ المصري محمد كامل حسين[1]: أصبحت القاهرة المعزيّة مطمع أنظار العلماء ومحطّ رحال الطلاّب. وفي العصر الفاطمي، استطاعت مصر أن تنتزع زعامة العالم الإسلامي في الحياة العلمية. وأن تبسط آراءها وتعاليمها على البلدان الأخرى، حتى نرى بعض العلماء الذين كانوا ينقمون على الشيعة عامة والفاطميين خاصة، يفدون على مصر ويتأثّرون ببعض الآراء التي كانت سائدة فيها. وأقرب مثل نقدّمه لذلك، هو الإمام الغزالي، فقد هاجم الفاطميين في كتبه: القسطاس والمنقذ من الضلال والمستظهري، ولكنه وفد على مصر في أواخر حياته، ووضع كتابه مشكاة الأنوار متأثرّاً ببعض العقائد الفاطمية.

الطبيب المصري علي بن رضوان يعرّف عن نفسه بخط يده[2]:

هو أبو الحسن علي بن رضوان بن علي بن جعفر، وكان مولده ومنشؤه بمصر، وبها تعلّم الطب. وقد ذكر علي بن رضوان في سيرته عن كيفية تعلمه صناعة الطب وأحواله هذا نصه: قال إنه لما كان ينبغي لكل إنسان أن ينتحل أليق الصنائع به وأوفقها له، وكانت صناعة الطب تتاخم الفلسفة طاعة لله عز وجل، وكانت دلالات النجوم في مولدي تدلّ على أنّ صناعتي الطب، وكان العيش عندي في

---

(١) في أدب مصر الفاطمية، محمد كامل حسين، م.س. ص ٩٠.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ابن أبي اصيبعة، الجزء الثالث ص١٦٤.

الفضيلة ألذ من كل عيش. أخذت في تعلّم صناعة الطب وأنا ابن خمس عشرة سنة، والأجود أن أقص إليك أمري كله: ولدت بأرض مصر في عرض ثلاثين درجة، وطول خمس وخمسين درجة، والطالع بزيج يحيى بن أبي منصور الحمل. ولو وعاشره الجدي. كح، ومواضع الكواكب الشمس بالدلو اه لب، والقمر بالعقرب ح يه وعرضه جنوب ح يز، وزحل بالقوس كط، وللمشتري بالجدي. كح، والمريخ بالدلو كا مح، والزهرة بالقوس كدك، وعطارد بالدول يط، وسهم السعادة بالجدي د ه، وجزء الاستقبال المتقدم بالسرطان كب ى، والجوزاء بالقوس يز يا، والذنب بالجوزاء يز ما، والنسر الواقع بالجدي اكب، والشعرى العبور بالسرطان يب. فلما بلغت السنة السادسة أسلمت نفسي في التعليم، ولما بلغت السنة العاشرة انتقلت إلى المدينة العظمى وأجهدت نفسي في التعليم. ولما أقمت أربع عشرة سنة أخذت في تعلم الطب والفلسفة ولم يكن لي مال أنفق منه، فلذلك عرض لي في التعلم صعوبة ومشقة فكنت مرة أتكسب بصناعة القضايا بالنجوم، ومرة بصناعة الطب، ومرة بالتعليم ولم أزل كذاك وأنا في غاية الاجتهاد في التعليم إلى السنة الثانية والثلاثين، فإني اشتهرت فيها بالطب وكفاني ما كنت أكسبه بالطب، بل وكان يفضل عني إلى وقتي هذا، وهو آخر السنة التاسعة والخمسين، وكسبت مما فضل عن نفقتي (أملاكاً) في هذه المدينة أن كتب الله عليها السلامة وبلغني سن الشيخوخة ما كفاني في النفقة عليها.

وكنت منذ السنة الثانية والثلاثين إلى يومي هذا أعمل تذكرة لي

وأغيرها في كل سنة إلى أن قررتها على هذا التقرير الذي أستقبل به السنة الستين من ذلك أتصرف في كل يوم في صناعتي بمقدار ما يغني، ومن الرياضة التي تحفظ صحة البدن، وأغتذي بعد الاستراحة من الرياضة غذاء أقصد به حفظ الصحة، وأجتهد في حال تصرفي في التواضع والمداراة وغياث الملهوف، وكشف كربة المكروب، وإسعاف المحتاج. وأجعل قصدي في كل ذلك الالتذاذ بالأفعال والانفعالات الجميلة، ولا بد أن يحصل مع ذلك، كسب ما ينفق فأنفق منه على صحة بدني، وعمارة منزلي نفقة لا تبلغ التبذير، ولا تنحط إلى التقتير، وتلزم الحال الوسطى بقدر ما يوجبه التعقل في كل وقت، وأتفقد آلات منزلي فما يحتاج إلى إصلاح أصلحته، وما يحتاج إلى بدل بدلته، وأعد في منزلي ما يحتاج إليه من الطعام والشراب والعسل والزيت والحطب، وما يحتاج إليه من الثياب، فما فضل بعد ذلك كله صرفته في وجوه الجميل والمنافع مثل إعطاء الأهل، والإخوان والجيران وعمارة المنزل وما اجتمع من غلة أملاكي أدخرته لعمارتها ومرّمتها، ولوقت الحاجة إلى مثله. وإذا هممت لتجديد أمر مثل تجارة أو بناء أو غير ذلك فرضته مطلوباً وحللته إلى موضوعاته ولوازمها فإن وجدته من الممكن الأكثر بادرت إليه، وأن وجدته من الممكن القليل أطرحته.

وأتعرف ما يمكنني تعريفه من الأمور المزمعة وآخذ له أهبته، واجعل ثيابي مزينة بشعار الأخيار والنظافة وطيب الرائحة، والزم الصمت وكف اللسان عن معايب الناس، واجتهد أن لا أتكلم إلا بما ينبغي، وأتوقى الإيمان ومثالب الآراء فاحذر العجب وحب الغلبة،

واطرح الهم الحرصي والاغتمام. وإن دهمني أمر فادح أسلمت فيه إلى الله تعالى، وقابلته بما يوجبه التعقل من غير جبن ولا تهور، ومن عاملته عاملته يداً بيد، لا أسلف ولا أتسلف، إلا أن اضطر لذلك وأن طلب مني أحد سلفاً وهبت ولم أرد منه عوضاً. ومما بقي من يومي بعد فراغي من رياضتي صرفته في عبادة الله سبحانه بأن أتنزه بالنظر في ملكوت السموات والأرض، وتمجيد محكمها. وأتدبر مقالة أرسطاطاليس في التدبير وآخذ نفسي بلزوم وصاياها بالغداة والعشي، وأتفقد في وقت خلوتي ما سلف في يومي من أفعالي وانفعالاتي فما كان خيراً أو جميلاً أو نافعاً سررت به، وما كان شراً أو قبيحاً أو ضاراً اغتممت به ووافقت نفسي بأن لا أعود إلى مثله. قال: وأما الأشياء التي أتنزه فيها فلأني فرضت نزهتي ذكر الله عز وجل وتمجيده بالنظر في ملكوت السماء والأرض.

وصفة طبية:

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وفي معرض حديث القفطي عن الطبيب المصري موسى بن العازر ذكر له دواء أطلق عليه الاسم العلمي التالي: «شراب الأصول». وعندما تحدّث عن آثار هذا الدواء قال إنّه:

١ ـ يريح المرأة من أمغاص الطمث وينقّي الرحم من آثاره.

٢ ـ ينفع الكلى والمثانة من حيث إدراره للبول.

٣ ـ يفتت الحصى ويخرجه بالبول[١].

---

(١) كتاب أخبار العلماء بأخبار الحكماء، أبو الحسن القفطي، ط ١، القاهرة، مكتبة المتنبي، لا تاريخ، ص ٢١٠.

الكتابة الفقهية:

أما الكتابة الفقهية، فكتب القاضي النعمان، كالمجالس والمسايرات، ودعائم الإسلام وغيرها من الكتب كافية لإثبات رسوخ قدم التشيّع المصري في مجال الكتابة النثرية الفقهية.

كتابة التاريخ:

أقدم الكثير من الأدباء والعلماء المصريين على كتابة تاريخ مصر الفاطمية أمثال، ابن مُيّسر، ومحمد بن عبدالله المسبحّي، وابن المأمون البطايحي، وابن منجب الصيرفي، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري، وصلة تاريخ أوتيكا للأنطاكي، إضافة إلى ما جمعه المؤرّخون من السجلات المستنصرية ومجالس الدعوة التي كان يلقيها المحاضرون في الجامعة وقصور الخلافة الفاطمية.

الكتابة عن نمط العيش أو الحضارة:

إن أهم الكتب التي وصفت حضارة مصر في ظل الإسلام الشيعي بقلم شاهد عيان أو بأقلام معاصرة كتابان: «كتاب الذخائر والتحف» للقاضي الرشيد ابن الزبير وهو أحد أركان الدولة الفاطمية و «نزهة المقلتين» لابن الطوير.

وقد قدّم لنا هذان الكاتبان وصفاً دقيقاً للحياة اليومية المصرية في ظل الإسلام الشيعي، ومن خلالهم وخلال ما وصل لنا من أوصاف متأخرة عن نمط حياة المصريين في ظل الدولة الفاطمية استطعنا التعرّف على المستوى الحضاري الرائق الذي توصّل إليه المصريّون في هذه الحقبة.

وصف الجواهر الخارجة من قصر الخليفة المستنصر

قال الرشيد ابن الزبير[1]:

حدّثني من أَثقُ به أنّ السلطان بعد ذلك بمدة احتاج إلى إخراج شيء من السلاح لبعض مهمّاته فأخرج من خزانة واحدة مما بقي وسلم خمسة عشر ألف سيف مجوهرة سوى غيرها.

وذكر بعض شيوخ دار الجوهر بمصر أنه استُدعي يوماً هو وغيره من الجوهريين[من] أهل الخبرة بقيمة الجوهر، إلى بعض خزائن القصر، فأُخرج صندوقٌ كيلَ منه سبعةُ أمداد زمرد، ذكر الجوهريّ أنّ قيمتها على الأقلّ ثلاث مئة ألف دينار. وكان جالساً هُناك فخر العرب ابن حمدان، وابن سنان، وابن أَبي كدينة وبعض المخالفين. فقال بعضُ مَن حضر من الوزراء المعطلين للجوهريين: كم قيمة هذا الزمرد؟ فقالوا له: إنما يُعرف قيمة الشيء إذا كان مثله موجوداً، ومثل هذا لا قيمة له، فاغتاظ. وقال ابن أبي كدينة: فخر العرب كثير المؤونة، وعليه خرج. فالتفت إلى كتّاب الجيش [وبيت المال] فقال: يحسب عليّ فيه خمس مئة ألف دينار.

قال: وأُخْرِجَ عقدُ جوهر قيمتُه على الأقل من ثمانين ألفاً وحواليها، فتحيّرنا فيه. فقال: يُكتب بألفي دينار. وأخذ ما كان أنفذه الصليحي من نفيس الدرّ الرفيع الرائع، وكيله على ما ذُكر سبع ويبات.

---

(١) كتاب الذخائر والتحف، للقاضي الرشيد ابن الزبير، م.س. ص ٢٥٢.

وحدثني مَن أثق به عن ابن عبد العزيز الأنماطي أنّه قال: قوّمنا مما أُخرج من خزائن القصر من سائر ألوان الخسرواني ما يزيد على خمسين ألف قطعة أكثرها مذهب.

وحدّثني بعض غلمان بيت المال أنّ السلطان لما اشتَد أمرُ الأتراك وقلّ مالُه وطالبوه بجراياتهم بعث إلى العميد بن أبي سعد في إحضار جوهر كان عنده، فأحضر إليه منه خريطة ذكر المحدِّثُ أنّ فيها نحواً من ويبة، وأنه أحضر الجوهريين وتقدّم إليهم بقيمتها، فذكر جميعهم أن لاقيمة لها ولا مشتري.

ووُجد بالقصر أكثر من مئة كأس بازهر، ونصب وأشباهها. وعلى أكثرها اسم الرشيد وغيره. ووُجد فيه من الستور الحرير المنسوجة بالذهب على اختلاف ألوانها وأطوالها عدة مئين تقارب الألف، فيها صورُ الدول وملوكها، على صورة كل واحد منهم اسمه ومدةُ أيامه وشرح حاله. ووُجد فيما وُجد عدّة صناديق كثيرة مملوءَة سكاكين مذهبة ومفضّضة بنُصب مُختلفة من سائر الجوهر وألوانه مُحَلّى بغرائب الحليّ. ووُجد صناديق كثيرة مملوءَةٌ من أنواع الدويّ المربعة والمدورّة والصغار والكبار المعمولة من الذهب، والفضّة، والصندل، والعود، والأبنوس الزنجي، والوقواقي، والعاج، والشَوحَط، والعنّاب وسائر أنواع الخشب، المحلاة بالجوهر والذهب والفضّة وسائر أنواع الحلي الغريبة، والصنعة المعجزة الدقيقة بجميع آلاتها وما فيها، منها ما يساوي الألف دينار والأكثر والأقل سوى ما عليها من الجواهر.

ووُجد صناديقُ مملوءَة أقلاماً مبريّة محنّشة، وغيرها من الفلفل

وسائر أنواع القصب والأقلام من براية أبي علي محمد بن عليّ بن مقلة وابن البوّاب وغيرهما.

ووُجد عدة ختمات بخطّهما مكتوبة بالذهب المكحّل باللازورد.

ووُجد أيضاً عدة أزيار صيني كبار مملوءعة كافوراً قنصوريّاً، وعدة كثيرة من جماجم العنبر الشحريّ، والمعدنيّ، ومن المسك التبّتي وقواريره، وشجر العود الأخضر وقطعه.

ووُجد خزائنُ مملوءة من سائرِ أنواعِ الصيني من سائر ما يستعملُه الناسُ، وستة منها في بعضها أجاجين صيني كبار وصغار محمولة على ثلاثة أرجل على صور الوحوش، والسباع، والبهائم، قيمة كلّ قطعة منها ألف دينار معمولة لغسل الثياب.

وصف احتفالات عيد رأس السنة:

كتب ابن الطوير يصف الاحتفالات التي كان يقوم بها الخلفاء المصريون في عيد رأس السنة من كل عام فقال[1]:

فإذا كان العشر الآخر من ذى الحجة من كل سنة انتصب كل من المستخدمين بالأماكن التي يأتي ذكرها لإخراج آلات الموكب من الأسلحة وغيرها. فيخرج من خَزَائن الأسلِحَة مايحمله صِبيَان الرِّكاب حول الخليفة من السِّلاَح وهو: الصَّماصِم المَصقُولة المُذَهَّبة مكان السُّيوف المحدَّبة لغيرهم، والدبابيس المُلَبَّسة ورؤوسها مدوَّرة مضرَّسة أيضاً، واللُّتوت كذلك، ورؤوسها مستطيلة مضرَّسة أيضاً،

---

(١) نزهة المقلتين، ابن الطوير، م.س. ص ١٤٧.

وآلات يقال لها المُستَوفُيات وهي عُمُد حديد من طول ذراعين مربعة الأشكال بمقابض مدوَّرة في أيديهم بعدَّة معلومة من كل صنف فيتسلَّمها نقباؤهم في ضَمَانهم وعليهم إعادتها إلى الخَزَائن بعد تَقَضِّي الخدمة بها.

ويخرج لطائفة من العبيد الأقوياء السودان الشباب ويقال لهم «أربابُ السِّلاح الصغير»، وهم ثلاثمائة عبد، لكل واحد حربتان باسِنَّة مصقولة تحتها جُلَبُ فِضَّة كل اثنتين في شَرَّابة، وثلاثمائة درقَة بكَوابحِ فِضَّة يتسلَّم ذلك عرفاؤهم على ما تقدَّم، فيسلمونه للعبيد لكل واحد حربتان ودرَقَة.

ثم يخرج من خزانة التَّجمُّل، وهي من حقوق خَزَائن السِّلاح، القَصَب الفضة برسم تشريف الوزير والأمراء أرباب الرُّتَب وأزمَّة العساكر والطوائف من الفارس والراجل، وهي رِمَاح مُلبَّسة بأنابيب الفِضَّة المنقوشة بالذهب إلاَّ ذراعين منها فيشد في ذلك الخالي من الأنابيب عِدَّة من المَعَاجِر الشرب الملوَّنة وتترك أطرافها المرقومة مُسبَلة كالسَّناجق وبرؤوسها رَمامين منفوخة فضة مذهبة وأهِلَّة مجوَّفة كذلك، وفيها جلاجل لها حِسٌّ إذا تحركت، وتكون عدتها ما يقرب من مائة.

ومن العَمَّاريات، وهي شبه الكجاوات من الدِّيباج الأحمر، وهو أجلّها، فيسير من القصب عشرة ومن العَمَّاريات مثلها من الحمر خاصة للوزير.

ويخرج للوزير خاصة لواءان على رمحين طويلين مُلَبَّسَيْنِ بمثل تلك الأنابيب ونفس اللواء ملفوف غير منشور، وهذا التشرف يسير

أمام الوزير وهو للأمراء من ورائهم، ثم يسير للأمراء أرباب الرُّتَب في الخِدَم وأولهم صاحب الباب، وهو أجَلُّهم، خمس قصبات وخمس عَمَّاريات، ويرسل لإسفِهسَلار العساكر أربع قصبات وأربع عَمَّاريات من عِدَّة ألوان، ومَن سواهما من الأمراء على قدر طبقاتهم ثلاث قصبات وثلاث عَمَّاريات، واثنتان واثنتان، وواحدة وواحدة.

ثم يخرج من البُنُود الخاص الدَّبيقي المرقوم الملوّن عشرة برماح ملبَّسة بالأنابيب وعلى رؤوسها الرَّمامينُ والأهِلَّة للوزير خاصّة، بالذهب فتكون هذه أمام الأمراء المذكورين من تسعة إلى سبعة إلى خمسة.

ثم يخرج لقوم يقال لهم السَّبربَرِيَّة سلاحٌ كل قطعة طول سبعة أذرع برأسها طلعة مصقولة وهي من خشب القنطاريات داخلة في الطلعة وعقبها حديد مدوّر السّفل، وهي في كف حاملها الأيمن وهو يفتلها فيه فتلاً متدارك الدوران، وفي يده اليسرى نُشابة كبيرة يخطر بها وعدّتها ستون مع ستين رجلاً يسيرون رجَّالة في الموكب يَمنة ويَسرة.

ثم يخرج من النَّقَّارات حمل عشرين بغلاً على كل بغل ثلاث، مثل نقَّارات الكوسات بغير كوسات، يقال لها طُبُول حَلَب يتسَلَّمها صُنَّاعها ويسيرون في الموكب اثنين اثنين ولها جِسٌّ مستحسن، وكان لها ميزة عندهم في التشريف.

ثم يخرج لقوم متطوّعين بغير جار ولا جراية، تقرب عدَّتهم من مائة رجل لكل واحد دَرَقَة من دَرَق اللَّمط، وهي واسعة، وسيف، ويسيرون أيضاً رجالة في الموكب. هذه وظيفة خَزَائِن السِّلاح.

ثم يحضر حامي خَزائن السُّروج، وهو من الأستاذين المُحنَّكين، إليها مع مُشارِفها، وهو من الشُّهود المعدَّلين، فيُخرج منها برسم خاص الخليفة من المركبات الحلى ما هو برسم ركوبه وما يجنب في موكبه مائة سرج، منها سبعون على سبعين حصاناً ومنها ثلاثون على بغال وبغلات، كل مركب مصوغ من ذهب أو من ذهب وفِضَّة أو من ذهب مُنَزَّل فيه المينا، أو من فِضَّة مُنزَّلَة بالمينا، وروادفهاوقَرَابيسها من نسبتها. ومنها ما هو مرصَّع بالجواهر الفائقة وفي أعناقها الأطواق الذهب وقلائد العنبر، وربما يكون في أيدي وأرجل أكثرها خلاخل مسطوحة دائرة عليها، ومكان الجلد في السروج الديباج الأحمر والأصفر وغيرهما من الألوان والسَّقلاطون المنقوش بألوان الحرير، قيمة كل دابة وما عليها من العدّة ألف دينار.

ثم يُخرج من الخزانة المذكورة لأرباب الدَّواوين المرتبين في الخِدَم على مقاديرهم مركَّبات أيضاً من الحلى دون ما تقدَّم ذكره ما يقرب عدَّته من ثلاثمائة مركب على خيل وبغلات وبغال يتسلمها العُرَفاء المقدَّم ذكرهم على الوجه المذكور، وينتَدب حاجب يحضر على التفرقة لفلان وفلان من أرباب الخِدَم سيفاً وقلماً فيُعَرَّفُ كل شدَّاد صاحبه فيحضر إليه بالقاهرة ومصر سَحَر يوم الركوب ولهم من الركاب رسوم من دينار إلى نصف دينار إلى ثُلث دينار.

المسرح والكتابة المسرحية في خدمة التشيع المصري

لم يعرف المصريون المسرح والكتابة المسرحية على الطريقة اليونانية والرومانية، بل كتبوا مسرحيات وتمثيليات تقوم بلعبها دمى أو «أراجوز» وأطلقوا عليها «خيال الظلّ»، ولم يصل منها شيء مكتوب من العهد الفاطمي، بل الكتابات والمسرحيات أو التمثيليات التي وصلت هي تمثيليات ابن دانيال، المولود سنة ٦٤٦هـ، «وأقدم الإشارات العربية التي وردت عن خيال الظلّ المصري، ترجع إلى أواخر الحكم الفاطمي، فقد ذكر «بول كالا» المستشرق الألماني الذي أعد دراسة عن خيال الظلّ أنّ صلاح الدين الأيوبي حضر عرضاً لخيال الظلّ مع وزيره القاضي الفاضل سنة ٥٦٧هـ، وقد أورد هذه الواقعة ابن حجة في «ثمرات الأوراق»، وفي «مطالع البدور» للغزولي، وهي أنّ القاضي الفاضل أخرج من قصور الفاطميين من يعاني (ينفذّ) خيال الظلّ ليريه للسلطان صلاح الدين فقام عند الشروع فيه، فقال له السلطان صلاح الدين: «إن كان حراماً فما

نحضره»، وكان القاضي الفاضل حديث العهد بخدمة صلاح الدين، فلما تم العرض، قال له كيف رأيت ذلك! فقال: رأيت موعظة عظيمة»[1].

حدثت مشاهدة هذه التمثيلية إذن عقب تولية صلاح الدين الأيوبي السلطنة، سنة ٥٦٧هـ ولا نعلم إذا كان الخليفة الفاطمي العاضد، كان قد مات أو لم يمت. ولكن هذه المعلومة تشير إلى أنه كان هناك فرق تمثيل «ظليّة» خاصة في قصور الفاطميين، يقتصر نشاطها على تسلية الأمراء والأميرات من أبناء الأشراف وعائلة الخلافة، ولتسلية الضيوف والمقربين من قصور الخلافة: «ونحسب أن المخايلة (المسرحيات) لعبت دورها السياسي والديني بتمثيلياتها العربية في المجالات الجماعية لترويج الدعوة الفاطمية»[2].

وإعجاب صلاح الدين والقاضي الفاضل بعروض خيال الظل يعني دلالتين هامتين: أولاهما أنّ الفن المسرحي قد وصل وقتذاك إلى مرحلة من التطور كانت له فيها نصوص تمثيلية جيدة السبك والتنفيذ، تشجّع على المشاهدة والتعليق وتستحوذ على إعجاب أديب متفنن كالقاضي الفاضل، ولا تتحقق هذه المرحلة إلا بمرور الوقت وممارسة التجريب والتعديل والتنقيح، وثانيهما: إنه لم يكن تلعيب الخيال مقصوراً على عرض الهزليات اللاهية والمضحكات الفكاهية بل كانت له أهداف أسمى من ذلك تتمثل في استخدام الموضوعات

---

(١) خيال الظلّ وتمثيليات ابن دانيال، إبراهيم حمادة، ط ١، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، سنة ١٩٦١، ص ٤٠.

(٢) م.س. نفسه، ص ٤١.

الدينية والقصص التاريخية الوعظية التي تؤثر في نفوس المشاهدين وتترك فيها أهدافها ومراميها. وهاتان الدلالتان الهامتان تقطعان بأنّ الفن المسرحي المصري قد سار في المدى الزمني شوطاً طويلاً حتى اكتمل واكتسب مقوماته. ولكن تجاهله في التاريخ الأدبي أباح للأيام نسيانه وقبر آثاره، إلا من هذه الإشارة العابرة التي أمسكنا بها على أنها بداية الخيط مع اعتقادنا بأن للخيط امتداداً طويلاً ضارباً في تاريخ مصر الفاطمية.

ولقد امتاز العصر الفاطمي بمظاهر الأبهة والبذخ والثراء التي فاقت حظ العباسيين من ذلك، وكانت أعيادهم ومحافلهم العديدة مجالات للبذل والعطاء والإسراف حتى بلغ ما أنفقه الخليفة الآمر بأحكام الله على كساوى الشعب في عيد ٥١٥هـ (١١٢١م) ٢٠ الف دينار، وكان السكان من سراة المصريين يتشبّهون بالأمراء والبيت المالك في بذخهم وإسرافهم وإغداقهم على الشعب، رغم موجات الضنك والمجاعة التي كانت تتردّد على مصر وقتذاك. ومثل هذا الطقس المترف، تترعرع فيه الحركات العلمية والفنية والتجارية والصناعية، ويساعد على احتضان الفنون المسلية مثل فن خيال الظل وسرعة تطوره وتنويع موضوعاته بين الجد والهزل والحكمة والدعابة ما دام الاستقرار الاقتصادي والنفسي متاحاً، وإذا علمنا أن هذا العصر قد حفل بالعلماء والمجتهدين من رجال الدين، فإنه حفل أيضاً بالكثير من شعراء المجون والخمريات والنواسيات. والظاهرة التي تكاد تنفرد بها هذه البيئة الشيعية دون البيئات الإسلامية الحاكمة ـ وتهمنا في هذا المجال ـ هي تقدم الحركة الفنية التشكيلية

ونهضتها التي لا تزال متمثّلة في المخلّفات الموجودة بالمتحف الإسلامي بالقاهرة ويرجع عهدها إلى هذا العصر وأعتقد أن الشخوص الظلية في ظل هذه الحركة الرائعة، كانت تصاغ صياغة فنية معبّرة، فيها ملامح الموضوع، ودلائل خصائصه النفسية والاجتماعية والفكرية.(١) ولولا الجريمة الأيوبية الناشئة التي أعقبت هذا العصر وإصرارها الحاقد على إزالة الآثار الفاطمية من قصور وزخارف ومقتنيات ثقافية لكان لنا فيها ثروة رائعة كان يمكن أن تلقى أضواء على بعض الزوايا الفنية والعلمية المجهولة .

وكان المقريزي هو المؤرّخ الأهم والأغزر والأكثر إخباراً عن حياة الفاطميين وحضارتهم ونظمهم.

وقد أورد المقريزي بين طيّات صفحات كتابيه: «الخطط المقريزية» و «اتعاظ الحنفا في تاريخ الأئمة الفاطميين الخلفا»، العديد من القفشات واللقطات التي تدل على حب المصريين، خلفاء ورعية، للمزاح والنكات واللهو و«المخايلات المسرحية» أو خيال الظل.

فعلى سبيل المثال، يروي لنا المقريزي، التقاء الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي بالرجل العجوز على طريق الجسر وهو ينقل حملاً من الخمر، مع أن الأوامر صدرت من قصر الحضرة بمنع حمله وبيعه لأكثر من رطلين، «وتُتُبّع من يبيع العنب، واشتدّ الأمر فيه

---

(١) راجع: خيال الظلّ وتمثيليّات ابن دانيال، إبراهيم حماده، ط ١، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة، سنة ١٩٦١، ص ٤٢.

بحيث لم يستطع أحد بيعه، فاتفق أنّ شيخاً له حمل عنب على حمار وهرب به، فصادفه الحاكم عند قائلة النهار على جسر ضيّق، فقال له: من أين أقبلت؟ قال من أرض الله الضيّقة. فقال: يا شيخ، أرض الله ضيّقة؟ فقال الشيخ: لو لم تكن ضيّقة، ما جمعتني وإيّاك على هذا الجسر، فضحك الحاكم منه وتركه»[1].

ويروي لنا المقريزي أيضاً رواية الرجل المخمور الذي نام في أحد شوارع القاهرة سكراناً وغطّى نفسه بمنديل (حِرام)، وكان الحاكم قد عمّم على المصريين معاقبة من «يكشف أي مغطّى». فكان المصريّون يمرون أمام هذا السكران ولا يجرأون أن يكشفوا عنه فمرّ به الحاكم، وهو على حاله، فوقف أمامه وقال له ما أنت؟. فقال السكران: أنا مغطّى، وقد أمر أمير المؤمنين ألاّ يكشف مغطّى، فضحك الحاكم من كلام السكران، وأعطاه كيساً من المال وتركه يذهب لحال سبيله بعد أن قال له: «استعن بهذا المال على ستر أمرك».

وعندما تحدّث عن احتفالات عيد النحر لسنة ٣٩٩هـ قال: «وحمل سماط عيد النحر يوم التاسع من ذي الحجّة على عادته، غير انه أُبطل منه الملاهي والخيال واللعب الذي كان يعمل في كلّ سنة»[2].

وفي احتفالات سجن يوسف لسنة ٤١٥ هـ، على عهد الخليفة الظاهر، يقول المقريزي: «إنّ أهل الأسواق استمروا نحو الأسبوعين

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، م.س. ص ٩١.

(٢) اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ٧٩.

يطوفون الشوارع بالخيال والسماجات والتماثيل»، والمقصود بالتماثيل بالتأكيد: التمثيليات والمسرحيات. حيث لا مجال لمعنى التماثيل في الجملة بالمنحوتات. فإذا عطفت المنحوتات على كلمتي الخيال والسماجات، فلا مجال لعطفها، لأن المعطوف يجب أن يكون من صنف المعطوف عليه، ولكن إذا كانت كلمة التماثيل تعني التمثيليات، فالمخايلات والسماجات والتمثيليّات من نوع واحد.

ويؤكد المقريزي معنى التمثيلية حيث يضيف: «ولم يزالوا كذلك إلى أن تكامل جمعهم، وكان دخولهم من سجن يوسف في سادس عشره، فشقّوا الشارع بالخيال والسماجات والتماثيل، وتعطّل الناس في ذلك اليوم عن أشغالهم ومعايشهم، واجتمع عليهم خلق كثير لنظرهم، وظلّ الناس أكثر ذلك اليوم على ذلك، وأطلق لهم ثمانية آلاف درهم، وكانوا في اثني عشر سوقاً»[1].

ومن المؤكّد أن تعطيل الأسواق والتجمع على المخايلين، للفرجة نهاراً كاملاً، لا يكون إلا بسبب تقديمهم العديد من الوصلات التمثيلية، إما مباشرة أو عن طريق خيال الظلّ. وقد خرجوا بحصيلة ثمانية آلاف درهم من الجماهير المحتشدة حولهم لمشاهدة تمثيلهم ولعبهم.

وكان الممثّلون المسرحيّون يكلّفون باللعب والتمثيل من قبل كبار القوم، في المناسبات، كاستئجار فرقة «حسب الله» الموسيقية في أواخر الخمسينات من القرن العشرين، فعلى سبيل المثال كلّف نجيب

---

(١) م.س. ص ١٤٦.

الدولة أبو القاسم علي بن أحمد الجرجرائي، بمناسبة إقامة سماط عيد الفطر لسنة ٤١٥هـ، أيام الخليفة الظاهر، «المخايلين والطبالين والفرحية» بالدوران في شوارع القاهرة ومصر احتفاء بهذه المناسبة السعيدة[١].

وعندما قام الرئيس فهد بن إبراهيم النصراني يحتفل بعيد الغطاس، أمر المغنيّن والملهيّن بالحضور، والغناء واللعب أمامه فحضروا[٢].

وقد وصل الأمر بالمصريين إلى تعليم الببغاء الكلام. فقد كان الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله، يملك ببغاء تقرأ «المعوّذتين»، «قل أعوذ برب الناس» و «قل أعوذ برب الفلق». وتستدعي الموظفين أو الأستاذيّن المحّنكين بأسمائهم[٣].

التحسارية يمشون على الحبال:

كان المصريون أيام الدولة الفاطمية يطلقون على اللاعب على الحبال أو البهلواني مصطلح تحساري، والاشتقاق من الجذر حَسَرَ، لا يؤدي المعنى المطلوب، يقول المقريزي واصفاً احتفالات فتح الخليج: «فإذا جاز الخليفة على جامع ابن طولون وجد قد رُبط من رأس المنارة من مكان العشاري النحاس حبل طويل قويّ موضوع آخره في الطريق، وفيه قوم يقال لهم التحسارية، واحد في زيّ

---

(١) م.س. ص ١٦٠.

(٢) م.ت. ص ١٧.

(٣) راجع: اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ٢١٠.

فارس، وفي يده رمح، وبكتفه درقة فينحدر على بكرة، وفي رجليه رجل آخر متمسّك بهما وهو يتقلّب في الهواء بطناً لظهر، حتى يصل إلى الأرض»[1].

باب اللوق: شارع خاص بالممثّلين والمسرحيين:

عندما يصف لنا المقريزي رحاب مصر والقاهرة، يقول إن كلمة رحاب هي جمع رحبة، والرحبة هي المكان الفسيح والواسع، ثم يتحدّث عن كل رحبة من رحاب مصر والقاهرة حتى يصل الحديث عن رحبة باب اللوق يقول: ـ رحبة باب اللوق ـ رحاب باب اللوق خمس رحاب، وبها تجتمع أصحاب الحلق وأرباب الملاعب والحرف كالمشعبذين والمخايلين والحواة والمتأفّفين، فيحشر هنالك من الخلائق للفرجة ما لا ينحصر كثرة»[2].

والمقريزي يصف هذه الرحبة أيام المماليك ولكنه يشير في نهاية حديثه أنها كانت كذلك من عهد قديم.

فقد أشار أحد الباحثين إلى ارتباط العمل المسرحي المملوكي بتاريخية العمل المسرحي الفاطمي حيث يقول:

كذلك في عصر المماليك ظهرت دار الخيالة الساذجة أو ما كان يُسمّى وقتئذٍ بشخوص خيال الظل، أو ظّل أو ما كان يُسمّى وقتئذٍ بشخوص خيال الظل، أو ظلّ الخيال، أو طيف الخيال، أو مسرح

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٤٧٧.

(٢) الخطط المقريزية، الجزء الثاني، ص ٥١.

الدمي، ومنشأ هذه اللعبة غير واضح. فربما يكون أصلها هندياً، وإن كان أول ما نشرها هم الفاطميون. ومن بعدهم انتشرت انتشاراً كبيراً على يد المماليك. وقد كان أساسها التمثيليات أو تقليد الناس، فهي إذن أساس المسرح الشرقي[1].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

(١) راجع: نظم دولة سلاطين المماليك ورسومهم في مصر، عبد المنعم ماجد، الجزء الأول، ط ١، القاهرة، مكتبة الانجلو مصرية، سنة ١٩٦٤، ص ١١٨.

فن المقامة في مصر الفاطمية

فن المقامة هو أحد فنون الأدب العربي النثرية، ومحاولة من محاولات الأدباء والشعراء العرب للخروج عن العمود الشعري ذي القافية الواحدة والوزن الواحد، وتعبير عن المحاولات الدائبة للتطور والخلق والإبداع في تلك الحقبة.

إنّ أول من ألّف المقامات ومهّد الطريق لها، هو بديع الزمان الهمذاني من مواليد همذان الإيرانية سنة ٣٥٨هـ، مما يعني أن كتابته للمقامات جاء في نفس الوقت الذي كتب فيه الأدباء المصريون مقاماتهم، ومنهم الشاعر الإسكندراني ظافر الحداد، وبينما اختص بديع الزمان بهذا الفن، حاول الأدباء المصريون ومنهم ظافر الحداد إثبات طول باعهم في كل فنون القول ومنها المقامة، لذلك لم يتفرغوا التفرّغ الكامل لهذا الفن.

ومن هذه المقامات، المقامة الجوذابية، وقد أبرز فيها ظافر الحداد قدرته النثرية والشعرية في وصف هذه الأكلة المصرية.

المقامة الجوذابية[1]:

قال: أصبحتُ ذات يوم في منزلي، وقد كل جناني وبناني، ولساني وإنساني، من الدَّأب في الطَّلب، والإكباب على الكتاب، ومتابعة المراجعة، في النسخ والمطالعة، بين معنى أحكمه، أو لفظ أنظمه، أو خط أرقمه. فتاقت النفس إلى الإحماض بمفاكهة أديب، والارتياض بمذاكرة لبيب.

وإذا الغلام قد دخل وأسرع، وقال: «الباب يقرع» فقلت له: «ما الشان؟». فقال: «جماعة من الإخوان، منهم فلان وفلان». فذكر لي كلٌّ صديق صدوق، ورفيق رفيق، وشفيق شفيق. وقد اختلفت بينهم الموارد، واتفقت منهم المقاصد. فكانوا كسهام النبع، إذا سدَّدها النزع، فوافت البرجاس، ولم تحظ القرطاس. فقلت: «ويحك، عجل بفتح الباب، وأذن للأحباب: فهم نزهة النفس، وثمرة الأنس».

ثم استنهضَني السرور، إلى تلقيهم بالبشر والحبور. وقلت لهم: «ما نَظم لي هذا العقد إلا الجدّ، ولا تمم لي هذه الإرادة إلا السعادة». ثم أنشدتهم من ساعتي:

يا سادةٌ قد كَمُلوا خَلقاً وخُلقاً وشَرَف
أظنّ دهري نادما على الذي كان اقترف
رأى عظيم ذنبه عندي فتاب واعترف
وقد حَباني بكم كفَّارةً لِما سلف
ولو دَرَى مقدارَ ما أهدى من هَذِي التُّحَف

---

(١) ديوان ظافر الحداد الإسكندراني، م.س. ص ٣٤٩، والجوذابة أكلة من الأرز واللحم.

لانـــقـــضـــت قـــوّتُـــه ومـــات غـــيـــظـــاً وأســـف

ثم رَقَمنا بُرود المحاضرة، بالحكايات المختصرة، ونظمنا عقود المذاكرة، بمعاني الأبيات المبتكرة، كما قيل:

حـديـثٌ إذا تَـمَّ اسـتُـعِـيـدَ كـأنـه لـذاذةُ عـذبِ الـمـاءِ فـي فـم حـائـمِ

فما هو إلا أن استقت الآذانُ مُجاجات جِرياله، وتَرشفت الأذهان مجاجات سلساله، إذا الغلامُ يومىء إليّ بخفيف الغمز، ويُنحى إليّ بخفيّ الرمز. فخرجت من بينهم خروج الحوت من البحر في الشَّبك، والظبي من الرياض في الشَّرَك. فقلت له: «ويلك! مالك؟ وما غَيَّر حالك؟ دع ناظري يرتَع في هذه الرياض، وخاطري يَكرَع في هذه الحياض». فاستدناني إلى الدهليز، وأسرّ إليّ بلفظ وجيز، وقال: «يا مولاي، ما عندنا اليوم للإنفاق إلا الإملاق، ولا نُضيِّف به الناس إلا الإفلاس. فدَبِّر عما يُقترَض، أو يُباع من العض إلا إن عَوَّلتم على الصيام، فلا كلام».

فبينما، نحن نتجاذب في الوسيلة، ونتعامل في إعمال الحيلة، وإذا بالباب قد قرع. فقلت له: «أجب، فلعله ضيف مُنتاب، يعين الأصحاب، على أكل ذلك الطعام البائر، والمأكول الحاضر». فخرج وجلاً، ثم جاء باسماً جَذِلاً. وقال: «يا مولاي، رسول صاحبنا الشُّوّاء الذي خَلَّصناه بالأمس من تلك الورطة، وأنقذناه من تلك الضغطة، واستخرجناه من حبس الشرطة. ومعه سطل به جُوذابة، يجذب الأنف أرَجُها، ويعجب النفس بَهَجُها، عطرية الأنفاس، هَشَّة بين الأضراس، تتبرَّج من حسنها، وتترجرج في دهنها، تحفُّها عِدَّةٌ من الرُّغفان، زاهرات

الألوان، صافية تفور، ببخار التنور، كأنها أوجه الخرائد البيض، إذا أخجلها التقبيل والتعضيض».

قلت: «ويحك يا لُكَع! ما أقبح ما صنع! وأفضح ما بَكَع! أُفٌّ لهذا الخُلُق! أنبيع جاهنا بيع الخَلَقِ؟ اردُد على هذا السَّفساف متاعه، ونزهنا عن هذه الشناعه».

فقال: «يا مولاي، أما ما ذهبت إليه، وعَوَّلت عليه، فهو الذي تقتضيه المروءة، وترتضيه الفتوة، وتعتقده الهمم الشريفة، وتنتقده الشيم الظريفة. لكن إفلات ما تَحصَّل، وفوات ما توصل، مع ما نحن عليه من حضور الضيفان، وقصور الإمكان؛ وفوت هذه الفرصة، أعظم غُصَّة. بل من الرأي الصواب، أن تجمِل للرجال الخِطاب، وتأخذ ما حضر، وتقبل ما تيسّر، فإذا أيسَرنا وافينا فكافيناه. فنكون قد بلغنا أغراضنا، وطهرنا أعراضنا، ونبرأ من وصمة ما أبدى، بأضعاف ما أهدى».

فقلت: يا فريد، في الأمثال السائرة عن أبي عُبيد: «تجوع الحُرَّة ولا تأكل بثديها».

قال: «يا مولاي، الضرورة، تحسّن ما قبح من هذه الصورة».

فقلت: اللهمّ غَفرا، فقد أَبليتُ عُذراً. يا غلام، اصرف الرسول، وتسلّم الماكول».

فلما حاز الجوذابة، وأغلق بابه، قال: «يا مولاي، إنك عَوَّدت زوّار الضيفان، وطُرّاق المكان، من سَماحتك، إذا نزلوا بساحتك، الأكل، ولا أقلّ من البقل والخل».

قلت: «دعني من الهذر، شرط الكريم لضيفه ما حضر، وما القبيح إلا مذهب الشحيح. قَدِّم الخوان للأخوان، وجَمِّله بالزعفران، وأحضر السطل، واحذر المطل».

فلما حضرت المائدة، وظهرت التحفة الوافدة، ظن القوم أنه اهتمام قد قُصد، وإكرام قد نضد، وصنيع مجمَّل، ودَست مكمَّل. فجعل كل منهم يأكل ويقصر، لكي يستظهر، إلى ما يصحب الجَذائب، في الترائب، من حِملان الشِّواء، وجامات الحلوَاء. فتم لي بذلك لسان الفراسة، وإدمان السياسة. فتزاويتُ في زاوية البيت، واستخرجت جاما من زجاج كان عندي من غشائه، وكتبت في سوائه، على الاستعجال، بقضية الحال، وقلتُه نظماً، وأثبتُّه فهماً:

يا سادةً حازُوا المَنا ... صب والمَراتب والمَناقب
وتحصَّنوا بالمكرما ... تِ من المعَايب والمثَالب
فاقوا البريةَ مثلما ... فاقت على التُّربِ الكواكب
لا تحسبوا أني جهلـ ... ـتُ الحكم في سُنن الجذائب
فلها شروطٌ، كلُّ شر ... طٍ شائع في الناس دائب
طوراً تكون بسكَّرٍ ... في اللوز تحت الدهن راسب
زهراءُ قد ستر الزجا ... ج شعاعها من كل جانب
والطيبُ يُفشِي سِرَّها ... بين الأباعد والأقارب
والرتبة الوسطى يُقَدَّ ... مها تَبابعةٌ وحاجب
مثل الخروف وجامة الـ ... ـحلواء تأتي في العواقب
ولربما جاءَت بجَد ... يٍ أو بجنبٍ عنه نائب
وأقل ما تأتي إذا ... حضرت بعصيانٍ أطايب

إلا جُذَابَتَنَا فقد جاءت مخالفةَ المذاهب
لم نتخذ في وقتها شيئاً سوى الأشنان صاحب
فكُلوا، فليس بحازمٍ من باع موجوداً بغائب
فلنا حديث باطن لم تعلموه، من الغرائب

ثم غطيت الجام، وقلت للغلام: ويحك! أكمل هذه الدعابة، واجعل الجام موضع الجوذابة».

فلما كُشف ما حُجب، وقُرئ ما كُتب، وفهم القوم القريض، وما فيه من التصريح والتعريض، واستفزّهم الضحك والطرف، واستهزهم العُجب والعَجَب، واستعادوا السطل، واستجادوا الأكل، باسترسال وبِشرِ صُراح، وبشاشةِ الارتياح للأرواح.

فلما أخذوا من الطعام حد الكفاية، وأمد النهاية، وامتلأ جَناني بهم مَسرّة، وإنساني بهم قَرّة، قالوا: «هات الأشنان، الذي انفردت به الجوذابة صاحباً، وإن لم يكن لها مناسباً».

فما هو إلا أن غسلوا أيديهم، من أثر الزَّفَم، [حتى] بادروا إلى القرطاس والقلم. واستدركوا ما فات، من إثبات الأبيات وكرروا لفظها، حتى أتقنوا حفظها.

ثم رجعنا إلى حديث أعذب من ضَمِّ الخَلس، ولثم النفس. فلم نشعر إلا وذِكاء قد رَدعت الأفق، وتقنّعت بوَردي الشَّفق. وتصرّف النهار، وانصرف الزوار.

ظافر الحداد يردّ على رسالة أبو الصلت الأندلسي المصري:

وفي رسالة جوابية كتب ظافر الحداد يرد على أبي الصلت المصري نثراً وشعراً جاء فيها[1]:

وقال في جواب رسالة وردت عليه من أبي الصَّلت أمية بن عبد العزيز بن أبي الصلت:

«وصل كتاب مولانا الشيخ الأجلّ، أطالَ الله بقاه، وأدام عُلاه، وحرس حَوباه، وكَبَت أعداه، وضاعف لديه مِنَّتَه وتولاه».

وقال:

فأَحيا فؤادي نَشرُه قبل نَشرِه ... ولاحت عقودٌ منه لي ورياضُ
كأنّ العيون النُّجل منه وقد حكى الـ ... ـسوادَ سوادٌ والبياضَ بياض
حدائقُ زهرٍ يجتنى السمعُ زَهرَها ... وبحرُ مَعانٍ بالعقول يُخاض
وجدتُ لقلبي منه أُنساً وراحة ... تذلّ به أحزانه وتُراض
كأن فؤادي كان قبل وجوده ... جَناحٌ بأحداثِ الزمان يهاض
صحائفُ أشواق إليك كثيرة ... طِوال إذا عَدَّدتُهن عِراض
تُرَى تشتفي بالقرب منا ومنكمُ ... قلوبٌ بأدواءِ الفراق مِراض
توالى عليها البينُ حتى بدت له ... كُلومٌ على أرجائها وعِضاض

فأيُّ مِنةٍ قَلَّد، وأيّ سرور جَدّد، وأي لوعة بَرجد، وأي شوق أخمد، وأي نعمة أورد.

فللّهِ وقتٌ جاء فيه كأنما ... أُعيدَ به عَصرُ الشَّبيبةِ من عُمرى

ولقد قَدِم السول على حين تَلهُّفٍ إليه، وتأسُّفٍ عليه، والشوقُ قد

---

(١) ديوان ظافر الحداد الإسكندراني، م.س. ص ١٨١.

اختلفت كتائبه، والدمع قد استهلّت سحائبه، والنفس لا تتنفّس، والرُّوح لا تُراح، والقلب يُقلَّب، والكبد تكابد، والعينان عينان نَضّاختان.

عشيةَ مالي غيرُ دمعي وسيلةٌ ... تُفيد، ودمعُ العين أَشْفَى لمن أَشْفَى
وما طائرٌ قصَّ الزمانُ جناحَه ... وأَعدَمَه وكرا وأفقده إلفا
تَذكَّر زُغبا بينَ أكناف بانةٍ ... خَوافِيَ الخَوافي ما يَطِرنَ بها ضعفا
إذا التحفَ الظلماءَ ناجَى هُمومَه ... بترجيعِ نَوحٍ كاد من رقّةٍ يخفَى
باشوقَ مني مذ أطاحَت بك النَّوى ... هوائيةً مائيةً تَسبق الطَّرفا
تولَّت وفيها منك ما لو أقِيسه ... بما هي فيه كان في فَضلِه أوفَى

فكان موقعهُ مني موقع الإنسان من الإنسان، والنفس من النفس. وسررت بوروده سرور الغريق بمنقذه من الغرق، والظمآن بمَورِده عند آخر رمق، والضالّ بمرشده بعد الأينَ والتباس الطرق.

فكانني ظمآن ضلَّ بقَفرةٍ ... حتى انتهى يأسا فصَابَ النِّيلا
من بعد مطلٍ طال حتى كاد أن ... يَضحى به رَبعُ الرجاء بخيلا
وكأنّ مولايَ اقتدى بمقالِ مَن ... نَظم القَريضَ وأَغرَبَ التأويلا:
لولا طِرادُ الخيل لم تكُ لذةٌ ... فتَطارَدِي لي بالوصال قليلا

فأخذت في لثمه، قبل فك ختمه، حتى خفت أن يخفى بيانُه، ويندرس عنوانه، ولثمتُه جُهدي، ولو نطقت تلك السطور لقلن لي حَسبها.

ثم فضضته فرأيت الحروف لبلاغته تميس في تلك القراطيس، والبراعة تختال في تلك الأعمال، وشاهدت السحر كيف يُنفَث، وأرواح المعاني كيف تُبعَث. فنزّهت خاطري في رياض قلمه،

وأوردت ناظري في حياض كَلِمه، وقلت: سبحان من ملّك هذا الإنسان أعنّة هذا البيان، وعوذت ذاك الجمال من عين الكمال. وجعلت أشرّف أعيُن الأعيان بنظره وأشنِّف آذان الإخوان بجواهر دُرره. فتنزهت فيه القلوب والأسماع، ووقع على تفضيله الإفراد والإجماع. وهيهات لا تستغرب درّة من تلك البحار، ولا قطرة من ذاك التيار، ولا شرارة من تلك النار. فيا ليت شعري هل الأيام رادّة ما اغتصبت من لذيذ مذكّراته، أو معيدة ما سَلف من طيب محاورته، وفيه أقول:

أأحبابنا هل الليالي التي مضت ... فتَرقَا دموعٌ أو يقرَّ فؤاد؟

وقد وصل ما تفضّلت به همّته، وجادت به مروءته، واصل الله لديه السعادة كما واصلها إليّ بمودّته، وجمعها لي بأخوّته. فهذه عارفة لا أختصّها بالشكر دون ما تقدّم من أمثالها، ولا أفردها بالذكر عمّا سبق من أنواعها وأشكالها، وكيف وعندي من فضائله ما لا يجمعه العدّ، ولا يحصره الحدّ. فالله تعالى يحرس الفضل ببقاء مدّته، ويخلّد، الرياسة والنبل بسلامة مهجته. وأنا أُنزِّه علمه عن أموري وضيقتها وأحوالي وكيفيتها. فأنا بين همة ترقي وحال تشقي، فتلك في الصعود، وهذه في الصعيد، أصارع حتوف الحِدثان، وأضارع صروف الزمان، بقلب لا يتقلّب إلاّ في محبّته، وكف لا تتصرّف إلا في مهنته. وفيه أقول:

صحبتُ بناتِ الدهرِ حتى أرَينَني ... عجائبَ شتّى ليس يَحصُرها العَدُّ

فنعمتُها بؤس، وفَرحَتها أسى ... وصِحتُها سقم، وإعطاؤها ردّ

تفيد أخا الجهل الغِنى وهو وادِع ... وذو الفهم دونَ القوت يُتحِفُه الكَدّ

ولي همةٌ تبغِي النجوم، وحالةٌ ... تُصحِّفُ ما تبغيه فهي لها ضِدّ

إذا رفعتني تلك تَخفض هذه فكلٌّ تَناهَى في إرادته الجِدّ
فما حالُ شخصٍ بين هاوٍ وصاعدٍ وليس له من واحدٍ منهما بُدّ؟
تَوالتنيَ الأرزاءُ حتّى كأنّما فؤادي لكَفّي كلّ لاطمةٍ خد

كتاب ابن أبي حصينة إلى المطران الداخل في الإسلام:

لما انتشرت قضية إسلام الراهب النصراني أبي مسلم مشرف بن عبد الله المعروف بالمطران الكبير رئيس اليعاقبة بتكريت، وكان هذا الراهب ذكر أنّ رسول الله (ص) جاءه في المنام، ورواه وهو منام طويل، أوجب إسلامه، فأسلم وصار له صيت وذِكر في بلاد الإسلام وفي مصر، فكتب له ابن أبي حصينة يهنئه بهذه الخطوة. ومما جاء في رسالة التهنئة[1]:

«بسم الله الرحمن الرّحيم: كتبت إلى الشيخ الجليل، أطال الله بقاءه، وهذادُعاء من حَقَّق الله رجاءه، إذ كان من سبقت لهُ الحسنى، وأدرك من شرف الآخرة المُنى، فكُلُّ يوم من أيامه دهر سعيدٌ، وكلُّ وقت من أوقاته أمد بعيد، ولأنّه من كان اهتداؤُه تذكرة للمهتدين، فهو شريك في أجور أعمالهم، وقسيم في ثواب أفعالهم، وكأن عُمره قد اتسع لعبادة طالت أيامها ولياليها، وكأنَّ أمده قد انفسح لطاعة أنجحت أسبابهاودواعيها، فهو لذلك مكتهلٌ في أول فتيانه، ومذكور بالتعمير منذ ابتداء زمانه، حتّى إذا تهادت به خطا المهل المعلوم، إلى غاية الأجل المحتوم، كان الحيُّ المرزوق عند باريه، المخلد المحبُو

(١) أخبار مصر في سنتين، المسبّحي، ص ١٦٣.

مما قدّم من مساعيه، وكأنَّ حَبلَ حياته مبرمُ، وسلك بقائه منظوم لم ينتشر، وأثره جديد لم تعفِه الأيّام، وخيرهُ قريب لم تنسه الأفهام، وشخصه ملموح بأَعين البصائر، وحديثه ملتقط بأسماع الضمائر، وعهده دان وإن بعد ميقاتُه، وزمنه مستقبلٌ وإن مضت أوقاته، والصّالحات عنه باقيةٌ نوراً في وجه الزمان، وسروراً في قلب الإيمان، وتلك صفات الشَّيخ الجليل ـ أطال الله بقاءَه ـ إذا كان من لزمه حق رَام قضاءه وتَعَيّن عليه فرض حاول أداءه، وحدثت له منه ـ أدام الله تأييده ـ أخوة لطيفة بادر إلى وصالها، ونشأت بينه وبينه رَحِمٌ سريعة قابلها ببلالها، وجمعته وإياها أنساب لا يَحمل عقوقها، ولا تضاع حقوقها، وأدنته إليه أواصر أَحكمت يد الإسلام عقودها، وأكرمت ذمة الإيمان عهودها، فأَسكن بها التُّقى روحيهما جسماً واستودع الهوى قلبيهما صدراً، وصارت كلتاهما متفقتين وإن بعدت الديار، ودعوتاهما مؤتلفتين وإن اختلف النِّجار، وسُقياهما من ماء واحد، وإن تباين المحتدان ومصدرهما عن نمير واحدٍ وإن تشعَّب الموردان، ورتوعهما في رياض الملكوت، ورجوعهما إلى موعد الجزاء الموقوت. وعلى أنِّي لو وفيت هذه الأواخيَ حقها، وأعطيت الوسائل وفقها لكان السفر أقل ما يقتضيه الدِّين، لمشاهدة نعمة الله تعالى على الإسلام وأهله بمكانه، وأدلة الحقِّ على الكَرَمِ وذويه بين نمائه، فإن التَّكرمة في ذلك لو وُفرت عليه لكان لها موضعاً، ولما زيد عليها مجمعاً، فكيف وهي مقسومةٌ بين أهل الملَّة، وموزَّعة على أعيان هذه النِّحلة».

الكتابة النثرية الإخوانية الهزلية

ومن نماذج الكتابة النثرية في الهزل والمزاح، ما كتبه أبو الحسن أحمد بن العباس المعروف بابن الخياط، يصف دعوة على طعام وهي من النثر المسجّع الاقرب إلى فن المقامات منه إلى أي فن نثري آخر.

قال ابن الخياط[1]:

لَيس الدعوى في الدَّعوة يا سَيدي ـ أدام الله عِزّك ـ من شَأني، ولا أرى المخرَقة على إخواني، أسألهم الحضور على مَا حضرني، ولا أدخرُ عنهم ما أمكنني، وأمسى معَ دَهري وزَمني، فإن أوسع، أكثرتُ، وإن قتَّر، اختصرت، فالاختصار حين الاقتار، مِن خُلق الاحرار، وتَركُ التَّصنع والادّعاء، من شُروط المودةِ والصفاء، وعلى غير مذهبي هذا، جماعةٌ يَرونَ الادعاء فضلاً، والمخرقَة جمالاً ونُبلاً، إن سألت أحدهم: ما أُصلحَ لك اليوم؟ حدّثَك بما رآه بارحته في النوم، وأوهمك أنَّه اختصر على مقلوبة، وقد قلبَ الجزعُ أم راسه، ومُشَوَّشَة، وَقَد شوَّش الطَّوَى صحيح رايه وقياسِهِ، وقليَّة، وهو من

---

(١) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ١٣٧.

السَّغَب يتقلّى، ومَغمومة وليس غيرَ حليلته الثكلى، فإذا أَراد أن يتطايب ويتكاتَب، وأحبَّ أن يتبالد ويتلاعب، قال: كانت لنا مضيرة يصلح أن تستبدج بها الحيطان، وهو يتقوّت الكِسَرَ من أحجار الفيران، ويستلب الرغفان من ولدان الجيران؛ وزيرباج كخلوق المحاريب، تنتزع أعضاء الفائق منها بالكلاليب، ولا يعرفها من الجلبان، لو أُحضرا له في مكان، ولا يدري أيهما هي، بالمذاق، لو أطعمها وجوذابة رُقاق، ويُوهمك أن له رَاتباً، وقد أصبح ساغباً جائباً، وأن له وَكيلاً، ولاَ يعَرف لِسدِّ جَوعته سَبيلاً، فإن نَفَق عليك قولُه، وأعجبك فضوله، فسألته النّزوُل، غَلَّبَكَ الجواب، وقلبُهُ في نَصَبٍ وعَذَاب، ثُم انتهزَ الفُرصة، وانكشفت هُزُولةُ القصَّة، فإذا حضَرتِ المائدة، فاستفد منه كلَّ فائِدَة، تراه يُزاحم بكاهله ومِنكبِه، ويَضبط إلى مَن جانبه، ويقتلعُ ما بين يدَي الإخوان، وَيُغير على الألوان، كُبُطلان الفُرسان، ويجيل يده على الخوان، جَوَلان الشُّجعان يَوم الطعان، ويهوى بكفه ولا شَاهِين، وينتزع القِدرَ بأنامله وَلاَ نَازحين، ويحسر عن ذراعه، ويجوزُ بباعه، ويكبّ بصدره، ويغيب عنهُ رشيدُ أمره، وتسمع له همهمة وتمتمة، وطبطبة وحمحمة «هُنالِكَ دعا زكريَّا رَبَّهُ».

كَفاك الله وإيّانا مَن هَذَا وصفَ طريقتهِ، وعَافَانا وإيّاك من مُخالطَته ومعَاشَرته، فالشَّرهُ شَينٌ يعدِي، والبطنةُ منقصَة تُردي، والكذِب دَاءٌ عَياءٌ، والمَحمَقَةُ عادةٌ وبلاء، والصَّحيح ما يُحصَّل، والباطلِ يُلغِى ويبطُل.

عندي يا سيدي قريص، أشبه بنصيصة الفُصوص، يرتَعد ارتعاد

المقرور، والمحنق الغَيُور، ويكفيك بمذاقه المُنازعة والمراء، وتحسب حيتانه سُبَّحا في الإناء، شقيق الرَّحيق، كأنه ذَوبُ العَقيق، ينسيك طعمُه لَذيذَ الزيرباج، وتُصنَعُ المضيرة له والسكباج، ويغذيك من لحوم الحيتان، ما يغنيك عن فائق الحيوان، المضيرة له والسكباج، ويغذيك من لحوم الحيتان، ما يغنيك عن فائق الحيوان، ويشغلك حُسنُ مرآه، عن التعرض لما سواه، مجمَع طَيِّبات، ومَحشَر إدامٍ ولذَّاتٍ، ومن ذا يا سَيدي يُوريك، ما وصفُه سَيُشَهِّيك، مَقلوّ كالعَسجد السَّبيك، يمنحُكَ إهابَه بالإيماء، ويُجيبكَ بلا مُمَانعة ولا إباء، لَو ظفرت منه بلطاخَةِ المَقالي، لأغنتكَ عَن عَتيق الغوالي، لو لَم يكن غَير لكفاك، ولو قنعت به لأغنَاك، نعمَ الطعام، وأفضل الإدَام، ومن بُلطيك الطري السمين، ما تحكيه صفائِح اللجين، قد ألبسته النار ثوبَ نُضارٍ، إن سلبته فَطلعٌ نضِيد، أو لمسته فَرِيد عتيد، مُتساوي المِساحة، يفضل عَن الرَّاحة، فَهو كما قال الصاحب «إن نعتُّه فقد أعبتَه، وإن وصفته ما أنصفته». ومن الشبوط ما أشبه البلُّور المخروط، عُمِل منه صليق، أنت بِسلب محاسنِه خليق، يُنسيك بنضرته روضَ الجنان، وأراضي الريحان، ويغنيك بحسن منظره، عن كشف مخبره، وبِطيب نَشره عن هتك سِتره، وإن أبعث لك يا سيدي الفرخ، حذراً من وضيع الكرخ، فإنهما متساويان في النعت والاسم، والموَلد والجسم، وَلَه ـ لعنهُ الله ـ شان من الشَّان، لم يصِد مثلَه قَبلي إنسان، ولا شُوهد شبيهه في الحِيتان، مَهُول مرآه، ولا يَعرف أباه، كَان يبعثُ منه على الحِيتان الحتُوف، وتُقتلَعُ بها منه المَراسي والجُروف، عريضٌ طويل، عظيمٌ مهول، إن وَجد صخرة رضَّها واقتلَعها، أو بقرة التقمها وبَلَعها،

سِلاحِه أضراسُه، وجثَّته قفاه وراسه، فلما كَثُر فيه ضجيج أسماك البحر، ودَعا النَواتيّة والسُّفر، واستجاب ـ اللَّهُ سُبحانه ـ دَعوتهم، وكَشَف ـ بفضله ـ مِحنتهم، قَضَى هَلاكَه على يَديَّ، وأمرني بقبض رُوحه وتَعذيبه بالنَّار، كما يُفعل بالمؤذنين والأشرار، والمُخالفين والكُفَّار، لِقصدهِ مراكب البحار، وتَعرُّضِهِ لاذيَّة المستورين والأحرار، وأحلَّ لي أكل لحمه بعد التَّنَاهي في عذابه، جَزاءً لفتكه حِيناً بأضراسه وأنيابه:

فَظَلَّ طُهاة اللحم مِن بين مِنضج صفيفَ شِواءٍ أو قديرٍ مُعجَّلِ

وهَا هو بعدما وصَفتُ لك من عُتوِّه وطُغيانه، وجَبَروتِهِ وسُلطانه، صَريعُ يد القضاء، وأسيرُ الحين والبلاء، قد مكنَت السفافيدِ من أحشائه وفكِّه، وجُوزيَ باعتدائه وَفتكه، وُشُقَّ جوفه وحُشي، وأحكم وثَاقه وشُوى، توجُدك مضغَته نعومةَ الزُّبد، ورُطوبة الفائق، ولينَ الرُّضَّع ووطاء اللقايق، زهومة، وحياتك يا عزيز أني اشتوي لك بكفِّيك أو زندك عوض أيدك في زفر عوض طيب وقدر على حالك اليوم مبيح أحق ناراً، وقدر الله تبقى زهومته في سبالك ولحيتك، أو تدخل حفرتك، لا تُطعِم الأغيار بقتل نفسك بالجوع، هذا مِزاح البطَّالين، ومداعبة المتفرغين، ليس لك ها هنا إلا الباقلِّي القَيسي، والجُبن الخَيسي، والخَردَل الشَّامي، والزَّيت الفِلسطيني، وخَلَّكَ الثَّقفِ، وبقلُكَ القطف، وأنا صديقكَ ذاك الذي تعرفه، وخريدتك التي لاعدِمتها، وتلميذك دعبل يُغنيكَ بالطُّنبور:

مابُلِينا مِنذا الأُعيرجِ ياقوْ مُ بأمرٍ يُدعى الغداةَ وليدُهْ
يدَّعِي الشِّعَر والتَّرسُّل حيناً ويرَى أنهُ بجَهلٍ يُجيدُهْ

يشتَهي أن يُرى بِعَين ذَوِي الْفَضـ ـلِ ويـأبـى قَـفـاهُ ذَاك وجـيـدُهْ

فإن استقصيتَه زادك:

لا تَـشـغِـلـن سِـرَّك بـالـفَـرخِ فَـقَـد قَـرأنـا آيـةَ الـنَّـسـخِ

فـي بـاقَـلا الـقـيـسِـيِّ مُـسْـتـمـتَـعٌ يَـضـربُ بـالـفـرخِ قِـفـا الـكَـرخـي

هذا يا سيّدي الحاصل العتيد، ورأيك الموفَق السَّديد:

فـلـئـن أتـيـتَ لـتـحـمـدَنّ نَـصـيـحـتـي ولـئـن أبَـيـتَ لـتـنـدَمـنَّ وتَـبْـرَمَـا

والحمد لله وحده، وصَلواته علَى سيدنا مُحمد نَبِيه وآلِهِ وسَلامُه.

رسالة جوابية نثرية بدون نقط مقفّاة تشبه القصيدة النثرية:

وكتب ابن الخياط رسالة إلى أحد أصدقائه مسطّرة سطراً سطراً وآخر حرف من آخر كلمة كل سطر حرف الهاء وبدون إعجام وهي أشبه بقصيدة النثر[1]:

دَوامُ المَطْلِ والعِلَلِ ـ أطال الله عُمره،

وَأدام عُلُوّه وسُموّه، وأكمَدَ حَاسدَه وَعَدُوّه ـ

مُعِلٌّ للأمل، وأسرعُ الوَعدِ أحلاهُ

طَعْما وأمراهُ وِرداً، وأوطأه مَحملا، وأحمَده

مُحصِّلا، ولَوْ علم مَملوكُه لحلولِ وعده

مدةً معلومةً، أو عِدَّة محدودة، لَطاطاً لحكمه،

وسَلَّم لأمَره، وَلهُ عدة أهِلَّةٍ مُؤملا كرمه،

---

(١) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ١٣١.

ومَا عُلِم ممطولاً رَاصدا لوَعده،
ومَا عُهد مَعلولاً؛ وَلَمّا طَال أَمَدُ المَطَال، وعلا مملوكَهُ
سوءُ الحالِ، أَرادَ الآخِذُ أمرَه لهُ ـ أدام الله عُلوَّه ـ
لعلَّ طَولَهُ العامر المَعهود لعدَمه
طاردٌ، وكرمَه الواسعَ المحمُودَ لعُسرِ دَهره
حَاصدٌ، واللَّهِ ما أُؤمِّلُ سواه
راحماً، ولا أعلمُ أَحداً للسؤالِ سِواه
جاهلاً، والأملُ حُرمَةٌ والعِدَةُ
وَصلة، وهُو ـ أدَام اللَّهُ سمُوه ـ
أكرمُ مُؤمَّل، كَلاَ الحُرمةَ وحمَاها، وحَرس الوَصلةَ
ورعاها، أدام الله عُلاَهُ، وأهلك أعداهُ،
وسَهَّل لهُ مُرادَهُ، وَلا أعدمَهُ سدادَه،
والحمدُ لله كما هو أهلُه، وأسأله إكرامَهُ،
ومحمدٌ رسوله، والطُّهْرِ آله.

الباب الثاني

- المدارس والجامعات
- طباعة الكتب
- مكتبة القاهرة
- الفلك وعلم النجوم
- المستشفيات والصيدليات
- الخصائص الفنية للأدب الشيعي المصري

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

المدارس والجامعات في مصر الفاطمية

ليس من المعقول أن تبلغ حضارة مصر في ظل الدولة الفاطمية هذه الدرجة من الرقيّ والتطور، وأن لا يكون للمدارس والجامعات قسط وافر وسهم نافذ في دفع عجلة هذا التطوّر الحضاري.

والمدارس في العالم الإسلامي كانت معروفة في كل أصقاعه، وكان يطلق عليها اسم كتّاب أو مكتب، وكان أغلبها في إحدى زوايا كل جامع أو مسجد، أما الجامعات كجامعات بالمعنى المعاصر، فلم يعرف العالم الإسلامي الجامعة المعاصرة أيام الفاطميين إلا في القاهرة المعزّية. وقد استمرّت هذه الجامعة طيلة وجود الدولة الفاطمية في مصر وزالت بزوالها، وكان أول من أنشأها هو الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي وأطلق عليها اسم «دار العلم».

ويعزو أحد الباحثين المعاصرين عملية إقامة المدارس والاهتمام بها باعتبار المدرسة منبراً من منابر الجهاد الفكري والديني ضد الصليبيين «ذلك أن المسلمين عبّأوا جانباً كبيراً من قواهم لهذا الجهاد، فعملوا على فتح المدارس للمذاهب الأربعة، كلاً على انفراد،

أو مشتركة بين مذهبين أو بين ثلاثة مذاهب»[1].

ويشير هذا النص إلى مدى تقدم المشرفين على الدعوة الفاطمية الإسماعيلية في مجال العلوم العقلية والنقلية والفلسفية، وتفوّقهم تفوّقاً مميّزاً على خصومهم من أصحاب المذاهب الإسلامية الأخرى، وبالتأكيد، كان للمدارس وللجامعة التي كانت تقام فيها المحاضرات أو مجالس الدعوة، الأثر الكبير في تطور رعايا وأنصار الدولة الفاطمية، الفكري والعقلي، وجعلهم في مستويات حضارية وفكرية تفوق من كان في كنف السلطات المعادية للفاطميين.

ولم تكن الجامعات والمدارس محصورة في تعليم اللغة والتاريخ والعلوم القرآنية واللسانية، «ففي الحضارة العربية، عدد كبير من المدارس الطبية (كلية الطب). كان الخلفاء ونساؤهم ووزراء الدولة وأعيانها يتسابقون في إنشائها»[2].

وبعد أن تركّزت سلطة الخلفاء الفاطميين في مصر والمغرب والمشرق، بدأت المدارس تنفصل عن الجوامع والمساجد وتستقلّ بمبانيها وإدارتها وطلاّبها.

وقد وصف ول ديورانت طريقة التعليم في هذه المدارس بقوله «وكان التعليم الأولي (الابتدائي) يهدف إلى تقويم الأخلاق، والثانوي إلى معرفة العلم، وكان المعلم، يجلس مستنداً إلى عمود أو جدار

---

(١) علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي، ناجي معروف، ط ١، بغداد، مطبعة الإرشاد، سنة ١٩٧٣، ص ٢٢١.

(٢) أصالة الحضارة العربية، ناجي معروف ط ٣، بيروت، دار الثقافة، سنة ١٩٧٥، ص ٤٥٥.

المسجد، ويلقي دروساً في التفسير والحديث والفقه والشريعة، وحدث في وقت غير معروف أن وضعت الدولة هذه المدارس الثانوية تحت إشرافها، وتكلّفت بالإنفاق عليها، وأضافت إلى المنهاج الديني الأساسي، علم النحو، وفقه اللغة، والبلاغة والأدب والمنطق، والعلوم الرياضية والفلك. وكان علم النحو يلقي اهتماماً خاصاً لأنّ اللغة العربية كانت تعد أقرب اللغات إلى الكمال، وكان استعمالها ـ بدون خطأ ـ أهم ما يمتاز به الرجل المثقّف والمهذّب، وكان التعليم في هذه المدارس بالمَجان، وكان المعلمون والطلاب يتناولون مرتّباتهم ونفقاتهم من الدولة أو من أموال البر والصدقات، وكان شأن المعلم في هذه المدارس أعلى من شأن النصوص التي يعلّمها ما عدا النصوص القرآنية»[1].

يعقوب بن كلّس ينشيء أول مدرسة رسمية في القاهرة:

يخبرنا المقريزي أنّ الوزير يعقوب بن كلّس أول من أقام مدرسة بأمر من الخليفة العزيز براتب معلوم و «جار لطائفة من الناس بديار مصر، فعمل ذلك بالجامع الأزهر»، ثم أقام ابن كلّس في منزله حوزة علمية يدرس فيها طلاب العلوم الدينية الفقه على المذهب الجعفري واجتهادات الشيعة الإمامية الإسماعيلية في فتاوى هذا المذهب، والدراسة الحوزوية في بيوت المشايخ، ما زالت قائمة حتى اليوم في الصقع العاملي.

---

(١) قصة الحضارة، ول ديورانت، الجزء ١٣، ط ٢، القاهرة، جامعة الدول العربية، سنة ١٩٦٤، ص ١٦٨.

ولم تكن المحاضرات التي تلقى في المساجد والجوامع محصورة في جوامع القاهرة فقط، «بل كانت مجالس العلم منذ القديم هي المساجد الجامعة، يجلس فيها العلماء فيدرّسون الفقه ويملون حديث الرسول (ص).

وكان هذا النظام معمولاً به في كل مساجد الدولة الفاطمية والدول الإسلامية الأخرى، حتى المسجد الحرام في مكة.

أما الجامع الأزهر فبدأ أول ما بدأ مسجداً للصلاة، ولم تكن نية الخلفاء الفاطميين تحويله إلى جامعة علمية، فقد أشرنا إلى قيام الوزير يعقوب بن كلّس على إنشاء مدرسة بالقرب من بيته ومن الأزهر، أو كما أطلقنا عليها «حوزة علمية» وكانت تضم هذه الحوزة خمسةً وثلاثين طالباً برواتب ومنحة دراسية لكل طالب.

ثم نشأت فكرة اتخاذ الأزهر مكاناً لمدارسة العلوم الدينية والفقهية على المذهب الشيعي الإمامي الجعفري، وهو مذهب الدولة الرسمي.

وقد أشارت المراجع التاريخية أنّ المحاضرات والدروس التي كانت تلقى في الأزهر لم تكن محصورة في الرجال فقط، بل حتى كان النساء يحضرنها. وقد أقدم الخليفة الحاكم على تعبئة مكتبات ثلاثة جوامع بالكتب وهي جوامع: الأزهر، وجامع الحاكم وجامع المقس، ولو لم تكن هذه الجوامع أماكن دراسية ويحتاج الطلاب للمراجع والمصادر، لما كان الخليفة الفاطمي وضعها في هذه الجوامع.

ولم تقتصر الدراسة في هذه الجوامع الثلاثة فقط، فسلامة بن عبد الباقي كانت له حلقة تدريس في جامع عمرو بن العاص. وجامع ابن طولون ظل عامراً بالطلاب والمدرسين حتى بداية المجاعة العظمى أيّام المستنصر[1].

وكان الوزراء المصريون يبنون المدارس ويوظفّون لها المدرسيّن والمشايخ للتدريس فيها حسب مذهب الوزير لا حسب مذهب الدولة الفاطمية. عندما استوزر عليّ بن السلارّ الشافعي المذهب بنى مدرسة لتدريس المذهب الشافعي في مدينة الإسكندرية، وكان يرأس إدارتها الحافظ أبو الطاهر السلفي الشافعي، الذي قدم إلى الإسكندرية واستقر بها سنة ٥١١هـ.

وكذلك أنشأ الوزير رضوان بن ولخشي المالكي المذهب مدرسة بالإسكندرية لتدريس المذهب المالكي سنة ٥٣٢هـ.

وكانت القاهرة عاصمة الشيعة في العالم الإسلامي أما الإسكندرية فكان أغلب أهلها من السنة، لذلك، كان يلجأ الوزير السني إلى إقامة مدرسة باسمه في الإسكندرية لا في القاهرة، حفاظاً على التوازن بين الخلافة والوزارة «وكان الخليفة هو الذي يصدر الأمر بتعيين المدرسّين لا الوزير، ولكن بناء على اقتراح الوزير»[2].

---

(١) راجع: الأدب العربي في مصر، محمود مصطفى، ط ١، القاهرة، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والنشر، سنة ١٩٦٧، ص ٢٥٩.

(٢) الدولة الفاطمية في مصر، أيمن فؤاد سيد، ص ٢٦٧.

المحتسب يمنع ضرب الطلاب في المدارس:

عندما ذكر لنا المقريزي صلاحيات دائرة الحسبة في الدولة الفاطمية. قال إن رئيسها يدعى المحتسب ويجب أن يكون من المسلمين المشهود لهم بالتقى ومخافة الله وكان له نواب ومستخدمون في مصر والقاهرة وجميع أعمال الدولة الفاطمية، وكان مقر إدارته في جامعي القاهرة ومصر، يوم في القاهرة ويوم في مصر. ويطوف نوابّه على أرباب الحرف والمعايش كما يطوفون على المدارس «فينذرون معلّمي المكاتب بأن لا يضربوا الصبيان ضرباً مبرحاً، ولا في مقتل، وكذلك معلّمو السباحة، فيحذّرونهم من التغرير بأولاد الناس، ويقبضون على من يكون سيّء المعاملة فينهونه بالردع والأدب»[1].

فإذاً يكون ردع المعلمين بطريقة أدبية، لا بالسجن أو الطرد من الوظيفة أو حسم من الراتب. مما يشير إلى التطور الحضاري الذي وصلت إليه العملية التربوية والعلاقة التربوية بين المعلم والتلميذ في مصر الفاطمية.

الخليفة الحاكم ينشىء أول جامعة في العالم:

عندما يتحدّث المؤرّخون المعاصرون للدولة الفاطمية والمتأخرون عنها وأكثرهم من المعارضين لهذه الدولة والعاملين في طمس حضارتها وإنتاجها وتقدمها الإنساني، نجد أن أغلبهم لا

---

(١) م. س. نفسه. ص٢٦٨.

يستطيع طمس هذا الإنجاز الحضاري الإنساني ألا وهو الجامعة المصرية في القاهرة أو «دار العلم». فكلّ المؤرّخين، معاصرين لهذه الدولة، ومتأخرّين عنها، ومؤرّخو القرن العشرين، يشيرون إليها ويتحدّثون عنها بانبهار. فمتى أُنشئت دار العلم وما هي مواصفاتها؟.

وصفها أحمد بن علي المقريزي فقال: ودار العلم هذه اتخذها الحاكم بأمر الله، واستمرّت إلى أن أبطلها الأفضل بن أمير الجيوش. وفي سنة ٣٩٥هـ فتحت الدار الملقّبة بدار الحكمة في القاهرة، وجلس فيها الفقهاء، وحملت الكتب إليها من خزائن القصور المعمورة، ودخل الناس إليها ونسخ كل من التمس نسخ شيء مما فيها ما التمسه. وكذلك من رأى قراءة شيء مما فيها. وجلس فيها القُرّاء والمنجّمون وعلماء النحو واللغة والأطباء، بعد أن فرشت هذه الدار وزخرفت وعُلّقت على جميع أبوابها وممرّاتها الستائر. وأقيم لها قُوّام وخُدّام وفرّاشون وغيرهم. وسمّوا بخدمتها. وحصل في دار العلم من خزائن أمير المؤمنين الحاكم بأمر الله من الكتب التي أمر بحملها إليها من سائر العلوم والآداب والخطوط المنسوبة، ما لم يُر مثله مجتمعاً لأحد من الملوك قط، وأباح ذلك كلّه لسائر الناس على طبقاتهم، ممن يؤثر قراءة الكتب والنظر فيها. فكان ذلك من المحاسن المأثورة. وأجرى الأرزاق السنية لمن رسم له الجلوس فيها من فقهاء ودارسين. وحضرها الناس على طبقاتهم، فمنهم من يحضر لقراءة الكتب، ومنهم من يحضر للنسخ، ومنهم من يحضر للتعلّم. وجعل فيها ما يحتاج الناس إليه من الحبر

والأقلام والورق والمحابر، وكانت كل طائفة تحضر على انفراد للمناظرة والمحاضرة، من أهل الحساب، والمنطق، والفقهاء، وجماعة الأطباء»[1].

ميزانية جامعة القاهرة الفاطمية:

حدّد المقريزي ميزانية دار العلم في القاهرة أيام الخليفة الحاكم شهرياً فقال:

- مائتان وسبع وخمسون دينار ثمن حصر.
- تسعون ديناراً لورق النسخ.
- ثمانية وأربعون ديناراً للخازن.
- اثنا عشر ديناراً ثمن ماء.
- خمسة عشر ديناراً ثمن حبر وأقلام الأساتذة.
- دينار واحد لترميم الستائر.
- اثنا عشر ديناراً لإعادة تجليد الكتب المتشعثّة.
- خمسة دنانير لتنجيد المقاعد والطراريح.
- أربعة دنانير لشراء المخدات والطنافس.

وأقدم الأفضل بن أمير الجيوش على إقفال هذه الجامعة المفخرة، ولكن الخليفة الآمر، أعاد فتحها بعد موت الأفضل واستعادة السلطات من يد الوزراء.

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٤٥٩.

كليات جامعة القاهرة الفاطمية:

وإذا تمعنّا النظر في النص الذي أورده المقريزي عن الكليات التي كانت تضمّها هذه الجامعة نجد أنها كانت تضمّ الكليات التالية:

١ ـ المنجمون لتدريس علم الفلك أو كلية العلوم الفضائية.

٢ ـ علماء النحو لتدريس النحو واللغة أو كلية الآداب.

٣ ـ الأطباء أو كلية الطب.

٤ ـ الحساب والمنطق، أو كلية الهندسة.

٥ ـ مجالس الحكمة التأويلية أو كلية الفلسفة.

أسباب إقفال جامعة القاهرة الفاطمية (دار العلم):

عندما افتتح الخليفة الحاكم بأمر الله دار العلم أو الجامعة الفاطمية بالقرب من القصر الغربي في القاهرة أصدر أمراً بتعيين قاضي القضاة عبد العزيز بن محمد بن النعمان عميداً لها. «وظلّت تؤدي أغراضها العلمية ويقبل عليها الطلاب والعلماء من كل صوب، إلى أن كانت أيام وزارة الأفضل بن بدر الجمالي، وعلم الوزير أن جماعة من المتردّدين على دار العلم يحاولون بث دعوة إلحادية بين الطلاب، وأن بعضهم ادّعى الألوهية، فاضطر الوزير أن يغلق هذه الدار سنة ٥١٦هـ بعد أن عمرت أزيد من قرن. وكان لإغلاق هذه الدار وقع الصاعقة على الخليفة الآمر، وعلى العلماء والمدرّسين الذين يلقون المحاضرات فيها. وكان الخليفة الآمر مسلوب الإرادة أمام الوزير الأفضل، فسكت على مضض ولما قُتل الأفضل وتولّى الوزارة المأمون البطايحي، أعاد الخليفة الآمر فتح الجامعة (دار

العلم)، على ماكانت عليه. واستمرّت هذه الجامعة تدرّس وتخرّج الطلاب والعلماء حتى اندثار الدولة الفاطمية سنة ٥٦٧هـ[١].

الدعاة الشيعة يلقون المحاضرات الفلسفية والدينية من منابر دار العلم:

كانت دار العلم أهم قاعة لإلقاء المحاضرات على المنتسبين للدعوة الإمامية الإسماعيلية، وكان الدعاة يلقون هذه المحاضرات يومين في الأسبوع كل اثنين وكل خميس. وكانوا يطلقون على المحاضرة اسم: المجلس. وقد ترك لنا هؤلاء الدعاة مئات المحاضرات أو المجالس، كمجالس الدعوة لهبة الله الشيرازي التي سمّاها المؤرّخون: المجالس المؤيدية، والمجالس التي كان يقيمها دعاة الخليفة المستنصر والمسماة بالمجالس المستنصرية.

وعلى سبيل المثال، كان موضوع المحاضرة الثانية أو المجلس المستنصري الثاني: «ضرورة أخذ التأويل عن الوصي والأئمة»، بدأه داعي الدعاة، علم الإسلام بقوله: بسم الله الرحمن الرحيم: الحمد لله الجواد المثاب والمفضل الوهّاب... وصلّى الله على رسوله الصادق فيما أنزله عليه في الدعاء إلى عبادة الله والأخذ بحكم الكتاب وعلى القائم بالأمر بعده ذي الشرف والمناقب، علي بن أبي طالب، المفضّل بالنجم الثاقب، والمعطى المواهب، خير صِنوٍ وصاحب، وعلى الأئمة من ذرّيتهما الأبرار الأطايب.

ومما جاء في هذه المحاضرة أيضاً: فالقرآن العظيم هو هذا

---

(١) في أدب مصر الفاطمية، محمد كامل حسين، ط ١، القاهرة، مطبعة الحمامي، لا تاريخ، ص ٥٢.

الكتاب الكريم، وقرينه في التأويل الحيكم، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه أفضل الصلاة والتسليم، لأنّه في زمانه قرين القرآن والقرآن قرينه، وإنما يُسمّى الكتاب قرآناً لاقترانه بالعترة، يبيّن ذلك قول رسول الله (ص): «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنّهما لن يفترقا حتى يردّا عليّ الحوض، فالقرآن قرين كلّ واحد من الأئمة الطاهرين، ذريّة الرسول الأمين (ص)، في عصره، يدعو إلى أحكامه ويجاهد على إظهار أعلامه، ويبيّن للناس حلاله من حرامه. ومعلوم أن القرينين كل واحد منهما مستحقٌّ لاسم المقارنة، لاقترانه بصاحبه، فسميّ كتاب الله المنزل بالقرآن، لاقترانه بإمام كل زمان، لأن القرآن الكريم لا ينطق بما فيه، فقرنه الله تعالى، بمن ينطق به ويبيّن غرائبه»[1].

وقد وصف لنا المقريزي إقبال المصريين وتدافعهم على حضور وسماع المحاضرات التي يلقيها الدعاة في دار العلم، وأنّه قتل اثنا عشر مستمعاً في التدافع والتزاحم في إحدى المحاضرات[2] مما يدل على مدى اهتمام المصريين بالعلوم الدينية والفلسفية، علماً أنّ أموال النجاوى ـ (التبرعات الحزبية) كان الدعاة يجبونها خلال هذه المحاضرات، أي كان المستمع يدخل ليستمع إلى المحاضرة ويتبرع للدولة لا ليقبض من الدولة.

---

(١) المجالس المستنصرية، للداعي علم الإسلام ثقة الإمام، ط ١، القاهرة، دار الفكر العربي، لا تاريخ، ص ٢٩.

(٢) راجع: اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ٥٤.

مرسوم تعيين الطبيب ابن حسدية عميداً لكلية الطب في جامعة القاهرة:

كان الخلفاء الفاطميون يسعون لجمع أشهر العلماء المعروفين في الأقطار الإسلامية وتشجيعهم بالهجرة إلى مصر، ومن هذا القبيل، شجّع الخليفة الآمر بأحكام الله الطبيب الأندلسي أبا جعفر يوسف بن أحمد بن حسدية بالهجرة إلى القاهرة، فلما وصل ابن حسدية إلى القاهرة، استقبله الخليفة الآمر، بالتكريم والتعظيم وأقّر له «داراً بالقاهرة وراتباً وكسوة شتوية وعيدية ومخصّصات». ثم أصدر له مرسوماً يقضي بتعيينه عميداً لكلية الطب في دار العلم: محدّداً وظيفته وصلاحياته، جاء فيه:

«ولمّا كان من أشرف ما طرزت السّيرة بقدره، وأنفَس ما وشّحت الدول بجميل أثره، تخليد الفضائل وإبداء ذكرها، وإظهارُ المعارف وإيضاح سرّها، لا سيّما صناعة الطّبّ التي هي غاية الجدوى والنفع، ووُرُود الخبر بأنها قرينة إلى الشرع. لقوله ﷺ: «العلم علمان علم الأَديان وعلم الأبدان» خرج أمرُ سيدّنا ومولانا لِمَا يُؤثره بعُلُوّ همّته من إنماء العلوم وإشهارها، واختصاص الدّولة الفاطميّة بإحياء الفضائل وتجديد آثارها، ليبقى جمالُ ذلك شاهداً لها على مرّ الأيام، متّسِقاً بما أفشاه لها من المآثر الجمّة والمفاخر الجسام، لشيخنا أبي جعفر يوسف بن أحمد بن حسدية، أيّده الله، لصرف رعايته إلى شرح كتب أبقراط التي هي أشرف الكتب وأوفاها، وأكثرها إغماضاً وأبقاها، وإلى التّصنيف في غير ذلك من أنحاء العلوم، ممّا يكون منسوباً إلى الأوامر العالية، ورسم التّوفُّر على ذلك والانتصاب له، وحَمل ما يكمل أولاً أوّلاً إلى خزائن الكُتُب،

وإقراء جميع مَن يحضر إليه من أهل هذه الصُّنَاعة، وعرض من يدّعيها واستشفافه فيما يُعانيه؛ فمن كملت عنده صناعته فَليُجره على رسمه، ومن كان مقصّراً فليَستَنهِضه. واعتمدنا عليه في ذلك لكونه مُميزاً في البراعة في العُلوم، متصرّفاً في فنونها، مُقدَّماً في بَسطها وإظهار مكنُونها، ولأنَّه يبلغ الغرض المقصود في شرح هذه الكتب ويُوفى عليه، ويَسلُك أوضح السُّبل وأسَدَّها إليه، وفي جميع ما شرع له. فليشرع في ذلك مستعيناً بالله، مُنفَسِح الأمل بإنهاضِنا له، وجميل رأينا فيه، بعد ثبوته في الدّواوين إن شاء الله تعالى. وكتب في ذى القعدة سنة ست عشرة وخمسمائة».

فانتَصبَ لِطَالبي علم الطبّ وأقبل أَطبّاء البلدين إليه، واجتمع في أيدي الناس من أماليه كثير، وجعل له يومين في الجمعة يشتغل فيهما، ويتوفَّر في بقيّة الأسبوع على التَّصنيف، وحمل ذلك إلى الخزائن؛ واستخدم كاتبين لِتبييض ما يؤلّفه»[1].

طريقة طبع الكتب:

كانت صناعة الورق من الصناعات المشهورة في مصر الفاطمية. وكان المسلمون قد تعلموا هذه الصناعة من أهالي سمرقند، فقد وجدوا أن السمرقندين يعجنون الكتّان وبعض النباتات ذات الألياف ثم يعمدون إلى تجفيف العجينة ويستخرجون منها رقائق ورقية رفيعة، فاستخدمها المسلمون بعد أن كانوا يستخدمون الجلود

---

(١) راجع: اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ٩٤ ـ ٩٥.

وسعف النخل للكتابة والمراسلات. وقد كثر نسخ الكتب وبيعها، «وقد ذكر اليعقوبي في تاريخه أنه كان في بغداد على أيامه أكثر من مائة حانوت لبيع الكتب»[1] وكانت هذه الحوانيت مخصّصة لنسخ الكتب وبيعها.

وقد أخبرنا المقريزي أن راتب الناسخ كان من الرواتب العالية في الدولة الفاطمية، فعلى سبيل المثال، كان راتب يانس الناسخ عشرة دنانير ذهباً شهرياً وثلاث رزم كسوة، فضلاً عن الهبات والرسوم المقررة في الأعياد، وهذه الهبات والرسوم تفوق الراتب السنوي لكثرة المناسبات والأعياد التي يقيمها الخلفاء الفاطميون.

الفاطميّون مظلومون حتى ولو تركوا التشيّع وعادوا إلى السنة والجماعة:

عندما يتحدث الكاتب المصري المعاصر عبد المنعم حماده عن دار العلم والقاهرة يقول: «وهكذا ابتسم الزمان للقاهرة عصوراً بلغت فيها أوج العظمة والمجد وكانت بحقّ عاصمة الحضارة الإسلامية التي أنارت كثيراً من الجوانب المظلمة في الشرق والغرب... وإذا كانت الحقيقة تقتضينا أن نثبت ذلك ونشير إليه، فإننا نقرّر مع ذلك أن الفاطميين كانوا أكثر اهتماماً بنشر الدعوة الشيعية من أي أمر آخر»[2].

فإذاً، لم تكن دار العلم معدّة إلا لنشر الدعوة الشيعية فقط بنظر

---

(١) قصة الحضارة، م.س. ص ١٧٠.

(٢) مصر والفتح الإسلامي، عبد المنعم حمادة. م.س. ص ١٧٩.

هذا الكاتب، علماً أن المقريزي وابن الطوير وابن المأمون والمسبحّي أكدّوا تدريس كافة العلوم المعروفة في ذلك الزمن في هذه الجامعة، إلى جانب تدريس علوم الباطن والظاهر أو علوم الفلسفة التأويلية، والسماح في نفس الوقت لأصحاب المذاهب السنية الأربعة بتدريس فقههم ومذاهبهم.

وهناك كاتب مصري آخر ومعاصر لا يحمد الخلفاء الفاطميين على بناء هذه الجامعة إذ يقول: «وإذا أضفت إلى هذه المساجد «دار العلم» التي أنشأها الحاكم وجعل فيها القرّاء والمنجمّين وأصحاب النحو واللغة لمساعدة طلاب العلم بما يريدون من تحصيل، عرفت مدى ما كان عند هذه الدولة من جهد في سبيل إعداد معاهد العلم، وهو جهد لا نحمده كثيراً لهذه الدولة العظيمة في كل مظاهرها»[1].

يقف القارىء مدهوشاً أمام هذا التنكّر والإنكار من قبل أحد المثقفين المصريين المعاصرين لتاريخ أهله وبلده وعاصمته ولسبب واحد: أنهم مسلمون على مذهب مخالف لمذهبه.

---

(١) الأدب العربي في مصر، محمود مصطفى، م.س. ص ٢٦٠.

إحدى عجائب الدنيا، مكتبة القاهرة الفاطمية

لم تكن هي المرة الاولى التي يعرف فيها الشعب المصري مكتبة عامة ضخمة كالمكتبة التي أسّسها الفاطميون في القاهرة، والتي استمرّت تكبر وتنمو طوال الحكم الفاطمي، حتى انقلاب صلاح الدين، الذي استمرّ ببيع كتبها لمدة عشر سنوات.

فقد عرفت مصر قبل دخول الإسلام مكتبة الإسكندرية الضخمة ولكن لم يكن يوجد والٍ على مصر حينها، بمستوى عظمة هذه المكتبة، كما وانّه لم يفقه أو يسمع بقول النبي الكريم: اطلبوا العلم ولو في الصين.

ولم يكن يعلم انّ الفكر الإسلامي، فكر إلهي أرفع من فكر البشر، ولا وَلَنْ يستطيع اي فيلسوف أو عالم أو مفكّر أن يضاهيه أو يتجاوزه أو يبزّه. وكيف وإذا كان هذا الفكر منطلقاً لعلوم أهل بيت النبي ـ عليهم السلام ـ، فهذه حضارة وفكر القرن العشرين قد تجاوزناها لعتبة الألفية الثالثة، ولم يستطع الفكر الغربي الإلحادي أو الراسمالي، تحت أي غطاء ـ عولمة ـ أو أي مصطلح مستجدّ، أن يهزم فكرنا الإسلامي العميق الجذور، المنتشر في السماوات السبع

والأرضين السبع، مداميكه القرآن والسنة، وحرّاسه ومفسّروه أهل بيت النبي مع علماء المسلمين، وثماره، الاستشهاديون والمجاهدون في سبيل إعلاء كلمته، كلمة الله النافعة الساطعة.

عمرو بن العاص يحرق مكتبة الإسكندرية:

يقول المقريزي انّه كان في الإسكندية عمود من حجر الصوان الأحمر ارتفاعه سبعون ذراعاً (٤٧م) وقطره خمسة أذرع (٣,٣٥م) وارتفاع قاعدته السفلي ١٢ ذراعاً (٨ أمتار) وارتفاع قاعدته العليا سبعة أذرع ونصف (خمسة أمتار)، مما يعني أن ارتفاعه يصبح من قاعدته ورأسه ستين م. ويقول المقريزي أن هذا العمود كان في الأساس أحد عدة أعمدة في دار العلم بالإسكندرية (جامعة) التي كانت تضم مكتبة ضخمة، «أحرقها عمرو بن العاص بإشارة من عمر بن الخطاب رضي الله عنه». أما أعمدة الجامعة التي لم يبق منها إلا هذا العمود «كان حوله أربعمائة عمود كسّرها قراجا والي الإسكندرية بطلب من صلاح الدين يوسف بن أيوب ورماها بشاطىء البحر ليوعر على العدو سلوكه إذا قدموا»[1]. وهذا دأب الأيوبيين أينما حلّوا: التدمير والتحريق والتخريب.

وكان مركز هذا القصر في كرموز، وأسَّسَ المكتبة ودار العلم فيه، بطليموس الأوّل، وقد التحق بها العديد من الطلاب والمفكرين وعهد بإدراتها إلى كاليماكس وهو عالم كبير، قام بوضع دليل واف

---

(١) راجع: الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ١٥٩.

لموجودات المكتبة، سهّل فيه على طلاّبها وروّادها طريقة مراجعة الكتب التي يريدونها. وكانت أول مكتبة مفهرسة في العالم، وقد كانت زاخرة بآلاف الكتب النادرة، حتى وصل عدد مجلداتها إلى أربعة آلاف مجلدة إضافة إلى تسعين ألف مجلّدة مخزونة في السرايا الملكية في الإسكندرية، لكنها كانت بمتناول من يطلب الاطلاع عليها حيث أنّ الإسكندرية كانت عاصمة مصر، قبل دخول الإسلام[1].

ويقول الباحث المصري حسن إبراهيم حسن أنه نُسب إلى عمرو بن العاص أنّه هو الذي أمر بإحراق مكتبة الإسكندرية، وقد حاول دفع هذه التهمة عنه وتبرئته مع أن أكثر المؤرّخين الإسلاميين أكدوا حرقه لها كالرحالة عبد اللطيف البغدادي وأبو الفرج الملطي، ويقول إنّ المقريزي نفى عنه هذه التهمة، بينما المقريزي لم ينفها بل أكدّها في الخطط المقريزية، الجزء الأول، الصفحة ١٥٩.

تفاخر الفاطميين باقتناء الكتب:

وتحت عنوان: خزانة الكتب كتب المقريزي فقال نقلاً عن المسبّحي: وذكر عند العزيز بالله كتاب العين للخليل بن أحمد، فأمر خازن كتبه فأخرج من خزانته نيّفاً وثلاثين نسخة من كتاب العين، منها نسخة بخط الخليل بن أحمد، وحمل إليه رجل نسخة من كتاب تاريخ الطبري اشتراهابمائة دينار، فأمر العزيز خزّان المكتبة،

---

(١) راجع: مصر في العصور الوسطى، م.س. ص ٤٩.

فأخرجوا منها ما ينيف عن عشرين نسخة من تاريخ الطبري، منها نسخة بخط الطبري. وذكر عنده كتاب الجمهرة لابن دريد، فأخرج من الخزانة مائة نسخة منها[1].

وروى المقريزي أنّه عندما حاول الشريف أبو جعفر مسلم بن محمد بن عبيد الله الحسيني التباهي بامتلاك المصحف الكبير الذي كان ليحيى بن خالد البرمكي، قال له المُعزّ: أراك معجباً به، وهو يستحقّ الإعجاب ولكن نفاخرك نحن أيضاً ـ ودعا بمصحفين كل مصحف أحسن من مصحف البرمكي، خطاً وتذهيباً وتجليداً.

ويخبرنا ابن الأثير أنّ الخليفة الحاكم بأمر الله أرسل سنة ٤٠٠ للهجرة «من مصر إلى المدينة ففتح بيت جعفر الصادق وأخرج منه مصحف وسيف وقعب وسرير» وقد علق محقّق الكتاب في الهامش أنّ الخليفة الحاكم سرق بيت جعفر الصادق وصوّر الحاكم أنه بخيل «أطلق لهم نفقات قليلة» لقاء سرقة بيت الإمام الصادق، مع العلم أنّ المال الذي أنفقه الحاكم على المصريين، يتجاوز أموال كل الذين ادّعوا أو تسنّموا هذا المنصب من كل الطوائف عبر التاريخ الإسلامي[2].

وقد أكثرت كتب التاريخ الإسلامي من الهزء والسخرية ممن يبيع كتبه، فعلى سبيل المثال، ذكروا أن الحسن بن علي بن يونس، أشهر منجمّي وفلكيّي الخليفة الحاكم، وقد كان يملك مكتبة فلكية

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٤٠٨.

(٢) الكامل في التاريخ، الجزء السابع، ص ٢٤٩.

وموسيقية وتاريخية وأدبية ولكنه مات «وخَلَّفَ ولداً متخلّعاً باع كتبه وجميع مصنّفاته بالأرطال في الصابونيين»[1].

ولم يكن الفاطميون عسكريين قنعوا بفتح مصر وتسلّطوا على أمورها، بل كانوا ينافسون خلفاء بغداد والأندلس، ويريدون أن تكون لهم السيادة العسكرية والفكرية والدينية على العالم الإسلامي كلّه. ومن أجل هذا، أنشأوا من المؤسسات ما يضمن لهم علو الصيت وحسن السمعة، وكانت المكتبة من أهم هذه المؤسسات ودعامة كبيرة من دعائم حكمهم.

وقد اتجهوا اتجاهاً تفّردوا به، بين حكامّ عصرهم، في تكوين مكتبتهم. فقد كانوا يحرصون على أن يجمعوا بها جميع النسخ الموجودة من بعض الكتب، حتى تكون مكتبتهم المكان الوحيد الذي يوجد به هذا الكتاب أو ذاك. فإذا جمعوا مئات النسخ من كتاب ما، ثم ظهر لهم أنه لا تزال هناك نسخة منه بعيدة عن مكتبتهم، أظهروا استعدادهم لأن يدفعوا فيها ثمناً باهظاً مهما بولغ فيه، ليصلوا بذلك إلى هدفهم.

وقد أشار العديد من المؤرخين كالمقريزي والمقدسي أبو شامة إلى الأرقام الخيالية التي كانت تضمّها مكتبة القاهرة. منهم من قال إنها تضم مليوناً وستمائة ألف كتاب ومنهم من قال مليونين ومنهم من قال ثلاثة ملايين كتاب[2].

---

(١) شذرات الذهب، الجزء الثالث، ص ١٥٧.

(٢) تاريخ التربية الإسلامية، أحمد شلبي، ط ٧، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٨٠، ص ١٩٦.

ويحكي ابن أبي أصيبعة في طبقاته، أنّ الطبيب المصري أبو كثير أفرايم بن الحسن بن يعقوب الإسرائيلي المذهب، ورث مكتبة أستاذه طبيب الخليفة الحاكم بأمر الله علي بن رضوان، فأتاه أحد دلالي الكتب العراقيين بقصد شراء بعض مكتبته التي كانت تحتوي على أكثر من عشرين ألف كتاب، فاتفق مع الدلال العراقي على بيع عشرة آلاف مجلّد بثمن معلوم، فوصل الخبر للوزير الأفضل بن بدر الجمالي، فأرسل إليه من منعه من بيعها كي لا تخرج من الديار المصرية ودفع له ثمنها بالكامل[1].

وقد علّقت المستشرقة الألمانية زيغريد هونيكه على هذا الأمر بقولها[2]:

وقدّم التاجر الدلال للطبيب عرضاً مغرياً لشراء عشرة آلاف مجلدة من كتبه، وقرر الطبيب الموافقة على ذلك العرض. ولكن أخبار الصفقة وصلت إلى آذان الوزير الأفضل، وكان الأفضل من عشاق العلم الذين يقدّرون قيمته وقدسيّته فثارت فيه نزعة وطنية لإقليمه مصر، واستدعى الطبيب وأقنعه بوجهة نظره في ضرورة المحافظة على تلك الكتب لبلده. ودفع الوزير من ماله الخاص المبلغ الذي كان التاجر العراقي قد عرضه ثمناً لتلك الكتب. وبذلك ضاعت مجهودات التاجر العراقي التي بذلها في سفره واتصالاته.

---

(١) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الثالث، ص ١٧٥.

(٢) شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوروبا، زيغريد هونيكه، ط ٨، بيروت، دار الآفاق الجديدة، سنة ١٩٩٣، ص ٣٩١.

وتضيف زيغريد هونيكه قائلة: لم يكن ما فعل الأفضل من اهتمامه الزائد بالعلم والكتب والفن، بل واشتغاله بالفلك وقرضه للشعر، كل ذلك لم يكن شيئاًنادراً في ذلك العصر. فقد ألف الناس وجود أمثال تلك المواهب. فالعلوم والآداب كانت هوايتهم، كما يعشق الناس اليوم، لعب الكرة. وكان ينظر لمن لا يساهم في تلك النهضة نظرة فيها الكثير من الازدراء[1].

الحاكم بأمر الله ينشىء مكتبة القاهرة العامة:

ذكر المقريزي في خططه أنّ سنة افتتاح المكتبة العامة في القاهرة كان سنة ٣٩٥ هجرية أي كان للخليفة الحاكم من العمر عشرون سنة ووصف عملية الافتتاح بقوله: وفي جمادي الآخرة من هذه السنة فتحت دار الحكمة بالقاهرة وجلس فيها القرّاء وحملت إليها من خزائن القصور. ودخل الناس إليها، وجلس فيها القرّاء والفقهاء والمنجّمون والنحاة وأصحاب اللغة والأطباء، وحصل فيها من الكتب في سائر العلوم ما لم يُر مثله مجتمعاً. وأجرى الحاكم على من فيها من الخدّام والفقهاء الأرزاق السنية، وجعل فيها ما يحتاج إليه الناس من الحبر والأقلام والمحابر والورق[2].

وليس هذا بجديد على مصر وشعب مصر، فمكتبة الإسكندرية كانت أول تجربة مكتبية في التاريخ الإنساني، والمكتبة الفاطمية، هي الدليل الحيّ على عظمة هؤلاء الناس.

---

(١) راجع: شمس العرب تسطع على الغرب، م.س. ص ٣٩٢.

(٢) راجع: الخطط المقريزية، الجزء الثاني، ص ٣٤٣.

وقال الباحث محمد حلمي أحمد: إنّ هذه المكتبة كان تحتوي على أربعين مخزن، ومن جملة كتبها ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة، وثلاثون نسخة من كتاب العين إحداها بخط الخليل بن أحمد الفراهيدي ومائة نسخة من كتاب الجمهرة لابن دريد. وكان الخليفة نفسه يزورها ويستعير الكتب منها ثم يعيدها[1].

أما ابن كثير فقد قال: إنّ أكثرها نُهب أيام الشدة المستنصرية، وبقي فيها حتى أيام نهبها من قبل صلاح الدين الأيوبي مليونا كتاب.

أجلاف الأتراك ينهبون المكتبة كي يصنعوا من جلودها نعالاً:

وعندما حلّت المجاعة بمصر أيام الخليفة المستنصر واستولى أجلاف الأتراك على مقدّرات البلاد، أخذوا يستوفون رواتبهم ومخصّصاتهم عبر نهب موجودات قصور الخلافة، وقد أشرنا إليها في فصل سابق، ويقول القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه الذخائر والتحف، أنّ الأتراك أخرجوا من خزائن كتب القصر ثمانية عشر ألف كتاب في العلوم القديمة وألفين وأربعمائة ختمة في ربعات بخطوط منسوبة محلاّة بذهب وفضّة. «وأخذ جميع ذلك الأتراك ببعض قيمته». وأخرجوا منها أيضاً، وفي يوم واحد خمسة وعشرين جملاً محمّلة كتباً.

ولم يكتفوا بنهب مكتبات قصور الخلافة بل ارتدوا إلى مكتبة

---

(١) راجع: اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ٢٥٥.

القاهرة العامة وخزائن الجامعة «دار العلم» فنهبوها، ومن كثرة ما صار إليهم بالابتياع بالأثمان الزهيدة أو الغصب من الكتب الجليلة المقدار، ممّا لا يعد ولا يوصف أخذ عبيدهم وإماؤهم وأجلافهم ينزعون جلودها ويصنعون منها نعالاً لأرجلهم، وقال المقريزي: «إنهم أحرقوا ورقهاتاوّلا منهم أنها أخرجت من القصر لما فيها ما يخالف مذهبهم». فصار رمادها تلالاً. وغرق منها وتلف ووصل منه إلى الأمصار ما يتجاوز الوصف[1].

وكما قلت، هذا دأب الأكراد والأتراك،والتاريخ خير شاهد على جلافتهم،وما انتهى إليه العلم والحضارة العربية والإسلامية في عهودهم المظلمة.

وتصّور أيها القارىء مكتبة تضم أكثر من ثلاثة ملايين كتاب، كما أن حجم كتاب تلك الأيّام وهو ضعف حجم كتاب هذه الأيام إن لم يكن أكثر، وتصوّر ضخامة هذه المكتبة وكبرها واتساعها وكثرة رفوفها ومقاعدها وطاولات المطالعة فيها.

وتخيّل عدد الموظّفين المشرفين عليها وعلى ترتيب كتبها، وحجم الميزانية السنوية المخصصّة لها، واستنتج المستوى الحضاري اللائق والمشعّ الذي وصل إليه الشعب المصري في ظلّ أهل البيت وعلوم أهل البيت، أصحاب الإسلام الصافي الأصيل، الخالي من الأكدار والشوائب.

---

(١) راجع: اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ٢٩٥.

كيف كانت تتم طباعة الكتب:

عندما يحدّثنا المقريزي عن أول وزير مصري في الدولة الفاطمية، يصف لنا مجلس الوزير يعقوب بن كلّس، وزير الخليفة المعزّ لدين الله وولده العزيز فيقول عن مجلسه: و«كان في داره عدّة كتّاب ينسخون القرآن الكريم وكتب الفقه والطب، وكتب الأدب، وغيرها من العلوم، فإذا فرغوا من نسخها قوبلت وضبطت وأجرى عليهم الأرزاق والرواتب»[1].

وكان في مصر سوقٌ للكتب وكله حوانيت متخصّصة ببيع الكتب أي كلّه مكتبات، تبيع الأقلام والقراطيس وطلاحي الورق والكتب على أنواعها، كما كانت تتعهد بنسخ الكتب لمن يرغب حيث كان في كلّ مكتبة ناسخ حسن الخط.

وقد نقل المقريزي عن أحد الشعراء يمدح هذا السوق ويذم غيره بقوله[2]:

مجالسة السوق مذمومة ... ومنها مجالسٌ قد تحتسبْ

فلا تَقْرَبَنْ غير سوق الجياد ... وسوق السلاح وسوق الكتب

فهاتيك آلة أهل الوغى ... وهاتيك آلة أهل الأدب

وقد ذكر المقريزي أنّ راتب أبي الحسن طاهر بن باشاذ النحوي الناسخ، «كان في كل شهر ثلاثون ديناراً وغلّة لتجليد ما يكتب كما كان يعرض عليه جميع ما ينسخ، فإذا وافق عليه، أمر به فدفع لأربابه».

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الثاني، ص ٦.

(٢) الخطط المقريزية، الجزء الثاني، ص ١٠٢.

وكان الفاطميون عندما يسمعون بوجود ناسخ حسن الخط، يستدعونه للعمل في دواوينهم وخزائن كتبهم، فقد أخبرنا أحمد بن علي المقريزي في حوادث سنة ٥٠٦ للهجرة أنّ الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، أرسل وراء «يانس الناسخ من الشام، واستخدمه في خزانة كتبه بعشرة دنانير في الشهر وثلاث رزم كسوة في السنة مع الهبات والرسوم التي تمنح في الأعياد[١]. وفي رسالة موجّهة من الخليفة المنصور والد المعزّ إلى الأستاذ جؤذر نفهم منها أنهم كانوا يهتمون كثيراً بنسخ الكتب وأنّ وظيفة الناسخ وظيفة مهمة عندهم، فقد جاء في هذه الرسالة: «بعثت إليك كتبي وكتب الأئمة آبائي الطاهرين، فأقررها عندك مصونة من كل شيء، فقد وصل الماء إلى بعضها، وما من الذخائر شيءٌ هو أنفس عندي منها، فأمر محمّداً كاتبك أن ينسخ لك منها ثلاثة كتب...»[٢].

أفضل هدية للخلفاء الفاطميين: حمل خمسة عشر جملاً من طلاحي الورق:

الطلحية بلهجة قبيلة عاملة اليمنية القاطنة جنوب لبنان، تعني ورقة بيضاء مزودجة، وكانت طلاحي الورق هي أجمل وأثمن هدية يقبلها الخلفاء الفاطميّون، فقد أخبرنا المسبحّي عن وصول أحد التجار الشيعة الإسماعيليين من خراسان في الثاني والعشرين من شهر صفر سنة ٤١٥ هـ، حاملاً إلى الحضرة المطهّرة هدية عبارة

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الثاني، ص١٠٢.

(٢) سيرة الأستاذ جؤذر، أبو علي منصور العزيزي الجؤذري، ط ١، القاهرة، مطبعة الاعتماد بمصر سنة ١٩٥٤، ص ٥٣.

عن «خمسة عشر ناقة محمّلة ورقاً طلحيّاً، فقبل ذلك منه أحسن قبول»[1].

وكان الفاطميّون يهتمّون بكل لوازم الكتابة والنسخ، فقد أخبرنا القاضي ابن الزبير في كتاب الذخائر والتحف، أنّ الأقلام المستخرجة من قصر الخليفة المستنصر أيام المجاعة قدرت بالآلاف، ووجد منها الصناديق المملؤة بالأقلام المبرية من القصب والفلفل الهندي، ومنها ما هو من براية ابن مقلة وابن البوّاب.

كما أخرج من قصر المستنصر «عدة صناديق كبيرة مملؤة بأنواع الدويّ المربّعة والمدوّرة والصغار والكبار والمعمولة من الذهب والفضة والصندل والعود والأبنوس والعاج وسائر أنواع الخشب المحلاّة بالجوهر والفضّة والذهب، وسائر أنواع الحلى الغريبة والصنعة المعجزة الدقيقة، بجميع آلاتها وأقلامها، فيها ما يساوي الألف دينار وما فوق، سوى ما عليها من الجواهر»[2].

المصريون على دين خلفائهم: مكتبة الأفضل بن بدر الجمالي نصف مليون كتاب ودواة باثني عشر ألف دينار:

وعندما قتل الوزير الأول، الأفضل بن بدر الجمالي سنة ٥١٥هـ، صادر الخليفة الآمر خزائنه وبيوته، ومما وجد في متروكاته «دواة يكتب منها، مرصّعة بالجواهر، قُوِّم جوهرها باثني عشر ألف دينار» وخمسمائة ألف مجلّدة من الكتب العلمية.

---

(١) راجع: أخبار مصر في سنتين، ص ٥٠.

(٢) راجع: اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ٢٨٥.

فإذا كان الوزير يملك مكتبة فيها هذا القدر من الكتب، فكيف بقية الكتاب والقوّاد والأمراء والأدباء والعلماء والقضاة والشعراء.

ولعل القاهرة، كانت مخزناً يعج بالكتب والعلم والعلماء طيلة الحكم الفاطمي.

القاضي الفاضل علي بن عبد الرحيم البيساني يشجع على نهب مكتبة القاهرة العامة:

أكثر مؤرّخو تلك الحقبة من نهاية الدولة الفاطمية وابتداء الدولة الكردية من الإشارة إلى القاضي الفاضل، منهم من يقول إنّ اسمه عبد الرحيم بن علي البيساني ومنهم من يقول إنه علي بن عبد الرحيم البيساني، وكلهم لا يذكرونه إلا عندما يتحدّثون عن طريقة سرقته لأثمن وأنفس كتب المكتبة الفاطمية المصرية. فقال المقدسي أبو شامة، «أنّه حصل للقاضي الفاضل قدر كبير منها، حيث شغف بحبّها، وذلك أنّه كان يدخل إليها، يعرف المعتبر منها، فكان يقوم بقطع جلد كل كتاب يصلح له ويرمي جلده في بركة ماء، ويقوم بشرائها على أنها كتب «مخرومات»، ثم يقوم بتجليدها من جديد[1].

وذكر ابن أيبك الصفدي أنّ أخا القاضي الفاضل وحده استطاع نهب ما لا يقل عن مائتي ألف كتاب من مكتبة مصر الفاطمية[2].

وذكر أحمد بن علي الحريري أنّ قراقوش كان يبيع موجودات المكتبة مع جملة ما يبيع من موجودات القصر، وكلّها يعود ثمنها

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين، الجزء الثاني، م.س. ص ٥٠٧.

(٢) راجع: الوافي بالوفيات، المجلد ١٩، م.س. ص ٨٢.

لصلاح الدين الأيوبي، «واستمر البيع على ما في القصر نحو عشر سنين بما في ذلك الكتب»[1].

وقد نقل القاضي الفاضل وأخوه من المكتبة الفاطمية إلى الشام حمولة ثمانية جمال، وأكثرها ممزق الجلد على يد القاضي الفاضل وأخيه.

الملك الكامل الأيوّبي يسترجع مسروقات القاضي الفاضل: حمولة ١٨٠ جملاً.

يخبرنا المقريزي أنّ القاضي الفاضل، علي بن عبد الرحيم البيساني، باع ما باع من الكتب المنهوبة وأبقى الغالي والنفيس منها، وقد توفي بعد وفاة صلاح الدين الأيوبي ببضع سنوات، وترك مكتبته إلى ولده القاضي أحمد. وروى المقريزي في أخبار سنة ٦٢٦ للهجرة، «وفي خامس جمادي الأولى، وقعت الحوطة على دار القاضي الأشرف أحمد بن القاضي الفاضل، وحُملت خزائن كتبه جميعها إلى قلعة الجبل، وكان جملتها ثمانية وستون ألف مجلدة وقد حملها ستون جملاً على ثلاث دفعات[2].

لقب علي بن عبد الرحيم البيساني: القاضي الفاضل، ولقب ولده أحمد القاضي الأشرف، فإذا كان الفاضل والأشرف يستطيعان سرقة ثماني وستين ألف مجلّدة، فكيف ولو كانا يلقبّان بغير هذه الألفاظ: فما تكون ثروتهما.

---

(١) راجع: منتخب الزمان، م.س. ص ٣٠٤.

(٢) السلوك لمعرفة دول الملوك، المقريزي، الجزء ص .

وصف المقريزي للمكتبة الفاطمية الكبرى:

كان الفاطميّون يطلقون على هذه المكتبة اسم خزانة الكتب. وقد تعرّضت للنهب مرتين، المرّة الأولى في المجاعة العظمى أيام الخليفة المستنصر بالله من سنة ٤٦١ حتى سنة ٤٦٧ هـ. فقد ذكر المقريزي نقلاً عن المسبحّي أنّ الوزير أبا الفرج محمد بن جعفر المغربي أخرج منها «حمولة خمساً وعشرين جملاً كتباً» وحسبها بخمسة آلاف دينار علماً أنّ ثمنها يبلغ ملايين الدنانير. «وقد ذكر ذلك من له خبرة بالكتب». ونهب منها الوزير ابن أبي كدينة أكثر مما نهبه أبو الفرج، ونهب منها ما قدر عليه والي الإسكندرية أبو الفضل بن المحترق، وكان من أنصار ناصر الدولة بن حمدان «سوى ما ظفرت به لواتة من الكتب الجليلة المقدار، المعدومة المثل في سائر الأمصار صحة وحسن خطّ وتجليد وغرابة».

ووصف المقريزي هذه المكتبة فقال: خزانة الكتب كانت في إحدى مجالس المارستان اليوم (٨٣٠هـ) وتحتوي هذه الخزانة على عدّة رفوف في دور ذلك المجلس العظيم والرفوف مقطّعة بحواجز، وعلى كل حاجز باب مقفل بمفصّلات وأقفال. وفيها من أصناف الكتب ما يزيد على مليونين ومائتي ألف كتاب في الفقه على سائر المذاهب، والنحو واللغة وكتب الحديث والتواريخ وسير الملوك والنجامة (علم الفلك) والروحانيات والكيمياء. ومنها النواقص التي ما تُمّمت. كل ذلك بورقة مترجمة (فهرست) ملصقة على باب كل خزانة. وفيها من المصاحف الكريمة في مكان فوقها. وفيها ما هو مكتوب بخط ابن مقلة ونظائره كابن البواب وغيره. وكان فيها من النسّاخ

والفراشين العدد المطلوب. وقد ذكرها ابن أبي طي فقال عنها: «ومن جملة ما باعه صلاح الدين خزانة الكتب، وكانت من عجائب الدنيا، ويقال أنّه لم يكن في جميع بلاد الإسلام دار كتب أعظم من التي كانت بالقاهرة في القصر، ويقال إنّه كان فيها ألف ومائتان نسخة من كتاب تاريخ الطبري إلى غير ذلك. ويقال أنّها كانت تشتمل على «ألفا» ألف وستمائة ألف كتاب. باع منها دلاّل الكتب بتكليف من صلاح الدين الأيوبي ويدعى ابن صورة جملة منها في عدة أعوام[1].

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

(١) راجع: الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٤٠٩.

أهمية الفلك وعلم التنجيم في حياة الفاطميين

لم يخرج الخلفاء الفاطميون عن سيرة كل من سبقهم في حكم مصر، منذ الفراعنة وحتى كافور الإخشيدي في مجال الإهتمام بالفلك وعلم التنجيم.فكتب التاريخ مليئة بالأخبار والمرويات التي تشير إلى اهتمام الفراعنة واليونان والرومان والبيزنطيين وحتى المسلمين الذين حكموا مصر، بالفلك والنجوم والمراصد والأزياج.

أقسام علم الفلك أيام الفاطميين:

أشار المقريزي إلى أنّ علم الفلك ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: أو علم الهيئة:

وهو مختص بمعرفة عدد النجوم، وطريقة تكوينها، وبعدها عن بعضها وعن الأرض والشمس والقمر، ومعرفة حجم كل منها ومعرفة حركتها حول نفسها وحول غيرها من الأجرام السماوية، ومعرفة برج كل نجم.

القسم الثاني: وهو علم الزيج أو التقويم:

وهو مختص بتحديد أحجام وأبعاد كل نجم.

القسم الثالث: ويطلق عليه اسم علم الأحكام.

ويختص هذا العلم بمعرفة كيفية الاستدلال على مقدار سرعة دوران كل نجم ومعرفة طوالع البروج وانعكاسها على الحوادث التي تحصل على الأرض، ومحاولة معرفتها قبل وقوعها.

عدد الكواكب التي كانت معروفة:

يقول المقريزي: إنّ الكواكب التي كانت معروفة حتى أيامه هي ألف وتسعة وعشرون كوكباً، ألف واثنان وعشرون ثابتة وسبعة كواكب متحركة: والكواكب السبعة المتحركة هي: زحل، المشتري، المريخ، الشمس، الزهرة، عطارد، القمر، وقد حاول المنجمّون نظمها في بيت شعر واحد فجاء:

زحل شَرَى مرّيخه من شمسه فتزاهرت بعطارد الأقمار

ربط أسماء الأسبوع بالنجوم السبعة السيارة:

يقول المقريزي: إنّ الاقباط قبل دخول المسيحية إلى مصر، كانوا يمارسون طقوسهم الدينية في معابدهم ويصلّون لكل يوم صلاته الخاصة به.

صلاة السبت	لزحل
صلاة الأحد	للمشتري
صلاة الاثنين	للمريخ
صلاة الثلاثاء	للشمس
صلاة الأربعاء	للزهرة
صلاة الخميس	لعطارد
صلاة الجمعة	للقمر

وقد أخذ الأوروبيون هذه الأسماء والعادات واستعملوها منها لأيام الأسبوع ومنها للشهور!

سبب اتخاذ كل طائفة يوماً لها:

ذكرت كتب التاريخ وقدماء علماء الفلك والتنجيم أنّ كل طائفة من الطوائف الدينية الثلاث: اليهود والنصارى والإسلام اتخذت يوماً معيناً من أيام الأسبوع لراحتها وللاحتفال بطقوسها وشعائرها، وكل طائفة حددّت السبب الذي اتخذت فيه يومها المذكور.

قال اليهود: إنهم اختاروا يوم السبت يوماً لراحتهم ولممارسة طقوسهم لأنّ الله تعالى ابتدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة. وأنّ يوم السبت كان عنده يوم فراغ ودعة، ولهم في ذلك أقوال كثيرة.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وقال النصارى: إنّهم اختاروا يوم الأحد يوماً لراحتهم ولممارسة طقوسهم لأنّ الله سبحانه وتعالى، اختار هذا اليوم للبدء بخلق الأشياء.

وقال المسلمون: إنّهم اختاروا يوم الجمعة ليكون يوماً مباركاً، وذلك لأنه اليوم الذي أتمّ الله فيه خلق العالم، وأوجد فيه أبا البشر آدم (عليه السلام). وفيه قُبض. وفيه يكون النفخ في الصور وفيه الساعة التي لا يصادفها عبد مسلم يسأل الله فيها حاجة إلا قضاها له.

أسماء الشهور في المشرق العربي وأسماؤها في مصر عند القبط:

وفي تسمية الشهور عند السريان وفي مناطق بر الشام قبل الإسلام، وعددها اثنا عشر شهراً سبعة أشهر كل واحد منها واحد وثلاثون يوماً وخمسة أشهر ذكرها الشاعر الكيزاني بقوله:

شهور الروم ألوان ... زيادات ونقصان
فتشرينهم الثاني ... وأيلول ونيسان
ثلاثون ثلاثون ... سواءٌ أو حزيرانُ
وأشباط ثمان ... بعد عشرين له شانُ

وقد نظم أحد الشعراء أرجوزة ذكر في كل بيت منها الشهر السرياني المتداول حتى يومنا هذا في المشرق العربي وبمقابلة اسم الشهر القبطي ومتى يبدأ تعداده بالنسبة للشهر السرياني. وهذه الأشهر ما تزال متداولة في مصر حتى اليوم:

وإن حفظت أشهر السريان ... وكنت من ذاك على بيان
ورمت منها عمل المنازل ... فإنها معلومة التداخل
أيلول يبدأ رابعاً من توت ... هذا بحكم النظر المثبوت
وهكذا تشرين وهو الأوّل ... من بابة أربعة تكملُ
أوّل تشرين الأخير يدخل ... ومن هتور خمسة يا رجل
أوّل كانون وأعني الأوّلا ... وخامس من كيهك تعدّلا
أوّل كانون الأخير سادسٌ ... من طوبة فيها يقيس القائس
ومن شباط أوّلٌ يوافي ... سابع أمشير بلا خلافِ
أوّل آذار حساب صادقٌ ... من برمهات فاعل يوافقُ
برمودةٌ سادسة وأوّلُ ... نيسان وَفْقٌ ليس عنه مَعْدل

أوّل أيـــار بـــغـــيـــر لُـــبـــس يـوافـق الـسـادس مـن بـشـنـسِ
بـؤونـةٌ وافـق مـنـه سـابـعـه أول حـزيـران لـمـا يـتـابـعـه
أول تـمـوز عـلـى الـتـرتـيـب يـدخـل فـي الـسـابـع مـن أبـيـب
أول آب ثـــامـــن مـــن ســـرى الـعـلـم بـالـمـرء الـلـبـيـب أحـرى

النسيء:

النسيء عند العرب وفي لغتهم أيام الجاهلية هو تأجيل أمر ما من سنة إلى سنة، أوإدخال شهر بشهر من أجل أمر ما، أو ما معناه، التلاعب بتعداد الأيام والشهور والسنين، من تأثير أو تقديم لأجل مصلحة وغرض ومنفعة من يقدم على النسيء.

وقد جاء الإسلام فحرّم النسيء وحذّر منه لأن مستوفي الخراج والجزية كانوا يشغلون هذه العملية الحسابية التي تقع بين السنة الشمسية والسنة القمرية لاستيفاء أكثر ما لهم، فالسنة الشمسية مقدارها ٣٦٥ يوماً والسنة القمرية مقدارها ٣٥٤ يوماً، والفرق بين السنتين أحد عشر يوماً فكانوا يستعملون النسيء في استيفاء الخراج كل ٣٣ سنة قمرية، ٣٣ × ١١ = ٣٦٣ يوماًفيستوفون خراج سنة بكاملها فرق هذه السنين المذكورة.

من هنا كان العرب يهتمّون بعلم الفلك والتنجيم والنجوم وحركاتها، لأن الأيام والشهور هي نتيجة دروان هذه الأفلاك بعضها حول بعض.

ومن العرب من عشق علم التنجيم والنجوم ومنهم من حذّر منه، مثل قسّ بن ساعدة الأيادي الذي قال:

علم النجوم على العقول وبال وطلاب شيء لا يُنال ضلالُ
ماذا طلابك علم شيء أُغلقت من دونه الأبواب والأقفال
أفهم فما أحدٌ بغامض فطنةٍ يدري متى الأرزاق والآجال
إلا الذي من فوق سبع عرشه فلوجهه الإكرام والإفضال

وأهم آلات رصد النجوم هي: الاصطرلاب والطرجهارة والبنكام، أما الاصطرلاب فقد عرفنا شكله وعمله من خلال وصف الشاعر أبو الفتح كشاجم له:

وشبيهٍ بالشمس يشرق الأنوار من نور جرمها في خفاء
فتراه أدرى وأعلم منها وهو بالأرض بالذي في السماء

فإذا شكل الاصطرلاب شكل الشمس يعكس أشعتها وفي نفس الوقت يعطينا حركة الغيوم والنجوم وتقلّباتها.

وقد ذكر المقريزي محاولات الوزير الأفضل بن بدر الجمالي والوزير المأمون البطايحي من تصنيع آلة لرصد الكواكب والنجوم عن طريق الطبيبين ابن قرقة وابن حسداي اليهوديين، وفشل الاثنين في صنع الآلة.

الخليفة المعزّ لدين الله أول مشجع لعلم الفلك والتنجيم:

ويرى بعض الشيعة أنّ علم النجوم هو من العلوم النافعة، لمن أراد النظر في الحساب والمواقيت، في تقلّب الليل والنهار، ويرون أنه جزء أو بعض من علوم الأئمة عليهم السلام، وليس كل علّمهم فكما أنّ علم النحو وضعه الإمام عليّ لتصحيح نطق الأعاجم للآيات القرآنية والأحاديث القدسية، كذلك علم النجوم هو بعض علمهم.

وقد ذكر القاضي النعمان بن حيّون المغربي التميمي عن الخليفة المُعزّ، أنّه ذكر أمامه التنجيم والمنجمّين فقال: «من نظر في هذا العلم، ليعلم عدد السنين والحساب، ومواقيت الليل والنهار، وليعتبر في ذلك عظيم قدرة الله جلّ ذكره، وما في ذلك من الدلائل على توحيده جلّ ذكره، ولا شريك له، فقد أحسن وأصاب، ومن تعاطى به، علم غيب الله، وقضاءه بما يكون، فقد أخطأ وأساء»[1].

ونقل عن المعزّ استشهاده بقول لعلي بن أبي طالب (ع) يحدّد علم النجوم وأهدافه فقال: قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: أيها الناس، إيّاكم وتعلّم النجوم. إلا ما يهتدى به في البر والبحر، فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجّم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر والكافر إلى النار.

وانطلاقاً من تحديد جدّهم الأول لعلم الفلك والتنجيم، عمل الفاطميون بهذا العلم واستعملوه في حياتهم اليومية لمعرفة حساب السنين والشهور والأيام والأوقات، ولتحديد ساعات الصلاة كل يوم وساعات الإفطار والسحور والآذان في رمضان، وتحديد أيام أعياد الفطر والنحر. وكنا قد أشرنا حين تحدثنا عن احتجاب المعزّ وأسبابه ألا وهو نصائح المنجمّين بأنّ هناك قطع (قطوع) أو مرور نجم معين، عليه أن يتجنّبه، فإذا مرّ النجم بسلام، نجا المُعزّ من هذا القطع ولم يمت، وإلا مات بسبب مروره. وكان المعزّ قد احتجب داخل قصره سنة كاملة ولم يظهر للناس بسبب هذا القطع ـ أو

---

(١) عيون الآثار وفنون الأخبار، عماد الدين إدريس القرشي، السبع السادس، ص ٢٩٦.

سبب مرور هذا النجم، وعاد إلى الناس بعد سنة من احتجابه، ثم عاش أشهراً قليلة ومات.

وقال عنه أحمد بن علي الحريري: «وكان المُعِزُّ عالماً بالنجوم والرصد وعلم الرمل والريح، وفاق فيه الأوايل والأواخر وله الملحمة المعزّية المنسوبة إليه، ومنها[1]:

تبارك من أنشأ من الطين آدما ... وركّب فيه الروح واللحم والدما
نحن بنو المصطفى ذوو محن ... يجرعها في الحياة كاظمنا
عجيبة في الأيام محنتنا ... أولنا مبتلى وخاتمنا
تفرح هذي الورى بأعيادها ... طرّاً وأعيادنا مآتمنا
ومنّا وفينا يظهر الحاكم الذي له ... معجزات الرسل بالغيب يعلما
تكون له الأسد الضواري خواضعاً ... وتخرّ له طوعاً وعنها يترجما
وتمسي كنوز الأرض طوع يمينه ... فيوصل بها من يشاء ويحرما
وبعد ركوب الخيل عتقا سوابقاً ... يركب أتاناً يشبه الليل مظلما
وصالح وزير الملك ملكهم ... فإن تقتلوه يا بنيّ قتلتما
أذقتموه طعم الموت بالسيف عامداً ... فإن حياض الموت توفى إليكما
وقدمتم شاور أمام جيوشكم ... فيا بئس وفدٌ في الجيوش تقدّما
بجيش عليكم كلّ بادٍ وحاضر ... ويستنجد الكفار أيضاً عليكما
وفي خمسمائة بعد هجرة أحمد ... أو خمسين حولاً من زمان تقوّما
يسير إلى محمود صاحب جلّق ... ويوعده مالاً وملكاً عرمرما
يكون زعيم القوم شيركوه اسمه ... تميّز كلامي وافتهم وتفهّما

(١) منتخب الزمان، أحمد بن علي الحريري، م.س، ص ٢٥٢.

وقد بصرت عين الإمام ليوسف　　على الملك استولى وفي القصر تحكّما
ويملك صلاح الدين يوسف دوركم　　ومصر ما تحوي الصعيدين فافهما
ويملك شهبا الشام أعني بمالها　　وكم من حصون بالفرات تسلّما
وأيبك يملكها ثلاثاً وخمسة　　ويملأها جوراً وظلماً ومغرما
ويغرف أموال الخزاين كلها　　ويسلب أموال الرعية منهما
يساعده فيها على الظلم أشمط　　دعيّ رديّ الأصل رجس مدمّما
فيا آل أيوب قد زال ملككم　　بأمر إله خالق الأرض والسما

ونحن لا نصدّق أنّ هذه القصيدة هي من نظم الخليفة المعّز، وهو أوّل من حذر من تعلّم علم الفلك والتنجيم لأن فيها تحذير من كل ما حلّ بذرّيته من الخلفاء من المصائب والمحن. ويبدو أنها مما نحله الإسماعيليون ونسبوه إليه.

وهناك قصيدة أخرى لحفيده الحاكم سوف نثبتها بكاملها بسبب فرادتها وتميّزها.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الخليفة الحاكم وعلم الفلك:

كان الخليفة الحاكم أكثر الخلفاء الفاطميين اهتماماً بالفلك والنجوم وبناء المراصد والاصطرلابات وقد ذهب ضحية هذا الاهتمام. فكثرة اشتغاله به جعله يقضي الأيام والليالي والساعات في مراقبة النجوم وتحليل حركاتها وطوالعها ومعرفة بروجها وأثار حركتها على الناس.

ولكثرة اشتغاله بالفلك وبعلم التنجيم، نسب إليه المؤرّخون الكثير من الخرافات والمساخر.

فمن هذه الخرافات، ما ذكروه عن التمثال أو الصنم الذي صنعه وأدخل إليه بعض الناس، وملخّص أمر هذا الصنم، أشار إليه ابن أياس نقلاً عن ابن خلّكان فقال:

إنّ الحاكم بأمر الله، كان يعبد الكواكب، كما كان جدّه المُعزّ وكان له اشتغال بها، وله في ذلك أخبار كثيرة، فمن ذلك أنه ظفر بصنم من كدان (جِبال وكتّان)، وهو مجوّف، وفي جوفه روحاني موكّل به، فكان ينطق كما ينطق بني آدم، وكان من شأنه أن يخبر عن الشيء الضائع أو المسروق.

ولما ظفر الحاكم بهذا الصنم، نادى في كل شوارع مصر والقاهرة، بأن أحداً من الناس لا يغلق له باب ولا دكّان، وإن ضاع لأحد من الناس شيء فهو في درك الحاكم فامتثل الناس أمره.

فلما باتوا تلك الليلة سرق من مصر والقاهرة أربعمائة سرقة. فلما أصبح النهار، توجّهوا إلى قصر الزمرد يستغيثون الحاكم فقال لهم: ما الخبر؟ فقالوا له: إن اللصوص قد سرقوا في هذه الليلة أربعمائة سرقة، لما ترك الناس دكاكينهم مفتوحة. فقال الحاكم: لا بأس عليهم: ثم أشهر الحاكم النداء في شوارع مصر والقاهرة، بأن كل من ضاع له شيء أو سُرق منه شيء يحضر بين يدي الحاكم فحضر أصحابها قاطبة، فلما عملوا، أحضر ذلك الصنم بين يديه. وقف أصحاب الأغراض الضائعة والمفقودة يقفون بين يدي الصنم ويقول واحدهم له: «يا أبا الهول قد ضاع لي، أو سرق لي ما هو كيت وكيت» فيجيبه الروحاني الذي في جوف الصنم: إن ضائعك أخذه فلان ابن فلان، وهو بالمكان الفلاني، في الحارة الفلانية

ويرسل الحاكم غلمانه إلى العنوان ويعيد المسروق ويسلّمه إلى صاحبه، حتى ردّ على الناس ما كان ضاع لهم بتمامه وكماله[1].

وهذه الرواية رواها آخرون أنه اتفق مع السارقين بسرقه الأشياء وإعلامه عن كل سرقة لكي الروحاني الذي داخل الصنم يستطيع ان يكشف السارق، ومنهم من قال أنّه وزّع نساء عواجيز لجلب أخبار كل سرقة وكل سارق وكلّها من نسج خيال مبغضيه ومبغضي الفاطميين وقد نسجوا الكثير عنه وعن عهده. وكلّها من نسج الخيال وبعيدة عن الوقوع والواقع.

ابن يونس منجمّ الحاكم:

ذكره ابن أيبك الصفدي فقال: صنف كتاباً في التنجيم للحاكم اسمه «الزيج الحاكمي» بأربع مجلّدات، وكان مختصّاً بعلم النجوم، خلّف ولداً متخلّفاً، باع كتب أبيه وجميع تصانيفه بالأرطال في الصابونيين. وكان قد أفنى عمره في الرصد والوقوف للكواكب.

يروى عنه أنّه طلع يوماً مع الخليفة الحاكم لمراقبة كوكب الزهرة، فنزع ثوبه وعمامته ولبس ثوباً نسائياً أحمر وقناع أحمر، وأخرج عوداً وبخوراً، وكان أبله مغفّلاً يلبس طرطوراً طويلاً ويجعل رداءه فوق عمامته، وكان طويلاً إذا ركب الحمار، ضحك الناس منه، ومع هذا، كان له إصابات بديعة في التنجيم لا يشاركه فيها أحد[2].

---

(١) راجع: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن أياس، الجزء الأول، ط ٢، القاهرة، الهيئة العامة المصرية للكتاب، سنة ١٩٨٢، ص ٢٠٢.

(٢) راجع: الوافي بالوفيات، ابن أيبك الصفدي، المجلد ٢١، ص ٢٢٦.

وبالرغم من اهتمام الخليفة الحاكم بعلم الفلك والنجوم والتنجيم، ولكن لكثرة كلام الناس بالتنجيم والمنجّمين وخروجهم في كلامهم الذي كان يصل إلى مسامعه عن الفعل الإيماني الإلهي، عمّم عليهم منع التكلّم بالتنجيم، وبعلم النجوم، وطارد المنجّمين وأمر بحبسهم، وحذّر الناس من إخفاء أي واحد منهم، فأظهر جماعة منهم التوبة، وحلفوا أمام الحاكم بأنهم لن ينظروا بالنجوم ولن يتعاطوا بالتنجيم.

استعمال علم الفلك والنجوم في الحياة اليومية: رمضان ٣٠ يوماً دائماً:

يقول المقريزي، عن الفاطميين:

«اعلم أن القوم كانوا شيعة ثم غلوا حتى عدّوا من غلاة الرفض، وللشيعة في إثبات الشهور عمل أحسن ما رأيت»[١].

ويقول إنّ لهم جداول وحسابات يستخرجون بها شهورهم ويعرفون منها صيامهم وإفطارهم، وهم لا يهتمون بما يهتم به سائر المسلمين عن ضرورة رؤية الهلال، لأنّهم ألّفوا الكتب والأزياج في تقرير بداية كل شهر بدون العودة إلى الرؤية وقال المقريزي إنّ هذه التصنيفات نسبوها للإمام جعفر بن محمد الصادق (ع)، وقال إنّ الفاطميين زعموا أنّ هذه العلوم، سرّ من أسرار النبّوة وأنها معمولة على أنّ السنة القمرية البالغة ٣٥٤ يوماً وخمس اليوم وسدسه والسنة القمرية ستة أشهر تامة أي ٣٠ يوماً وستة أشهر ناقصة أي ٢٩ يوماً وتأتي الشهور التامة والناقصة مختلفة، أي كل شهر تام

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الأول، م.س. ص ٤٩٢.

(٣٠ يوماً) يأتي بعده شهر ناقص (٢٩ يوماً) حكماً (٦×٣٠) + (٦×٢٩) =٣٥٤ يوماً.

وكان رمضان عندهم من الشهور التامة أي ثلاثين يوماً فلا ضرورة لمتابعة رؤية الهلال والبحث عنه، فالرؤية عندهم تأويلية من علم الباطن، وليست من علم الظاهر، وهكذا يصومون رمضان دائماً كاملاً.

ومع هذا فلم يلزم الفاطميون بقية المذاهب الإسلامية التي كانت تحت حكمهم بالصيام ثلاثين يوماً أو الإفطار بغير قناعة مستندة على رؤية الهلال. ففي أول شهر رمضان من سنة ٣٩٠ هجرية عمّم الحاكم بأمر الله على الناس في جميع بلدان الخلافة الإسلامية الفاطمية منشوراً، جاء فيه: «يصوم الصائمون على حسابهم ويفطرون، ولا يعارض أهل الرؤية فيما هم عليه صائمون، ويفطرون، وصلاة الخمسين للذين بما جاءهم فيها يصلّون، وصلاة الضحى وصلاة التراويح، ولا مانع لهم منها ولا هم عنها يدفعون ... لكل مسلم مجتهد في دينه اجتهاده»[1].

وفي سنة ٣٩٥ هـ، عمّم الخليفة الحاكم مرسوماً على الناس حدّد فيه ساعات الآذان، وهي صلاة الصبح، عند طلوع الفجر، صلاة الظهر بعد سبع ساعات من صلاة الصبح، صلاة العصر بعد ساعتين من صلاة الظهر.

وكنا قد أشرنا إلى أنّ الجلوس على مائدة عيد الفطر كان إلزامياً

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ٧٨.

لكل وجوه الدولة، احتراماً للخليفة، لكن مشاركته الإفطار ليس إلزامياً، فمن كان سنيّاً أو إثني عشرياً أو زيدياً، وهذه الفرق من المسلمين تفطر على رؤية الهلال، أي ربما يكون الشهر عندها ٢٩ يوماً أو ثلاثين يوماً، تلتزم بالاحتفال والصلاة بعيد الفطر مع الخليفة الفاطمي فقط دون الإلتزام بالإفطار«فمن لا يعتقد الفطر في ذلك اليوم، يجلسون على السماط دون أن يأكلوا»[١].

ويخبرنا المقريزي أن جوهر الصقلي، «أفطر يوم الفطر على عدد وبغير رؤية، وصلّى صلاة العيد بالقاهرة ولم يصلّ أهل مصر، وصلّوا في الغد في الجامع العتيق» وكان ذلك أول دخوله مصر وبنائه القاهرة.

وكان الحاكم يعمل بنصائح المنجمّين في ترتيب أمور الأيام والشهور، خاصة أنّ السنة القمرية تزيد يوماً كلّ عدة سنين فتأتي السنة ٣٥٥ يوماً، مما يضطر الخليفة إلى إلغاء يوم من هذه السنة، فعلى سبيل المثال، بدأ شهر رجب لسنة ٣٩٦ هجرية بيوم الأربعاء، فأصدر الحاكم منشوراً يلغي هذ اليوم ويطلب من أصحاب الدواوين تأخيره وأن يؤرخوه بيوم الثلاثاء.

الخليفة الآمر يلغي سنتي ٤٩٩ و٥٠٠ للهجرة من التاريخ:

ونقل لنا ابن المأمون خبر صدور القرار بنقل السنة الشمسية إلى العربية، وكان قد حصل فيها تفاوت أربع سنين فرفع تقرير

---

(١) أخبار مصر، م.س. ص ٥٠.

للخليفة الآمر ولوزيره الأفضل بن بدر الجمالي بذلك لكي يعاد تعديل تواريخ هذه السنوات الأربع، فصدر المرسوم التالي:

بسم الله الرحمن الرحيم.

والحمد لله الذي ارتضى أمير المؤمنين (الآمر لأحكام دين الله) أمينه في أرضه وخليفته، وألهمه أن يعمّ بحسن التدبير عبيده وخليقته، ووقفه لمصالح يستمدّ أسبابها، ويفتح بحسن نظره أبوابها، وأورثه مقام آبائه الراشدين الذين اختصهم بشرف المفخر، وجعل اعتقاد موالاتهم سبب النجاة في المحشر، وعناهم بقوله: **﴿يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر﴾** (الآية: ١٥٧، سورة الأعراف).

يحمده أمير المؤمنين على ما أعانه إليه من حسن النظر للأمة، ويرغب إليه بالصلاة على محمد الذي ميّزه بالحكمة وفصل الخطاب، وأنزل عليه في محكم الكتاب **﴿هو الذي جعل الشمس ضياءً والقمر نوراً وقدّره منازل لتعلموا عدد السنين والحساب﴾** (الآية: ٥، سورة يونس)، صلى الله عليه وعلى أخيه وابن عمه أبينا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، كافيه فيما أُعضل لمّا عدم المساعد، وواقيه بنفسه لما تخاذل الكفّ والساعد، وعلى الأئمّة من ذرّيتهما العاملين برضى الله تعالى فيما يقولون ويفعلون، والذين **﴿يُهدون بالحقّ وبه يعملون﴾** (الآية: ١٧١، سورة الأعراف).

وجاء في المنشور: أنه لما كانت الضرائب تجبى على وجهين: هلالياً أي حسب السنة القمرية الهجرية وهي ٣٥٤ يوماً وبعض اليوم وخراجيه أو شمسية وأيامها ٣٦٥ يوماً وبعض اليوم

«والخلاف في كل سنة بالتقريب أحد عشر يوماً، وفي كل ثلاث وثلاثين سنة، سنة واحدة على حكم التقريب»[1].

وجاء فيه أيضاً:

وقد رأى أمير المؤمنين، وبالله توفيقه أن يوعز إلى ديوان الإنشاء بكتابة هذا السجل مضمّناً ما رآه ودبّره طالباً إنفاذ ما أحكمه وقرّره من نقل سنة ٤٩٩ إلى سنة ٥٠١، لتكون موافقة، ويستمر الاتفاق بين السنة الهلالية والخراجيه إلى سنة ٥٣٤ ويكون نقل سنة ٤٩٩ إلى سنة ٥٠١، ثابتة بالتسمية المشار إليها، ويكون ما لها (من ضرائب) جارياً عليها. ويأمر الخليفة بتعميم هذا المنشور أو القرار الضريبي ويعتمد في سائر أعمال الدولة الفاطمية مصرها ومغربها وفارسها وشامها، كما يؤكّد على تنفيذه وأرشفته في كل بيوت مال الدولة الفاطمية.

وإذا تتبعنا كتاب اتعاظ الحنفا وهو يؤرخ للدولة الفاطمية سنة بسنة، نجد أن السنتين المذكورتين ٤٩٩ و٥٠٠، أوردهما في الكتاب ولكن بدون الإشارة إلى أي حادث، يعني أورد عنوان السنوات فقط.

وقد أكثر مؤرّخو الفاطميين من ذكر تنبؤ الخلفاء أنفسهم بموتهم، كتنبؤ مقتل الآمر، الذين كانوا يقولون: الآمر المسكين المقتول بالسكين وهو قتل بسكين فعلاً، وتنبؤ المعز بموته وتنبؤ الحاكم بموته، وقد أشار المؤرّخون إلى أنه يوم مات، وقفت والدته

---

(١) راجع: اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ١٨٧.

تترجّاه بعدم الخروج فأجابها أنه: إما هو وإما هذا النجم.. أي كان يعلم أنه سيموت بمرور هذا النجم، أما السيدة العزيزية فقد تنبأت بانقراض الدولة الفاطمية على يد العاضد، حيث قالت: «لا عضده الله».

أما الحافظ فكان له سبعة منجمّين منهم: المحقوق وابن الملاّح وأبو محمد القلعي وابن موسى النصراني.

وذكر المقريزي أنه كان يملك كتاباً ورثه عن آبائه عن المعز عن القائم مسطور فيه كل ما أصابهم، وقال المقريزي أنه في سنة ٥٤٣ هـ، فاض النيل وقطع الطرقات ووصل باب زويلة و باب الحديد، «فلما بلغ الحافظ ذلك، أظهر الحزن وانقطع عن الناس، فسأله بعض خواصه عن السبب فأخرج هذا الكتاب وقال له: انظر هذا السطر، فإذا فيه: «إذا وصل الماء باب الحديد، انتقل الإمام عبد المجيد». ثم قال: «هذا الكتاب الذي نعلم منه أحوالنا وأحوال دولتنا، وما يأتي بعدها». ومات الحافظ عبد المجيد في السنة نفسها.

التنويم المغناطيسي:

وقد عُرف التنويم المغناطيسي عند الفاطميين فقد ذكر لنا المقريزي أنّ الشيخ أبو عبد الله الأندلسي وهو مختص بعلم السيميا، زار الحافظ وأراه في القصر. معارك حربية وأساطيل بحرية وخفقان سيوف ورؤوس رجال تسقط وأبواب تزعق وطبول تضرب، وذكر له عدة أمور تدل على استطاعته على إيهام الناس بما يريد، وقد ابتغاه في القصر موظفاً عنده حتى مات.

بعض الطلسمات التي ذكرها المؤرخون عند الفاطميين:

ذكر المؤرّخون عدة آلات، قالوا إنها مطلسمة ومصنّعة لعمل ما.

الطبل الضرّاط:

وهي عبارة عن طبلة، إذا أصيب أحدهم بمرض القولنج وهو انسداد الأمعاء ويثقل الخروج والريح، وينحصران داخلها، مما يؤدي إلى إمساك معوي وعدم القدرة على إخراج حتى الريح، وكان الحافظ مصاباً بهذا المرض، فصنعه له أحد منجمي وأطباء القصر واسمه موسى النصراني ويلقب بـ شيرماه الديلمي، من سبعة معادن بموازاة الكواكب السبعة، وكان كلّ ما تلبّكت معدة الحافظ، يدقّ على هذا الطبل فترتاح معدته ويتخلّص من التلبّك.

وكذلك ذكروا تمثالاً يضع أصبعاً في فمه وأصبعاً في دبره، يعمل على إزالة التلبك المعوي.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

نسر الجامع الأزهر:

ويقال إنّ الفاطميين حفروا رسماً لنسر ناشر جناحيه على بعض تيجان الرواق وهو نسر مطلسم صنع من أجل الجامع «فلا يسكنه عصفور ولا يفرّخ به، وكذا سائر الطيور من الحمام واليمام وغيره»[1].

وهناك الكثير من الطلاسم التي تحدّث عنها المقريزي ولا مجال لذكرها، لأنها لا تدخل في العقل، رغم أنّ هذه الطلاسم التي ذكرناها

---

(١) راجع: مصر والفتح الإسلامي، عبد المنعم حماده، م.س، ص ١٨٥.

هي بعيدة أيضاً عن التصديق، ولكن ربما كان لصوت الطبل أثر نفسي على المريض، وكذلك التثمال، فقد ذكروا أنه كان من يلمسه أو يحمله يصدر عنه أصوات غريبة.

أما قصيدة الخليفة الحاكم التي يتنبّأ فيها بكل ما حصل وسيحصل للفاطميين، فهي أيضاً ربما من مخيلة بعض الإسماعيليين، فالحاكم نفسه أنكر علم الغيب ومنع التعاطي بأموره بعد أن نضج وكبر ولم يعد ألعوبة بيد مساعديه ومستشاريه. ونحن إذ نثبتها، فقط لتعميمها بعد نبشها من مصادرها. ويقال إنه استقى معلوماته من كتاب الجفر الذي تركه لهم الإمام علي (ع).

قال الخليفة الحاكم[1]:

وعيني من كبت المحبة والعطف
لك وماء الورد وُرْقٌ من الخشف
ومن حرق أوراق على النار دخنة
ومن شقف يرمونها البير للنشف
ومن ناظر في مسندل مع عصابة
يظنُّنون أن الجنَّ يخطر في الكفّ
ومن صرع مجنون تنجيم خاتماً
ومن ضرب دارة يروم بها الكشف
ومن ذبح قربان ورصد كواكب
ومن تلي أقسام يروم بها الصرف

(١) منتخب الزمان، م.س. ص ٢٦٩.

ومن نقش أوصاف الكواكب كلها
بساعات سعد لا تضرُّ ولا تشفي
ومن رفع اصطرلاب وأخذ طوالع
يروم بها كشفَ الحقيقة بالعنف
حكيم على التقويم يزعم أنّه
عليمٌ بحلِّ الريح عن حاكم يخفي
ومن قصَّ أرواق لُجَينٍ وعسجد
وأقلابهم بالعين في الاسم والحرفي
وأظهر بستاناً وقصراً مُشَيَّداً
وحوراً وولداناً حووا الحسن بالنجف
إذا ما رآهم عابدٌ ضلَّ عمره
وهيم بهم شوقاً ويفنى بهم شغفي
وإظهار نصف الليل شمساً منيرة
على غفلة والليل منسبل السجف
وإحياء ميت القوم من بعد دفنه
وإخفاؤه عن الناس بالصرف
فقُل: إذا ما كنت بالعلم عارفاً
ترى النقص في عين الكمال من العرف
ومن مدَّع بين الورى بسماحة
ولم يُدرِيْ ما أصلُ الحقيقة والعرفي
يظن بأن الفقر ليس مدقعاً
وإظهار ناموس على الناس بالوصفي

ومـــن عـــلـــمـــه أمـــر الـــحـــوادث أنـــه
خـبـيـر بـأصـنـاف الأفـاعـي بـلا خـلـفـي
مـكـبٌّ عـلـى كـتـب الـتـصـانـيـف يـبـتـغـي
بـهـا عـلـم دريـاق الـسـمـوم الـذي يـشـفـي
ولـــيـــس وأيـــم الله يـــدرك مـــنـــهـــجـــاً
من الكتب غير اللمس والحسن والخطف
فـإن صـادفـتـه نـهـشـة لـم يـعـش بـهـا
ولـو مـجَّ مـن دريـاقـه الـكـامـل الـوصـف
وإن كـان بـحـر الـطـب يـعـطـي مـهـلـةً
فـلـسـت أبـالـي مـن سـمـوم ولا حـتـف
كـذلـك أبـدت الأقـدار مـعـجـزة الـورى
ولـو أنـهـم بـالـعـلـم ضـعـفـاً عـلـى ضـعـفِ
يـظـنُّ بـأنَّ الـبـرَّ مـن سـيـر كـتـبـه
ولـم يـدرِي بـأن مـن مـالـك مـخـفِ
فـمـا زاده إلا عـمـاء وحـسـرة
عـلـى نـفـسـه يـا لـيـتـه كـان مـسـتـعـفِ
ومـن يـدَّعـي عـلـم الـطـبـيـعـة أنـه
خـبـيـرٌ بـه فـالـعـلـم أورثـه الـسـخـفِ
ومـن مـفـنـي عـمـرو الـشـبـيـبـة طـالـبـاً
كـنـوز بـقـاع الأرض مـن نـسـخ الـصـحـفِ
ومـن حـفـر نـاووس الأوايـل يـبـتـغـي
بـهـا ذهـبـاً مـن قـلـة الـعـقـل والـسـخـف

ومـن عـلـم أعـداد الـحـروف ومـا رَوَت
لـنـا عـلـمـاء الـدهـر مـن أجـمـع الـصـنـف
فـأجـمـعـهـا يـا أم عـمـرو غـلالـة
إذا لـم يـكـن عـلـم الـريـاضـة فـي الـوصـف
ومـا كـلُّ مـرتـاض يـنـال مُـراده
ومـا كـلُّ ذي عـلـمٍ مـن الـخـلـق مـسـتـكـف
وهـذي عـلـوم الـقـوم جـمـعـاً ذكـرتُـهـا
وأتـقـنـتُـهـا بـالـحـقِّ والـحـقُّ لا يـخـفِ
تـشـرَّفـتُ بـاسـم الـهـام مـحـمـد
ووليـت فـي حـبـي لـه صـاحـب الـنـجـف
أبـو حـسـن الـمـشـهـور فـي كـل مـشـهـد
وأوصـافـه تـغـنـي الـنـور والـوصـف
وحـق مـولاي قـد شـهـدتُ جـمـيـع مـا
نـطـقـتُ بـه والله حـسـبـي وقـد يـكـفِ
لـمـن كـان ذو عـقـل وسـمـع ونـاظـر
وقـلـب ولـبٌّ حـاضـرٍ غـيـر مـشـتـغـفِ
زِنـوا مـنـطـقـي ثـمَّ افـهـمـوا مـا أقـولـه
فـفـي طـيِّـه كـشـفُ الـعـلـوم الـذي نـنـفـي
وإثـبـاتـهـا مـن بـعـد نـفـي ووضـعـهـا
عـلـى الـحـقِّ مـن جـمـع الـعـلـوم بـلا حـذفِ
فـمـن رام أن يـرقـى إلـى ذروة الـعـلا
مـن الـعـلـم أو يـرقـى إلـى عـالـم الـلـطـف

يـمـيـتُ دواعـي الـنـفـس عـن كـلِّ شـهـوةٍ
ويستعمل الصبرَ الجميل مع الضعفِ
ويـلـزم شـيـخَ الـعـلـم إن كـان عـارفـاً
بأصناف ما يأتي على الطالب الحلفِ
ويـزيـل شـكَّ الـمـرء عـنـد ابـتـدايـه
ويسلك به طرق الهداية باللطفِ
فـكـلُّ امـرىء لا يـنـتـمـي لـمـواقـف
على علمه فالعلم عنه بمُستخفِ
خُلِقتُ على كشف العلوم وكان لي
قديماً من الرحمن من منَّة الكشفِ
حـتـى أصـيـد مـا فـي الـدّر وهـكـذا
بنو الدهر في أصدافهم جوهر مخفِ
فمن غاص في بحر الرياضة مخرجاً
من أصدافه درّاً يجلُّ عن الوصفِ
فـمـن رامِ إدراكـي فـإنـي مـؤيَّـد
بتأييد ربِّ العرش من عالم اللطفِ
سدت عليَّ الطُّرق من كل منهج
فأعجزت خلق الدهر أن يسلكوا خلفِ
زمام الورى أضحى بكفِّي قياده
فلو شئت ألقيت البرية عن طرفي
ولو شئتُ أحييتُ الرميمَ من الثرى
وأوجدته من غير نصب ولا كلفِ

أنـا فـيـلـسـوف الـدهـر والـحـاكـم الـذي
أطـاعـت لـي الأرواحُ بـالـعـلـم والـعـرفِ
أنـا الـخـضـر فـي عـصـري وعـلـمـي لأنـنـي
تـلـقـيـتـه مـن مـالـك جـلَّ عـن وصـفِ
فـهـل رأيـتـمـا فـي سـالـف الـدهـر آمـراً
يُكنَّى بمـخـدوم سـوى صـاحـب الـكشـف
فـهـل نـظـرتْ عـيـنـاك فـي الـنـاس واصـلاً
إلـى مـطـلـب أو صـنـعـة الـحـجـر الـمـخـفِ
جـنـانـي رحـيـبٌ لـلأنـام وسـيـرتـي
هـدايـاه مـن قـد ضـلَّ مـن خـلـق الـسـلـفِ
تـكـاثـرتِ الأقـوالُ فـيَّ مـن الـورى
ومـاذا عـلـى الـبـحـر الـمـحـيـط مـن الـقـذفِ
لـي الـطـور حـقّـاً والـكـتـاب وضـعـتـه
لرسـلـي ولـي الـبـحـر الـمـحـيـط مـع الـسـقـفِ
كـلامـي مـفـيـدٌ إن فـكـكـتـم رمـوزه
عـلـمـتـم بـمـا يـبـدي الـحـكـيـم ومـا يـخـفِ
جـواهـر ألـفـاظـي تـروق لـسـامـع
فـتـنـطـق عـنـي بـالـهـدايـة والـعـرفِ
هـلـمُّـوا إلـيَّ فـإنّـي بـغـيـة الـرضـى
وأسـعـوا إلـى الـعـيـنـيـن إن رمـتـمُ عـرفِ
أنـا قـدوة الـراجـيـن عـنـكـم بـنـي الـورى
أنا الـحـاكـمُ الـمـنـعـوتُ فـي الـكـتـبِ والـصـحـفِ

فمن رام اكتشاف المعالي حقيقة
يكن سامع قولي ومستعملٌ وصفِ
ولا يهمل القولَ الذي أنا واصفٌ
ففيه من الأمثال عن سرّنا المخفِ
بداية سرّ العلم أول رتبة
لدى عارف أن يفني الدمع بالردفِ
إلى أن تراه كالشقيق من الورى
فعند ازدياد الشوق ينقطع الذرفِ
إلى أن يعود القلب أبيض ناصعاً
من الوجد بالتبريح في ودٍّ من يصفي
وعند ابيضاض الفكر من شدّة الظما
فاسقه كأس الحبِّ صِرفًا على صِرفِ
فإن مات من سكر المُدام فؤاده
وقيم عليه الحدّ في البعث والوقفِ
تفكّر فيما أبديتُ من سرّ عِلمنا
يميناً لقد أبديتُ ما كدتُ أن أُخفي
إلى أن يعود القلبُ روحاً مخيّماً
صبوراً على النيران لا يرهب العسف
ثلاث وسبع موته وحياته
وفي الثاني عشر عاد مستكمل الوصفِ
فهذا هو الكنز العظيم وعلمنا
كنَزناه للأخ المقيم على الوصفِ

وهـذا هـو الإكسـيـر مـن نـور عـلـمـنـا
فـوافـقـه يـمـتـدُّ مـنـه عـلـى ألـفِ
فـلا تـغـررن فـالـدهـر ذو أمـر غـداً
بـعـلـم ولا مـال ولا عـيـشـة الـتـرفِ
فـكـل وأيـم الله لـيـس بـبـاق
سـوى الله فـارجـع إن هـديت عـن الـسـرفُ
سـلـونـي فـإنـي لـن أفـوز بـطـايـل
سـوى حـسـرةٍ مـن فـرقـة الـخِـلُّ والإلـفِ
لـقـد طـال مـاجـرّدت بـردة صـبـوتـي
عـلـى أثـري والـدهـر يـعـيـقـنـي ضـعـف
إلـى أن وهـي مـنـي الـقـول واهـنـاً
رهـيـن بـمـا ولـيـت مـنـتـظـراً حـتـفِـي
فـمـن رام تـسـخـيـر الـمـلـوك حـقـيـقـة
لـنـقـل طـعـام لـمـا كـان مـن الـضـعـف
يـحـلُّ مـن إكـسـيـرنـا نـصـف دانـق
ويـثـبـت بـه فـي عـسـجـد مـهـمـا شـفـي
بـسـورة قـل أوحـي إلـيّ فـإنـهـا
تـطـيـع لـهـا الأرواح مـن أجـمـع الـنـصـفِ
تـعـاهـد مـا تـخـتـار مـنـهـم ولا تـكـن
جـهـولاً فـتُـخـزى خـزي مـنـخـمـع الأنـفِ
ومـن رام أن يـخـفـي عـلـى الـنـاس عـهـده
عـلـى دهـنـه الإكـسـيـر فـهـي الـتـي تـخـفِ

تتمُّ بها فوق العينين وتبتدي
بلفظٍ خفيٍّ جُلَّ عن وضعه الصحفِ
ومن رام أن يبري المصاب حقيقة
مدى الدهر لا يعرض له عارض الحلفِ
بسطعه من أكسيرنا نصف دانق
يعود صحيحَ الجسم خالياً من الرجفِ
ومن رام أن يبري السليم من الردي
فيسقيه من إكسيرنا الكامل الوصفِ
فهذا هو الدرياق حقّاً فكن به
ضنيناً وهو السم الزعاف لمن يخفِ
وخصَّ به دون النبيين عبده
سليمان لما قال هب لي على ضعفِ
فأعطاه ملك العلم حيّاً مسخراً
له الريح تجري كيف شاء بلا وقفِ
ومنّ عليه بعد ذلك واصفاً
فكان عليماً بالكتاب على الوصفِ
فاستعبد الأرواح بالعلم واتخذ
عليهم عهوداً بالمواثق والحلفِ
وقدم على الأرواح قبله ملوكها
وعاهدهم حتماً على الأمر بالعرفِ
وقدم على جمع الملوك بأسرها
ملايك لا يخشون بأساً ولا حتفِ

وقلدها بالسيف طوعاً لأمره
وحكمها بالقتل والعدل والنصفِ
فهم صاحِ مفتاح العلوم بأسرها
وهم باب سرّ العلم حقّاً بلا سرفِ
هما الملكان اللذان لا يزاولا
لبعضهما يوماً وهم واحد وقف
فمن لا يشاهدهم عياناً بعينه
كما شاهدتْ عيناي منظرهما المخف
وليس بدعواي يقال بأنني
عليم ولا بالصمت يخفاكم وصفِ
فما نظرت عيناي في الناس أمراً
محلاً لكشف السّر خالي من التحفِ
فعالمهم بالكتب أضحى مفلسفاً
بسرّ يحيي لا يثبت لبعث ولا وصفِ
وجاهلهم بالجهل أضحى معطلاً
وقاضيهم بالفقه أفتى لنا الحتفِ
لأنهم لم يدركوا سرَّ علمنا
فهم صاح أضداد فمن باح بالكشفي
وإن شئت أن تكتب بالقلم الذي
به تحالفنا على سرنا المخفي
رمَزنا به جميعَ العلوم صيانةً
عليها من الجهّال والعالم الشطفي

وهـم أحـرف مـعـدودة سـبـع أحـرف
سـواهـا فـلا تـخـتـار إن رُمتَ مـسـتـخـفـي
وهـي الاسـم والـمـعـنـى وهـي الـعـصـا
وهـي كـشـف لأسـرار الـعـلـوم الـذي أُخـفـي
تـدارك أيـام الـشـبـيـبـة واعـتـمـد
عـلـى الله واغـنـم صـحـة الـجـسـم واسـتـعـفـي
فـلـيس أخـذهـا بـنـاج مـن بـنـي الـدهـر أمـراً
إذا مـا قـصـدوا طـالـبـيـن لـه الـكـشـفـي

وعقب ابن الحريري على هذه القصيدة بقوله: وهذه القصيدة حوت أسراراً كثيرة ورموزاً غزيرة وهي مائة وأربعة عشر بيتاً.

ورأيي أنها من انتاج العصر المملوكي، لكثرة ما بها من الأخطاء اللغوية والنحوية والعروضية والبلاغة. وهي أقرب إلى اللغة العامية المحكية من لغة الشعر. وهي كما هو ظاهر أنها ليست من نظم الخليفة الحاكم ولا علاقة له بها. بل هي من نظم أحد الأشخاص المجهولين، نظمها على لسان الحاكم ونسبها إليه، وقد أثبتها لكي يطلّع المثقّف العربي على ما أصاب هذه الفئة من أهل البيت من ظلم وتجنٍّ.

المستشفيات والصيدليات

في مصر الفاطمية:

لم يكن التقدّم في مجالي الطبّ والصيدلة في ظل الدولة الفاطمية أقل وتيرة من غيره من العلوم والفنون، بل كان اهتمام الخلفاء والوزراء والأمراء في مجالي الطبّ والصيدلة يأخذ القدر المطلوب من دعمهم وتشجيعهم.

ولما كانت المآكل هي سبب كل داء ومرض، كانت الأطعمة والمشروبات سهلة وكثيرة التناول لدى الخلفاء والوزراء والأمراء، أدتّ هذه السهولة إلى إصابة هذه النخبة من مجتمع مصر الفاطمية بالأمراض أكثر من غيرهم من الناس، مما دفعهم للاهتمام بالطبّ والطبابة والأدوية والصيدلة والأعشاب.

أهم أطباء الدولة الفاطمية:

كان طبيب القصر أو طبيب الخليفة يعتبر واحد من أهم أعضاء فريق عمل الخليفة، ومن أهمّ المقرّبين إليه، فمن يأتمنه الخليفة على

روحه وصحته، لا يعقل أن لا يأتمنه على الخلافة والدولة والرعية.

من هنا، كان الكثير من الأطباء المصريين يصلون لمراتب سياسية عليا كالوزارة مثلاً. وهي أعلى رتبة سياسية بعد منصب الخلافة والإمامة. والخلافة والإمامة لا يجوز أن يكونا إلا باسم الخليفة فهو رئيس الحزب وهو أمينه العام.

ومن أهم الأطباء الذين توصّلوا إلى مركز الوزارة يعقوب بن كلّس. ومنهم من توصل لأن يكون بطرك الروم، حيث كان هذا المنصب ومنصب كبير حاخامي اليهود، يتم تعيين رئيس كل منهما من قبل الخليفة المصري، فعلى سبيل المثال، عين الخليفة العزيز سنة ٣٦٨هـ، طبيبه الخاص يوسف النصراني «بطريركاً على بيت المقدس».

ومنهم أبو عبد الله محمد بن سعيد التميمي، وكان عشّاباً صيدلياً أكثر منه طبيب.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

النقزة تسبب الصرع:

يخبرنا محمد التميمي عن والده سعيد التميمي أنه سقط عن سطح الخان وهو سكران، ولما استفاق أحسّ بوهن وألم مقبولين، فعندما سأل عن أسباب هذا الألم، أخبر من أين سقط، فعندما علم مدى ارتفاع المكان الذي سقط منه وعاينه، أصيب برجفة. وأهم الأدوية التي جمعها التميمي، هي أدوية لسع العقارب والحيّات والرتيلات.

ومنهم أيضاً أبو الحسن سهلان بن عثمان، طبيب الخليفة العزيز وابنه أبو الفتح منصور، كان طبيباً للعزيز ولولده الحاكم.

ومنهم الطبيب الجرائحي، اليهودي، يطلق عليه اسم الحقير النافع، طبيب الخليفة الحاكم، وقد زاحم ابن مقشّر وحل محلّه في الحظوة عند الحاكم.

ومنهم أيضاً علي بن سليمان، عمل لدى العزيز والحاكم وولده الظاهر، ومن أهم ما تركه من المؤلفات كتاب الحاوي في الطب[1].

ومنهم أيضاً المبشرّ بن فاتك طبيب الخليفة الآمر وأبو الحسن علي بن رضوان.

شروط الطبيب الناجح:

وضع علي بن رضوان عدة شروط لكي يكون الطبيب طبيباً ناجحاً منها:

١ ـ أن يكون جميل الخلقة صحيح الأعضاء ذكياً.

٢ ـ أن يكون انيقاً حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٣ ـ أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم.

٤ ـ أن يكون راغباً في شفاء مريضه أكثر من أن يكون يعمل لقاء أجر حتى ولو كان مرضاه من الفقراء.

٥ ـ أن يكون عفيف الفرج، غنيّ النفس، لا يغرّه منظر امرأة ولا نفاسة تحفة شاهدها في منازل عليّه القوم من خلال عمله.

---

(١) راجع: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، الجزء الثاني، ط ٣، بيروت، دار الثقافة، سنة ١٩٨١، ص ١٤٨.

٦ ـ أن يواكب التطور العلمي متابعاً لتحصيله.

٧ ـ أن يكون مأموناً ثقة على أرواح وأموال مرضاه، لا يصف دواء لا يعلمه ولا دواء يؤدّي إلى إسقاط الجنين، يعالج عدوه بنيّة صادقة كما يعالج صديقه[١].

الطبيب المصري أفرائيم بن زفان يبيع كتبه لتاجر عراقي فيستردّها الأفضل بثمنها:

ومن الأطباء المشهورين في مصر الفاطمية، الطبيب الإسرائيلي المذهب أبو كثير أفراييم بن الحسن بن يعقوب وقد عمل لعدة خلفاء، أخرهم الخليفة الآمر. وكان إلى جانب صناعة الطب يعمل في ترجمة الكتب الطبية ونسخها وبيعها. حتى يقال أنّه كان يوظّف ناسخاً جيد الخط، يدعى محمد بن سعيد بن هشام الحجري، ويلقب بابن ملساقة. ونمي إلى الوزير الأفضل بن بدر الجمالي، أن أبا كثير أفرائيم الملقب بابن الزفّان قد باع من خزائن كتبه الطبية عشرة آلاف كتاب، وقد أشرنا إلى هذه الحادثة في فصل المكتبات، فلما سمع الأفضل بذلك «أراد أن تبقى تلك الكتب بالديار المصرية، ولا تنتقل إلى موضع آخر، فبعث إلى أفرائيم من عنده بجملة المال الذي كان قد اتفق عليه بين أفرائيم والتاجر العراقي، ونقلت الكتب إلى خزانة الأفضل وكتب عليها ألقاب أفرائيم»[٢].

---

(١) راجع: م.س. نفسه، ص ١٧٠.

(٢) م.س. نفسه، ص ١٧٥.

وعندما مات أفرائيم ترك لأولاده من الكتب عشرين ألف كتاب.

ومنهم الشيخ السديد أبو المنصور عبد الله بن الشيخ السديد، أبي الحسن بن علي، وكان إلى جانب رئاسة الطب قاضياً للقضاة. وقد كانت مدة خدمته للحافظ وللظافر وللفائز واستمر حتى آخر خليفة فاطمي ـ العاضد ـ

الطبيب ابن جميع يردّ الحياة لأحد الأموات:

روى ابن أبي أصيبعة عن ابن جميع أنّه كان جالساً في دكانه عند سوق القناديل بالفسطاط، فمرّت أمامه جنازة فلما نظر إليها صاح بأهلها، «لا تدفنوه فهو حي». فتوقف أصحاب الجنازة وتشاوروا فيما بينهم وأقرّ الرأي على أن لا خسارة من معرفة رأي ابن جميع، وطلبوا منه إثبات وجهة نظره، فأمرهم بالعودة بالميت إلى البيت وأن ينزعوا أكفانه وحمله إلى الحمّام ففعلوا. فسكب الطبيب ابن جميع على المتوفّي الماء الساخن وأحمى بدنه وعطّسه، فتحرّك الميّت حركة خفيفة، فقال لهم: ابشروا بعافيته، وتابع علاجه حتى ردّه إلى حالته وصحّته، فاشتهر من حينها بقدرته، وسألوه كيف عرفت أنّه حيّ رغم أنه كان مسجى لا يتحرك فأجاب: إنّي نظرت إلى قدميه فوجدتهما قائمتين، وأقدام من يموت تكون منبسطة، فحدست أنّه حي. وكان حدسي صائباً[1].

ومنهم أيضاً ابن قرقة وابن حسدية.

---

(١) راجع: نفسه، ص ١٨٨.

أطباء في جميع الاختصاصات:

لم يكن هناك أطبّاء صحة عامة فقط، فطبيب الصحة العامة يكون من الأطباء العاديين. أما الطبيب المشهور له بالكفاءة، هو الطبيب الذي يتخصّص في مجال محدد من جسم الإنسان، كطبيب العيون والطبيب الجراح والطبيب الصيدلي المختص بصناعة الأدوية.

يخبرنا المسبحّي عن اشتهار أمر ثلاثة من أطباء العيون «يقدحون عيون الناس التي قد ركبها الماء (الماء الزرقاء) وانّهم إذا رأوا في عين أحد ماء» ضمنوا له أن يُبرئوا عينه فيزول عنه العمى ويبصر، وأنهم إذا فتحوا عينه، شاغلوه وأدخلوا في حدقته مبضعاً، فيصرخ حينئذٍ ذلك الإنسان صرخة، ثم يبصر لوقته. وأنهم قد أبرأوا جماعة قدحوهم فأبصروا»[1].

وكانت العمليات الجراحية معروفة في مصر الفاطمية وخاصة عملية شق البطن لإخراج المولود أو التي يطلق عليها مصطلح العملية القيصرية، نسبة لإخراج يوليوس قيصر من بطن أمه بطريقة شق البطن، بعد أن ماتت وهي تولد[2].

أما المجبّر العربي، وهو ما زال موجوداً في جبل عامل حتى اليوم، فكان كما هو اليوم، ليس طبيباً، بل يكون من التجار وأصحاب الدكاكين ولكنه يمارس تجبير الكسور إما بالمجّان أو لقاء أجر. وقد وصفهم المقريزي فقال إنهم يجلسون في باب زويلة «في بعض

---

(١) أخبار مصر في سنتين، م.س. ص ١٨٧.

(٢) راجع: الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٢٦١.

الحوانيت لعلاج من عساه ينصدع له عظم أو ينكسر أو يصيبه جرح ويعرفون بالمجبّرين».

ومن العمليات الجراحية التي كانت تخرج عن نطاق الأطباء وتدخل ضمن عمل المزيّنين وحلاّقي الشعر، عملية ختن الأولاد. وقد أخبرنا المقريزي نقلاً عن القاضي النعمان إقدام الخليفة المعزّ لدين الله على ختن أولاد المسلمين كلهم في الدولة الفاطمية احتفاء بختن ولديه عبد الله ونزار. وقد كلّفت عملية الختان خمسمائة ألف دينار ذهباً ـ عدا الخلع والثياب ـ لجزيرة صقلية وحدها. «ومثل ذلك إلى كل عامل من عمال مملكته».

ويقول المقريزي إن عدد الأولاد الذين ختنوا بحضور الخليفة المعز «اثنا عشر ألف صبي». وختن من أولاد أهل صقلية المسلمين وحدها خمسة عشر ألف صبي. «وكان وزن خرق الأكياس المفرغة مما استعمل في هذا الإعذار (الطهور) مائة وسبعين قنطاراً» = ١٧٠×٢٥٠= ٤٢٥٠٠ كلغ = أو اثنان وأربعون طناً ونصف من الخرق. ويقدّر بعض المؤرّخين أن الذين ختنوا على حساب الدولة في جميع الأقطار الإسلامية التابعة للخلافة الفاطمية يزيدون على المليون صبي ونيّف.

ولما أقدم الملك الظاهر الأيوبي صاحب حلب على ختن ألف صبي من أبناء حلّب بمناسبة طهور ولده الملك الصالح أحمد، ملأت أخبار هذا الطهور كتب التاريخ ودّبجت المقالات والقصائد[1].

---

(١) الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، م.س. ص ١٧٩.

أهمية الطبيب في قصور الخلافة:

كان الطبيب في مصر الفاطمية يعتبر من أعيان البلد والخلافة ومن أهم رجالات الدولة، وقد جرت عادة المؤرّخين أن يبتدأوا أو ينهوا أحداث كلّ سنة، بذكر اسم الخليفة وفريق عمله. وكان الطبيب الخاص بكل خليفة، يذكر من ضمن فريق العمل. فعلى سبيل المثال لا الحصر، يبدأ المقريزي سرد حوادث سنة ٣٦٤هـ فيعدّد وجوه الدولة وأعيانها كالتالي:

والخليفة أمير المؤمنين المعزّ لدين الله معدّ.

والخراج ووجوه الأموال ليعقوب بن كلّس.

والقضاء لأبي الطاهر محمد بن أحمد.

والشرطة السفلى إلى جبر بن القاسم.

والشرطة العليا إلى جبر السالمي.

وصاحب المظلة شفيع الصقلبي.

والطبيب موسى بن العازار.

وإمام الجمعة عبد السميع بن عمر العباسي.

وصاحب بيت المال محمد بن الحسين بن مهذّب وإمام الصلوات الخمس الحسن بن موسى الخياط والمحتسب عبد الله بن دلاّل.

ولم يكن حينها منصب الوزير قد تطوّر وعرف بالمعنى المفهوم للوزارة، لذلك كانت وزارة يعقوب بن كلس في بدايتها وزارة نظر في «وجوه الأموال»[1].

---

(١) راجع: اتعاظ الحنفا، الجزء الأول، ص ٢١٦.

أطباء بالمجان:

يخبرنا المقريزي أن أول من كلّف الأطباء بتطبيب الناس بالمجّان هو الوزير يعقوب بن كلّس، حيث جعل في «داره خزانة للكسوة وخزانة للمال وخزانة للأشربة (الأدوية)، وعمل على كلّ خزانة ناظراً. وكان يجلس عنده كلّ يوم الأطباء يقفون بين يديه لينظروا في حال الغلمان ومن يحتاج منهم إلى علاج أو إعطاء دواء. وأجرى عليهم الأرزاق والرواتب»، إضافة إلى إرسال البعثات الطبية مع كلّ حملة عسكرية.

عمل الطبيب يؤدي أحياناً إلى قتله:

لما كان الأطباء جزءاً لا يتجزأ من فريق عمل الخليفة، كانوا يتعرّضون لمواقف تؤدّي إلى مقتل بعضهم أحياناً. فقد كان يطلب من الطبيب أدوية مسمّة تؤدّي إلى قتل الخصوم، من خلفاء أو أمراء أو وزراء، وهو معرّض لتحمل نتائج الرفض أو القبول. فمثلاً عندما أراد الخليفة الحافظ لدين الله قتل ولده حسن تحت ضغط قوّاد الجيش، طلب من طبيبه النصراني أبي منصور تسميمه، فرفض أبو منصور، مدّعياً أنّه لا يعرف أن هناك سقيّة تميته مسموماً، ولما طلبها من ابن قرقة اليهودي، أعطاه إياها، ومات حسن. فلما هدأت نفس الخليفة الحافظ، أقدم على قتل الطبيب ابن قرقة.

رواتب ومخصّصات الأطباء:

كان راتب رئيس الأطباء لا يقل عن مئة دينار في الشهر، عدا الكسوات والأعطيات والعلاوات التي توزع في المناسبات والأعياد.

وكان طبيب القصر يترأس مجموعة كبيرة من الأطباء العاملين تحت إمرته، فلا يُعْقَلُ أن يكون عدد سكّان القصر يتجاوز الأربعين ألف إنسان، ما بين قائد ووزير وأمير وخادم وجارية وأستاذ، وأن يكون له طبيب واحد. وقد أكّد ذلك المقريزي حين قال «وللطبيب الخاص مائة دينار في الشهر، ولعدّة من الأطباء برسم أهل القصر كلّ منهم عشرة دنانير شهرياً».

وكما كان يصرف للأطباء رواتب ورسوم وعيّديات، كان يصرف للمرضى والمعاقين رواتب ورسوم وعيديات. وخبر المرأة المخلوقة بدون يدين وثديين التي أتت تطالب «بزيادة راتبها» معروف، وقد أقّرها الوزير رضوان بن ولخشي على طلبها، وأعادها إلى بلدها معزّزة مكرّمة.

أهم مستشفيات مصر الفاطمية واختلاف تخصّصاتها:

يخبرنا المقريزي أن أول مستشفى أقيم في القاهرة من قبل الخلفاء الفاطميين، كان يطلق عليه المارستان العتيق. المارستان هو تحريف لكلمة بيمارستان وهي كلمة فارسية تعني المستشفى. ويقول المقريزي إنّ هذا المستشفى، كتب على حيطانه كلّ سور القرآن الكريم وآياته وعمل له طلسم يمنع دخول النمل إليه وقد بناه العزيز سنة ٣٨٤هـ أي قبل وفاته بسنة، وقد استخدم له «الأطباء والطبائعيين والجرايحيين ومشرفاً (مدير مستشفى) وعاملاً وخدّاماً»[1].

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٤٠٧.

وكان أول مستشفى أقيم في مصر، أقامه أحمد ابن طولون، وخصّصه للعامة فقط، حيث «اشترط عليه أن لا يعالج فيه جندي ولا مملوك، واشترط أيضاً أنّه إذا جيء بالعليل تنزع ثيابه وموجوداته، وتحفظ عند أمين المارستان، ثم يلبس ثياباً ويفرش له ويزار ويعمل على إراحته بالأدوية والأغذية من قبل الأطباء حتى يشفى»[1].

وكانت طريقة التأكّد من استعادة المريض كامل صحته وعافيته أن يأكل فروجاً كاملاً ورغيفاً. فإذا أكلهما، أعيدت له ثيابه وموجوداته وسمح له بمغادرة المستشفى.

وكان الخلفاء الفاطميون يكبسون المستشفيات متنكّرين، للتأكّد من حسن معاملة الأطباء للمرضى، فقد أقدم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله سنة ٤١٥هـ على «زيارة البيمارستان متنكّراً في عبيده، فطافه وأطلق لكل مجنون خمسين درهماً، ورسم بعمارته وجرّ الماء إليه، وطلب أن يطبخ للمجانين كلّ يوم ما يأكلونه بعد أدويتهم»[2].

ولما وجد الخليفة الظاهر أن أمور الخدمة مستوفية كلّ شروطها في مستشفى المجانين، أطلق لمدير المستشفى مبلغاً محترماً من المال، وخلعة ورسوم. ووجود مستشفى مخصّص للمجانين فقط، يدلّ على المستوى الراقي الذي وصلت إليه حضارة مصر في مجال الطبّ وفي مجال معالجة المرضى، كلّ حسب مرضه.

ولم تكن المستشفيات محصورة فقط في عاصمة الخلافة، بل

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الثاني، ص ٤٠٥.

(٢) اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ١٤٣.

كان هناك مستشفى في كلّ مدينة من مدن بلاد الخلافة الإسلامية الفاطمية، ويدلّنا على ذلك حديث الرحالة الفارسي ناصر خسرو عن مستشفى القدس حين مروره بها، حيث وصفه بقوله: وفي بيت المقدس مستشفى عظيم عليه أوقاف طائلة، ويصرف لمرضاه العديدين، العلاج والدواء. وبه أطبّاء يأخذون مرتّباتهم من الأوقاف المقرّرة لهذه المستشفى»[1].

من الذي يصرف على مستشفيات الدولة:

لما كان الخلفاء معرّضون لهزات سياسية ربما تؤدي إلى إزاحتهم أو توقيف عجلة الدورة الاقتصادية اليومية لرعاياهم. ولما كانت المستشفيات هي من المرافق الحياتية المهمة المخصّصة للخدمة الإنسانية الصحية والطبية، كما المساجد كانت مخصّصة للخدمة الروحية، لذلك عمد الخلفاء المصريون إلى معاملة المستشفيات كمعاملة الجوامع والمساجد، فأقاموا لكل منها الأوقاف وحبسوا عليها الإقطاعات والضيع والقرى والمحلّات، يؤخذ كراها وأجرتها وأرباحها ليصرف منها عى متطلباتها. فأحباس المساجد والجوامع تصرف أرباحها على المؤذنين والقراء والخدم والقومة ولوازم التنظيف والإضاءة. وأحباس المستشفيات تصرف أرباحها على رواتب الأطباء والموظفين والأطعمة والأدوية والأشربة التي تحتاجها. وعلى سبيل المثال... يخبرنا المقريزي عن قرار الخليفة الحاكم بأمر الله اتخذه سنة ٤٠٥هـ، «بحبس عدة قياسر (أسواق)

---

(١) سفرنامة، م.س. ص ٥٧.

وأملاك مع سبع ضياع بأطفيح وطوخ، على القُرّاء والمؤذّنين بالجوامع وعلى ملء المصانع (خزانات ماء الشرب) والمارستان وثمن الأكفان»[1].

الصيدليات والصيادلة:

كان المؤرّخون العرب والمسلمون يطلقون على الصيادلة والأعمال الصيدلية مصطلح العشاب والعشابين، حيث أنّ اغلب الأدوية كانت تستخرج من الأعشاب، ومما يؤكّد هذا الرأي ما قاله ابن أبي أصيبعة عن طريقة استخراج الصيدلي رشيد الدين ابن الصوري، اللبناني العاملي، الأدوية حيث قال: وكان ابن الصوري يستصحب مصوّراً (رساماً) ومعه الأصباغ والألوان على اختلاف أنواعها، ثم يتوجه به إلى المواضع التي فيها النبات، مثل جبل لبنان وغيره من المواضع التي اختص كلّ شيء منها بشيء من النبات، فيشاهد النبات ويحقّقه، ويريه للمصوّر (الرسام)، فيدقّق بلونه ومقدار ورقه وأغصانه وأصوله، ويصوّر (يرسم) بحسبها، ويجتهد في محاكاتها (تقليدها)، وكان يعرض النبات على المصور في إبّان نباته وطراوته فيصوّره، ثم يريه إيّاه أيضاً وقت كماله وظهور بزره فيصوره كذلك. ثم يريه إيّاه أيضاً وقت ذواه (ذبوله) ويبسه فيصوّره، فيكون الدواء الواحد، يشاهده الناظر إليه في الكتاب، في جميع حالاته، فيكون تحقيقه له أتمّ ومعرفته له أبْيَن»[2].

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ١٠٦.

(٢) عيون الأنباء في طبقات الأطباء، ج ٣، ص ٣٦٠.

وهذه الدقّة في التآليف الصيدلية والطبية لم يعرفها إلا المؤلّفون المسلمون وخاصة في مصر الفاطمية. وبالعودة لكتاب طبقات الأطباء فصل أطباء مصر، تجد أسماء العديد من كتب الأدوية المفردة ألّفها العشّابون لخلفاء مصر ووزرائهم.

وظائفُ خزانة الشراب في الدولة الفاطمية:

عدّد المقريزي وظائف خزانة الشراب أو مخازن الشراب فقال إنّه عندما يزورها الخليفة يعرض حاميها (المسؤول) على الخليفة من عيون الأصناف العالية من المعجّنات العجيبة بالصواني الخلنج، فيذوق ذلك (المتذوق) بحضرته ويستخبر الخليفة عن أحوالها بحضور الأطباء الخاص. وفي هذه الخزانة من البرابي (خوابي) عدة عظيمة لماء الورد، والبنفسج والنسرين، وأصناف الأدوية من الرند وما يجري مجراه، مما لا يقدر أحد على مثله إلا في هذه الخزانة. وفيها ما يدخل من الأدوية ومن آلات العطور وغير ذلك من الدرياق (أدوية ضد سم الحيات) حين يأمرهم الخليفة بتحصيل أصنافه. ويؤكد على ذلك تأكيداً عظيماً. ولا يصرف منها شيء للحاشية وللأمراء ولمستشاري القصر إلا بموافقة الأطباء[1].

وكل هذه الأدوية كانت تعد لها «الكركة» لُيُجرى تقطيرها.

وكان الرمان مصدر مهم للأدوية، فعندما عمّت الأمراض في أهل مصر والقاهرة سنة ٤١٥هـ أيام الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله،

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٤٢٠.

«وتواتر الموت، بحيث لم تخل دار أحد من عدة مرضى من الدم وأوجاع الحلق»، تهافت الناس على شراء الرمان واعتصاره، فبلغ سعر حبة الرمان ثلاثة دراهم، وأوقية الشراب منه بدرهم.

ولم يكن الرمان أيضاً مصدراً مهماً للأدوية فقط، بل يخبرنا المقريزي أنه عندما سقطت شرفة أحد المنازل على ابن شاور أحد وزراء الخليفة العاضد سنة ٥٥٩هـ، أغمي عليه، وأدخله الناس إلى البستان الكافوري بعد أن يئسوا منه وظنّوه ميتاً، فاستدعى شاور رئيس أطباء قصر الخلافة، «فعصر في أذنه حصرماً فأفاق، وأتاه الشراب من عند الخليفة فشربه، وركب إلى داره بعد أن توّرم وجهه»[1].

الوزير اليازوري يشرب أدوية الحماية:

كان الوزير أبو محمد اليازوري، يؤمن أنّ للنفس الإنسانية أربع طبائع، ويجب أن يكون هناك توازن بين هذه الطبائع، فإذا أخل بواحدة منها أمر مغضب أم محزن، عليه أن يعيد التوازن إليها، فلذلك «كان لا يعطل شرب الدواء يوماً واحداً، فيشرب السكنجبين (شراب من الخل والعسل)، وماء الورد أسبوعاً، ثم يريح نفسه ثلاثة أيام، ثم يشرب النقوع المغلي (المشمش المجفف) في الشتاء، والمنجم منه في الصيف، أسبوعاً كاملاً لكلّ منهما، ويشرب ماء بذرة القمح أسبوعاً، ويشرب ماء الجبن ثمانية أيام، ويشرب ماء البقول أسبوعاً،

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ٢٧٦.

ثم يشرب الرَنْد المنقوع كذلك، ويريح نفسه بين كلّ دوائين ثلاثة أيام. لا يخلّ بذلك في صيف ولا في شتاء[1].

ويخبرنا المقريزي أيضاً أنّ الأدوية كانت تفقد وترتفع أسعارها إذا كثرت الأمراض، فقد أصابت مصر سنة ٣٩٩هـ، موجة أمراض طارئة، «فكثر موت الناس وعزّت الأدوية»، ونعلم من الأصناف التي ذكرها على أنها مصدر للأدوية: السكر، بذر الرمان، دهن البنفسج، العنّاب، الإجاص، والنيلوفر.

دار الشراب صيدلية عمومية مجانية:

كتب ناصر خسرو مشاهداته في قصر الخلافة أيام المستنصر، فأعلمنا أن دار الشراب السلطانية، تصرف لكل من طلب منها مشروباً أو دواءً من أهالي القصر أو غيرهم فيعطاه. وقال إن الزيوت والدهون كزيت البيلسان وغيره «كان للناس كافة، يطلبونها ولا تمنع عليهم».

طبلة القولنج:

القولنج هي لفظة يونانية معربة تعني مرضاً معوياً، يؤدي إلى تعسر خروج الغائط والريح أو ما يطلق عليه العامة: نفخة في المعدة يحاول المريض الترويح والتنفيس فلا يقدر.

وكان الأطباء قد صنعوا للخليفة الحافظ لدين الله طبلة، إذا ضرب

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثاني، ص ٢٤٤.

عليها، ساعدت سامعها على الترويح والتنفيس، ونقل ابن تغري بردي أن الذي صنع له هذه الطبلة هو الطبيب شيرماه الديلمي. وقيل أنّ الذي صنعها الطبيب موسى النصراني، ونُقل عن حفيد شيرماه الديلمي أن الخليفة الحافظ لدين الله كان «كثير المرض بعلّة القولنج» فعمل له هذا الطبل. وكان من خواصه أنّه إذا ضرب عليه أحد خرج الريح من مخرجه.

حجر الاستسقاء:

مرض الاستسقاء هو المرض الذي يؤدي ببطن المريض إلى أن تمتلىء بالماء بشكل غير طبيعي، وقد حاول الأطباء وضع حلول لهذا المرض.

أما خبر هذا الحجر فقد أورده القاضي الرشيد ابن الزبير نقلاً عن خطير الملك، الذي أفاد أن جدّته والدة أبيه، أهدت إلى والدة المستنصر السيدة رصد، حجراً أبيض معمولاً على شكل خرزة، إذا شُدّ ليلاً على سرّة المريض بالاستسقاء، وترك إلى الصباح ثم جُعل في الشمس قطرت منه قطرات ماء إلى أن لا يبقى فيه شيء، ثم يعاد ويشدّ على سُرّته ويعاد إلى الشمس، ويكون منه مثل ذلك دفعات، وبطن المريض يتناقص ورمه وما فيه، حتى لا يبقى منه شيء، ويعافى من مرضه ويصح[1].

علماً أن الخليفة الظاهر والد الخليفة المستنصر مات بمرض الاستسقاء.

---

(١) راجع: الذخائر والتحف، م.س. ص ٨٣.

فص الأنعاظ أو خاتم إثارة الشهوة الجنسية:

وكذلك تحدث الرشيد ابن الزبير عن خاتم فيه فصّ، إذا لبسه صاحبه، أنعظ وقويت عليه شهوة النكاح، فلا يزال يجامع ما دام يلبسه، فإذا خلعه سكن وهدأ ورجع إلى حاله.

ويخبرنا المقريزي أيضاً في مجال سرد التحف التي أخرجت من قصر الخليفة المستنصر، تمثالاً لذكر جميل المنظر عارٍ من الثياب، ذى إحليل، يضع أصبعاً في فمه وأصبعاً في إسته، وقال إن هذا التمثال كان يستعمل لزيادة شهوة الجماع عند مقتنيه.

ترى هل أخبار هذه الآلات صحيحة أم هي من نسج الخيال؟ وفي كلتي الحالتين، يدلّ ذكرها على أنّ الأطباء كانوا يحاولون إيجاد حلول لمشاكل هذه الأمراض، كما أنّ اختراع حبة الفياغرا المهيّجة للشبق الجنسي، دليل على استمرار وتواصل البحث العلمي على إيجاد حلول لكلّ المشاكل الصحية والجنسية.

وكما كنّا قد أشرنا إلى العديد من حالات الإعاقة الجسدية، يخبرنا المقريزي عن ولادة ولد «بدون مبولة»، وتوأم برأسين وجسم واحد، وكل هذه الحالات الإنسانية ما زالت قائمة وموجودة في مصر وخارج مصر.

ومن الأمراض التي كثر الحديث عنها لدى أطباء قصور الخلافة، مرض الذبحة، وهو ورم في الحلقوم وفي اللوزتين، يصعب معه الابتلاع والتنفس ويؤدي إلى اختناق المرض وموته.

وكذلك مرض الذرب، وهو المرض الذي أدى إلى وفاة سيدة

القصور أو السيدة العزيزية أخت الخليفة الحاكم بأمر الله، ومدبّرة أمور الدولة الفاطمية من بعده، ومرض الذرب هو مرض الحصاة في الكبد، وهو مرض مزمن يشكل الأوجاع الحادة لصاحبه، وكان الأطباء يعالجونه بالأشربة المختلفة المذوبة للحصاة.

إنّ المطلع على الأساليب التي كان يلجأ إليها الأطباء في مصر الفاطمية، إلى جانب طريقتهم في تركيب الأدوية، يجد مدى تقدّمهم الحضاري في هذا المضمار، ويرى أن لا كبير فرق بين أساليبهم ووسائطهم، والوسائط الطبيّة المعاصرة، أمام هذه الأمراض التقليدية.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الخصائص الفنية للأدب الشيعي المصري

كان ادب القرن الثالث الهجري قد استنفد كلّ الموضوعات الدينية والفكرية والاجتماعية والفلسفية المطروحة أمام الناس. وأصبح التجديد يطال شكل القصيدة أو النص النثري. وما أن دخل القرن الرابع الهجري، حتى استنفد الأدباء كلّ المحاولات التجديدية إن في بناء القصيدة أو بالعمود الشعري أو بالقافية الواحدة، فبدأوا يكثرون من مجزوءات البحور، وينوّعون في قوافي القصيدة الواحدة، فظهرت المخمّسات والرباعيات والمثنّيات الشعرية على صعيد الشعر، وظهرت الخطابة والمقامة والأمثال والمواعظ إلى جانب ظهور فن السير والترجمة الشخصية، والكتابات الديوانية. وحاول شعراء القرن الرابع والقرن الخامس في مصر الفاطمية التجديد فوجدوا أنفسهم، يأخذون المعاني القديمة ويعرضونها بطريقة جديدة. ولكننا لاحظنا أنّ لكلّ شاعر طريقة في صياغة الشعر ولكل أديب أسلوبه في كتابة النثر وكان ما يميّزهم عن غيرهم من أدباء العروبة، البعد عن الصنعة والتكلّف عند أغلبهم.

وبالرغم من كثرة الشعراء في مصر الشيعية، فلم يستطيعوا أن

يستحدثوا مذاهب فنّية جديدة تواكب الحضارة الراقية التي خلقها الفكر الإسلامي الشيعي في مصر.

لكن التطوّر الحضّاري الراقي، الذي نعمت به مصر الفاطمية. أدّى إلى انعكاس هذا التطوّر في شعر شعرائها، مما أخرج شعراً سلساً ناعماً ينفح بالقبسات الحضارية التي عرفتها مصر في هذه الحقبة. وأعطانا هؤلاء الشعراء، صوراً جديدة، لمستجدات هذه الحضارة، كوصف المواكب الاحتفالية ووصف الأعياد و «السِدِلاً» والمناظر وخيمة القاتول وغيرها من المظاهر الحضارية الرائعة.

وشعر الوصف أو شعر الطبيعة في مصر الفاطمية، أصبح صفة يقتصر عليها الشعر المصري الفاطمي، فالمصريّون في مصر الفاطمية، كانوا على دين خلفائهم في كلّ شيء، لذا، كانوا يميلون إلى الترف في كلّ شيء: في الملبس والمسكن والمأكل، واقتنوا التحف والنفائس والرياش، أكثر من أمرائهم وخلفائهم، وغالوا في ذلك نظراً لكثرة أموالهم ووفرتها. وقد وصف الشعراء المصريون، كلّ ما وقع تحت نظرهم، ولم تكن الطبيعة وحدها هي التي أكثروا من الحديث عنها، بل ذكروا المنشآت المختلفة، كدار صناعة الأساطيل والسفن وخزائن القصور، ودار الفطرة، وعمود مقياس النيل، والمكتبات والجامعات وكل ما شاهدوه وعايشوه، كما وصفوا القصور والبساتين المحاطة بها وجميع أنواع الفواكه والطيور، واشترك كلّ الشعراء المصريين في هذا الفن.

ولم يترك الشعراء المصريون، شيئاً إلا ووصفوه وصفوا النيل، وبساتينه ومنتزهاته وأمواجه وسفنه وبركه. وصفوا

الأهرامات، ووصفوا أبا الهول. «وقد رقت مشاعرهم، ودقّ حسّهم، وتأثروا بما حولهم، تأثراً كبيراً. وأتت جميع الصور، مصرية فاطمية خالصة. أخذت من حياة مصر التي تعرف المبالغة في كلّ شيء».

أما الشعر العسكري الذي جاء على ألسنة الشعراء المصريين، فقد كان صادق النية، صادق الصورة، صادق التوجّه، فمصر كانت منذ الأزل، صمّام أمان العروبة الإسلام، فكيف إذا تسلّم زمام قيادتها، أهل بيت النبي، وأصحاب الإسلام الأصيل؟ فمن الطبيعي أن يكون توجّههم وهمّهم وشاغلهم الوحيد، تحرير بلاد الإسلام والمسلمين من كلّ عدو غاصب، وأكثر دليل على صدق الشعر العسكري الشيعي المصري، شعر ابن هاني الأندلسي وشعر الملك الصالح طلائع بن رزيك.

كذلك تميّز الرثاء والمدح عندهم بالسمو الروحي بسبب انتماء الممدوحين إلى العترة النبوية الطاهرة. فالمديح الذي صاغه شعراء مصر للخلفاء وكذلك الرثاء، كان يتّسم بالصدق والصفاء، والاحترام والتقديس.

أما الكتابة النثرية، فقد حققت على يد الشعراء والأدباء المصريين الفاطميين نهضة قوية بسبب ما قام به الفاطميون من نهوض بالعلم وإذكاء شعلته، في مصر والبلاد الإسلامية التابعة لها، فقد عني الخلفاء الفاطميون بالكتّاب عنايتهم بالشعراء ذلك أنّ اتساع ملكهم وتشعّب نواحي حياتهم وسلطانهم، اضطرّهم إلى أن يوجّهوا همّهم إلى العناية بالدواوين والكتابة الديوانية، ورفع هذه الكتابة إلى

مستوى يتناسب مع غلوّهم في إظهار مجدهم والدعاية لهم عند شعوب العالم كلّه[1].

وبسبب اهتمام الخلفاء والوزراء بالكتابة النثرية والديوانية، أقدم علي بن منجب الصيرفي على تأليف كتاب بعنوان ديوان الرسائل، وحدّد فيه شروط كاتب ديوان الرسائل، كما أشرنا.

اهتمام الفاطميين بالشعر والشعراء:

لما كان الفاطمّيون أصحاب مذهب ديني مختلف عن المذاهب التي كانت سائدة في الدولة الإسلامية، وهو المذهب الشيعي الإمامي، ولما كان الشاعر هو صحافي عصره، وجد الفاطميّون ضالّتهم في الشعر والشعراء فأعطوهم وأعطوا الشعر من الإهتمام الشيء الكثير، وأخذوا من الشعراء أكبر درع أو ترس للدفاع عن أنفسهم في مصر الفاطمية، والخبر الذي نقله المقريزي عن الشريف أبي عبدالله بن محمد بن أسعد الجواني، وهو إقدام الخليفة الآمر على بناء منظرة مشرفة على بركة الحبش، وقام بتصوير كلّ الشعراء ووضع صورهم على رفوف لطيفة مذهّبة، ووضع تحت صورة كلّ منهم، اسمه وبلده، وطلب من كلّ واحد منهم أن ينظم قطعة من الشعر في المدح وذكر المنظرة. فنظموا ووضع كلّ واحدة قصيدته تحت اسمه، «فلما دخل الآمر وقرأ الأشعار، أمر أن يضع على كلّ رفّ صُرّة مختومة فيها خمسون ديناراً، وأن يدخل

---

(١) الحياة الفكرية والأدبية بمصر، من الفتح العربي حتى أواخر الدولة الفاطمية، محمد كامل حسين، ط ١، القاهرة، مكتبة النهضة العصرية، سنة ١٩٥٩، ص ٢١٠.

كلّ شاعر ويأخذ صرّته بيده. ففعلوا ذلك وأخذوا صررهم، وكانوا عدّة شعراء»[1].

وذكر المقريزي أن الوزير الأفضل بن بدر الجمالي كان في كلّ جلسة شعرية يوزّع خمسة وثلاثين ألف دينار في سبعة مظاريف أي في كلّ مظروف خمسة آلاف دينار «فإذا اتفق طرب السلطان واستحسانه لشعر من أنشد منهم، فينعم عليه بغير سؤال، وقد شاع أمر هذه الظروف وكثر القول فيها واستعظم أمرها، وضوعف مبلغها»[2].

الشعب المصري ناقد ومتذوّق للشعر:

عندما يحدثنا المقريزي عن الاحتفال بفتح الخليج أو أخذ مقياس النيل، يقول: إنّ الخليفة سمح للشعراء بالدخول بعد أن ختم قرّاء القرآن قراءتهم، فأمر صاحب الباب بالسماح للشعراء بالدخول إلى مجلس الخليفة داخل الخيمة المنصوبة له من أجل هذا الاحتفال، فيأمر صاحب الباب بتقديمهم واحداً بعد واحد، «ولهم منازل على مقدار أقدارهم فالواحد يتقدّم الواحد بخطوة في الإنشاد، وهو أمر معروف عند مستخدم يقال له النائب. وتقدّم شاعر يقال له ابن جبر وأنشد قصيدة منها:

فتح الخليج فسال منه الماء ... وعَلَت عليه الراية البيضاء

فصفت موارده لنا فكأنّه ... كفّ الإمام فعرفها الإعطاء

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الأول، م.س. ص ٤٨٧.

(٢) راجع: م.س. نفسه، ص ٤٨٤.

فانتقد الناس عليه قوله: «فسال منه الماء». وقالوا: أي شيء يخرج من البحر غير الماء، فضيّع ما قاله بعد هذا المطلع.

وتقدّم شاعر يقال له مسعود الدولة بن جرير وأنشد:

ما زال هذا السدّ ينظر فتحه إذن الخليفة بالنوال المرسل
حتى إذا برز الإمام بوجهه وسطا عليه كلّ حامل معول

فانتقدوا عليه قوله في البيت الثاني، وقالوا أهلك وجه الإمام بسطوات المعاول عليه، وإن كان قصد فتح السدّ بالمعاول ولكنه ما نظمه إلا قلقاً.

ثم تقدّم شاعر ثالث يقال له كافي الدولة أبو العباس أحمد وأنشد قصيدة، شهد له جماعة أنّه نظمها ارتجالاً منها:

لمن اجتماع الخلق في ذا المشهد للنيل أم لك يا ابن بنت محمّد
أم لاجتماعكما معاً في موطن وافيتما فيه لأصدق موعد

فأمر له الخليفة على الفور بخمسين ديناراً وخلع عليه وزيد في جاريه»[1].

وكنا قد أشرنا إلى هذه القصيدة كاملة في معرض حديثنا عن احتفالات فتح الخليج. وهي تدلّ على مدى اهتمام الخلفاء والوزراء الفاطميين والشعب المصري بالشعر وقدرة تذوّق جيّده من رديئه.

ويخبرنا المقريزي أنّ الشعراء المصريين، أخذوا يطنبون في مدائحهم، أيام الخليفة الحافظ، وتناهوا في إطالة القصائد حتى صار الإنشاد يؤدي إلى أخذ أوقات غيرهم من الاحتفالات، فخرج الأمر

---

(١) الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٤٧٨.

إليهم بالاختصار فيما ينشدونه من الأشعار، فاعترضوا وأصّروا على أن يكون لهم الوقت الكافي لإلقاء قصائدهم، وقد عبّر الشاعر المصري أحمد بن مفرّج عن هذا الأمر بقوله[1]:

أمرتنا أن نصوغ المدح مختصراً ... لم لا أمرت ندى كفّيك يختصرُ

والله لا بُدّ أن تجري سوابقنا ... حتى يبين لنا في مدحك الأثرُ

فنزل الخليفة الحافظ عند اعتراضهم، وأمرهم بأن يستمرّوا على ما هم عليه من الإطالة في الإنشاد.

رواتب الشعراء:

كان الشاعر المصري في الدولة الفاطمية يتقاضى راتباً ثابتاً من قصر الخلافة، هذا غير ما يتقاضاه من الورزاء والقوّاد والخليفة من هبات وأعطيات في المناسبات والأعياد.

عندما يتحدّث المقريزي عن ديوان الرواتب ويستعرض رواتب كبار الموظفّين والقواد، وقاضي القضاة وداعي الدعاة وخطباء الجوامع يقول، إنّ رواتب الشعراء الشهرية، تتراوح بين عشرين ديناراً وعشرة دنانير[2].

ويعود المقريزي ويؤكّد صحّة هذه الرواتب وقدرها في اتعاظ الحنفاء عند حديثه عن أهم مميّزات الدولة الفاطمية[3].

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، م.س. ص ١٧٦.

(٢) راجع: الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٤٠١.

(٣) راجع: اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ٣٤٠.

أما الرحالة الفارسي ناصر خسرو فقد قال أنّ رواتب الشاعر المصري أيام الخليفة المستنصر، كانت تبلغ آل خمسمائة دينار، ولم يوضح إن كانت في السنة أم في الشهر[1].

ويخبرنا العماد الأصفهاني أنّ الشاعر أبا عبدالله بن مُسَلَّمِ الكاتب، استطاع أن يحصل على زيادة في راتبه مقدارها خمسة دنانير، فاحتجّ ابن مجير الصقلي وطالب بزيادة مماثلة له، ولكن لم يحصل إلا على نصف دينار كزيادة راتب في الشهر.

يقول ابن مجير الصقلي[2]:

جرى الحديث فقالوا: كلّ ذي أدب ... أضحت له خمسة تجري بمقدار
بأيّ فضل حواه ابن المُسَلَّمِ من ... دون الجماعة حتى زيد في الجاري
أجروا له خمسة عن حقّ سيرته ... فقال لا تنقصوني حقّ أشعاري
نادوا عليه، وسوق الشعر نافقةٌ ... فلم يزد قدرها عن نصف دينار

إلقاء الحجز على رواتب عمارة اليمني:

عمارة اليمني، الشاعر المصري، المسلم السنّي الشافعي، ذلك الشاعر الذي أصبح رمزاً وعنواناً للوفاء، وهو الشاعر الوحيد الذي لم يتخلّ عن أصحابه وأصدقائه، بالرغم من كثرة تقلّب الحكومات والوزارات، رفض أن يهجو آل رزيك، كما رفض أن يهجو ضرغام ورفض أن يهجو شاور. فكانت النتيجة أن حقد عليه بني أيّوب، وما أن وضعوا يدهم على الحكم في مصر سنة ٥٦٤، أوقفوا رواتبه

---

(١) راجع: سفرنامة، ناصر خسرو، م.س. نفسه، ص ٩٥.

(٢) خريدة القصر جريدة أهل العصر، الجزء الثاني، م.س. ص ٨٣.

وألقوا الحجز عليها. فتوسط مع والد صلاح الدين نجم الدين أيوب. لفكّ الحجز فقال، يخاطبه[1]:

هل أنت مصغ إلى دعوى أُحبِّرها ... إلى علاك فأنت الخصم والحَكَمُ
ما زال في الثغر لي رزقٌ سحائبه ... تهمي على روض آمالي وتنسجم
حتى ملكت فلا نجم أسير به ... إلى علاك ولا نار ولا عَلَمُ
واليوم خمسةُ أعوام محرّمة ... لم يسقني لك لا طلّ ولا دِيَمُ

ولكن بدل أن يستعطفه، يذكرّه بما كان له من الخلفاء الفاطميين من مكانة واحترام.

وكان لي من ملوك النيل قبلكم ... مكانة عرفتها العرب والعَجَمُ

وأنه كان يعامل معاملة الضيوف والسفراء:

وإنما أنا ضيف للملوك ولي ... دون الضيوف لسان ناطق وَفَمُ

ويتمنّى عليه أن يوقّع على إعادة رواتبه المحجوزة:

فامنن ووقّع بنصف الألف أقسمها ... فيهم، فما لك بين الناس ينقسم

ولكن لم ينفع الكلام مع نجم الدين أيّوب واستمرّ الحجز على رواتبه.

فاتجه لولده المعظم طوران شاه حيث خاطبه بقوله[2]:

فأمنن عليّ بنصف الألف راتبة ... فقدر ودّك لا يحويه مقدار
مقسومة في شهور العام تحمل لي ... أقساطها كلّ شهر وهي أدوار
وإن عَزَمْتَ على تسيير مكرمة ... فهذه الكلمات الغرّ أطيارُ

---

(١) ديوان عمارة اليمني، ص ٩٤٠.
(٢) ديوان عمارة اليمني، م.س. ص ٦١٨.

ولما لم تنفع الوساطات مع والد صلاح الدين وشقيقه طوران شاه، حاول أن يستعيد هذه الرواتب بتوسيط صديقه القاضي الفاضل، علي بن عبد الرحيم البيساني، الذي كان من أقرب المقرّبين لصلاح الدين الأيوبي، لاشتراكهما في مناصبة العداء للخلفاء المصريين فقال عمارة[1]:

أناجيك والهم الدخيل مقيم ... وأدعوك والصبر الصحيح سقيمُ
قست رأفة الدنيا فلا الدهر عاطف ... عليّ ولا عبد الرحيم رحيمُ
عفا الله عن آرائه كلّ فترة ... كلام العدى فيها عليّ كُلُومُ
وسامحه في قطع رزق بفضله ... وصلت إليه والزمان ذميمُ
ألا هل له عطفٌ عليّ فإنني ... فقيرٌ إلى ما اعتدت منه عديمُ

عمارة يطلب نقله من قصر الخليفة إلى قصر الضيافة على سبيل التقاعد والإعفاء من الخدمة ونظم الشعر:

ويخبرنا الفقيه عمارة في كتابه: النكت العصرية، أنّه طلب من الوزير شاور الاستعفاء من الخدمة ونقله إلى قصر الضيافة حيث يقول: «فقلت له إن لي مدّة تنازعني النفس في الحديث معك في حاجة وقد عزمت أن أقولها لك، فإن قضيتها، فقال: وما هي؟ قلت: تعفيني من عمل الشعر، وتنقل الجاري (الراتب) على الخدمة راتباً على حكم الضيافة، فإنّي أرى التكسّب بالشعر والتظاهر به نقيصة في حقّي، فقال الوزير شاور: فما منعك أن تستعفي في أيام الصالح وابنه؟ قلت: كان لي أسوة وسلوة بالشيخ الجليس ابن الحباب،

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ٢٢٤، الديوان، ص ٩٤١.

وبابني الزبير الرشيد والمهذّب، وقد انقرض الجيل والنظراء. قال: تُعفى. ثم أمر بإنشاء سجّل (مرسوم) بإعفائي وأخذ عليه خط الخليفة ثم خطّه»[1].

تكريم عمارة، تكريم للأدب والشعر:

وعندما رثى الفقيه عمارة الخليفة الفائز ومدح الخليفة العاضد ووزيره الملك الصالح طلائع بن رزيك بقصيدته الميمية التي مطلعها:

الحمد للعيس بعد العزم والهمم حمداً يقوم بما أولت من النِّعَمِ

كان الملك الصالح يستعيد أبياتها في حال الإنشاد مراراً، وأفاض عليه الخليفة العاضد الخلع المذهّبة، وأعطاه الملك الصالح خمسمائة دينار، وأرسلت إليه السيدة الشريفة بنت الحافظ مع الأستاذين خمسمائة دينار أخرى، وحمل المال معه إلى منزله، وأطلقت له من دار الضيافة رسوماً جليلة، وتهادته أمراء الدولة إلى منازلهم للولائم.

واستحضره الملك الصالح للمجالسة، ونظمه في سلك أهل المؤانسة، وانثالت عليه صلاته، وغمره ببرّه.

ثم لما عزم على الرجوع إلى عدن، ودّع الخليفة والملك الصالح بن رزيك بقصيدة، فأوسعاه إكراماً وإنعاماً ورسم ان تكون أجرة تسفيره خمسمائة دينار، وبعثت إليه السيدة الشريفة بمثل ذلك.

---

(١) النكت العصرية، م.س. ص ٨٦.

وخلع عليه للسفر. ودفع له الملك الصالح مائة دينار، وكتب إلى ناصر الدولة والي قوص بأن يصرف له مائة إردب من القمح وثلاثة آلاف دينار، من مال ديوان مكة وعدن[1].

آراء نقدية للشعراء المصريين في شعرهم وشعر غيرهم:

يرى المتصفّح للنصوص الشعرية والنثرية العائدة لشعراء وأدباء مصر الفاطمية، أنّهم كانوا شعراء ونقّاداً في الوقت نفسه، وكان لكلّ منهم رأيه في الشعر الجيد والشعر الرديء.

يقول المهذّب بن الزبير في وصف الشعر الجيد[2]:

فلأكسوّن علاك كلَّ غريبةٍ ولجت بلطفٍ سَمْعَ من لم يسمعِ
خُتمت بما ابتدئتْ به فتقابلت أطرافها بموّشحٍ ومُرَصَّعِ
والشعر ما إن جاء فيه مطلع حَسَنٌ أُضيف إليه حُسْنُ المطلعِ
كالورد: أوّلُهُ بزهرٍ مُونِقٍ يأتي وآخره بماءٍ مُمْتِعِ

وكان الملك الصالح طلائع بن رزّيك يهتم بشعره وينقّحه بشكل دائم، كما يهتم بالشعراء ويقارضهم الشعر، كما ينتقد شعرهم ويقبل نقدهم لشعره.

وقال المهذّب بن الزبير يصف شعر الملك الصالح[3]:

ولنار فطنته تريك لشعره عذباً يروّي غِلَّةَ الظمآن
وعقود دُرٍّ لو تجسّم لفظها ما رُصِّعت إلا على التيجان

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ٢٢٨.
(٢) خريدة القصر، وجريدة العصر، قسم شعراء المغرب، الجزء الأول، م.س. ص ٢١٥.
(٣) مقدمة ديوان الملك الصالح، طلائع بن رزيك، ص ٤٦.

وتنزّهت عن أن يرى أفوادها ... لمواضع الأقراط والآذان

من كلّ رائقة الجمال زهت بها ... بين القصائد غرّة السلطان

سيّارة في الأرض لا يعتافها ... في سيرها قيد من الأوزان

فشل الأديب في التجارة:

لا مجال لأن يكون التاجر أديباً وشاعراً كما لا يستطيع أن يكون الأديب تاجراً، فلا مجال للتجارة والأدب أن يجتمعا. فلكي يكون الإنسان شاعراً عليه أن يمتلك الإحساس المرهف، والضمير الإنساني والقناعة وحسن الذوق والثقافة التاريخية واللغوية. أما التاجر فلا وقت له لاكتساب هذه المهارات، فالربح والخسارة تأخذان كلّ تفكيره ووقته. ومن سوء حظ الشاعر هبة الله بن عبد المحسن أنّه حاول أن يتعاطى التجارة، فتقدّم من الوزير رضوان بن ولخشي بضمان بعض إقطاعات الدولة، وعندما أراد دفع الضمان، تبيّن له أنّه انكسر عليه مال في ضمانه، فتقدّم من الوزير رضوان بكتاب استرحام جاء فيه[1]:

أنا شاعر وصناعتي الأدب ... وضمان مثلي المال لا يجبُ

أنا مستميحكم وليس على ... من جاء يطلب رِفْدَكم طلبُ

وإذا ترى الباقي عليّ فما ... من حاملٍ وَرِقٌ ولا ذهب

أي لم يبق معه لا فضة ولا ذهب، فسامحه الوزير رضوان بما بقي عليه من الضمان.

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الثالث، ص ١٦٤.

ابن قلاقس لا يجد من يشتري شعره بالماء والحطب:

يشكي ابن قلاقس همّه من كساد سوق الشعر الذي كان يرفض بيعه حتى ولو بالذهب، ولكنّ الزمان غدّار، فهو يقول[1]:

قد كنت أمنع بيع الشعر في زمن ... أقلّ ما يُتشارى فيه بالذهبِ
فصرت أعرضه بالبخس في زمن ... يُرَدُّ أكثره في الماء والحطبِ
ولي غرائبُ فيه لو يقوم بها ... أخو الشباب شفيعاً فيه لم يشب
ولم تكن وهي عند الروم ضائعةٌ ... فهل تضيع وقد جاءت إلى العرب

رأي عمارة اليمني بالشعر الجيّد:

يعترف الفقيه عمارة أنّ مطار الشعر واسع وكبير، وكل الناس تحاول أن تثبت جدارتها في القدرة على الطيران فيه. البغاث، أي صغار الطيور والبزاة، ويحدّد أصول الشعر وأسراره فيقول[2]:

ولم أر مثل الشعر يرجو بغاثه ... مطاراً بجوٍّ قد حمته بُزَاتُهُ
توهمَّ قوم أنّه الوزن وحده ... وقد غاب عنهم سرّه وسراته
فذلك لون الماء في العين واحد ... وما يتساوى ملحه وفراته

وقال يوصي قارىء ديوانه وأشعاره[3]:

أيها القارىء، إذا مِتُّ، لنظمي ولنثري
إن أكن أحسنت فاشكر، أو فَدَعْ ذمّي وشكري
واطّرِح ذكري إذا مرّ على سمعك ذكري

---

(١) ديوان ابن قلاقس، م.س. ص ٣٣٠.
(٢) ديوان عمارة اليمني، م.س. ص ٢٧١.
(٣) م.س. ص ٦٤٨.

أو فقل ما شئت إنّي عنك مشغولٌ بقبري

وقال أيضاً:

ليت شعري بعد موتي من تُرى يسكن داري

وكذا يا ليت شعري من لهذي الكتب قاري

كُتُبٌ أنفقت فيها عمر ليلي ونهاري

يا غَريم اليتم رفقاً بأطفال صغار

وتحكّم كيف ما أحببت فالدنيا عواري

ويصف جلال الدولة بن عمار جميل الشعر بقوله[1]:

وافى كتابك مطوياً على نُزَهٍ تقسّم الحسن بين السمع والبصر

جزل المعاني رقيق اللفظ مونقه كالماء يخرج ينبوعاً من الحجر

محاولات جديدة في أساليب النظم:

التجديد والجديد هو هاجس الإنسان في كلّ مكان وزمان، وكيف وإذا كان هذا الإنسان من مصر، «أم الدنيا» فالحضارة المصرية، هي أم الحضارات، وبالأخصّ في الحقبتين الذهبيتين، حقبة مصر الفرعونية وحقبة مصر الفاطمية، والحقبة الفرعونية لم يبق من آثارها إلا في فنّي العمارة والنحت، أما الحضارة الإسلامية الشيعية، فما زالت مسطرة على نفوس ونصوص وعادات وتقاليد وفنون المصريين حتى اليوم. وستبقى مسيطرة بسبب تألقّها الحضاري وبسبب عدم قدرة الحضارات الغربية المعاصرة على استيعابها

(١) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، رقم ٨، م.س. ص ٦٢٦.

وطمسها، فعلوم أهل البيت، وعادات أهل البيت، وحب أهل البيت هي الحضارة التي ما بعدها حضارة، فلا خوف على مصر من العولمة أو ما بعد العولمة.

والتجديد في العادات والتقاليد، يماشي التجديد في الشعر والعكس بالعكس. وهذا شاعر قوص علي بن الغمر الهاشمي ينظم قصيدة بدون تنقيط أو إعجام، وإن لم يكن فيها من جديد، فهي محاولة تجديدية[1]:

قال شاعر قوص علي بن الغمر الهاشمي قصيدة بدون إعجام[2]:

أأطاعَ مسمعهُ الأصم ملامَا ... أم هل كَرَاه أعارهُ إلمامَا

كلا وأحور كالمهاةِ مصارِم ... كل أطاع له هواهُ وهاما

وطَلا أرَاكِ ما عداك صدودهُ ... أسلاكَ دعداً دَلُّهُ وأُمَامَا

وأَعَدَّ عام وِصاله لك ساعة ... وأَعَدَّ ساعةَ صدِّهِ لك عاما

مُرْدٍ سُلُوَّكَ واصلاً ومصارماً ... إرداء صارم سِحره الأَحلاما

لولا مُكَحَّلُهُ الأَحَمُّ وسحرُهُ ... ودلالُه لم أُعطِهِ ما ساما

أَمُحَرَّماً وصلاً أراه مُحلَّلاً ... ومحللاً صدّاً أراه حراما

أو ما دروا لما رأوك مُحَكَّماً ... صوراً أراه لهم أَعَدَّ جِماما

هل سلَّ أحورُك الأحمُّ حسامَه ... أم سلّ مملوك الإمام حساما

ملك رآه الله أكرم عامل ... عملا وأكرم سادة أعماما

ولحسمه داءَ العُصاةِ أَعَدَّهُ ... لهم حساماً ما رأوه كهاما

عُمَراً دعوه لهول مطلعه كما ... لكمال سؤدده دعوه عصاما

---

(١) خريدة القصر، وجريدة العصر، الجزء الثاني، ص ١٦٣.

(٢) خريدة القصر، الجزء الثاني، ص ١٦٣.

سام علاه على السماك مَحَلُّها ... وأَكَلَّ حصر حدودها الأوهاما
وحُلاحِلٌ حُلْوٌ مُمِرٌّ حُوَّلٌ ... كالدهر صُوِّرَ واصلاً صَرَّاما
حسد الأكاسرُ لو رأوه مُلْكَهُ ... حسداً أعار صدورهم آلاما
سهل له عسر الأمور وسعده الـ ... ـمحروس أدرك كلّ أمر راما
وسُطاهُ صارعة الأسود معاً وما ... علموه أعمل صارماً صمصاما
ولُهَاهُ أسهل ما أراد مُؤَمِّلٌ ... وعلاه أعسر ما أراد مراما
راع الأسود له مصالةُ مصطلٍ ... لو رام حَطَّمَ هوله الأعلاما
ملأ السهول مع الوعور صواهلاً ... وصوارماً وعواسلاً وسهاما
وملوك أهل الدهر أكرم رهطه ... أرداهم حدّ الحسام كراما
وهو المُصَرِّعُ كلّ دارع لأمةٍ ... حصداء أحكم سردها إحكاما
ولكم رعالٍ هدَّ ساعة كَرِّهِ ... ومعسكر عدد الرمال أهاما
ولكم علوم ما أطاع مرامها الا ... وهام الهم سرها إلهاما
ولكم رواسٍ حطَّ عُصْمَ وعولها ... سحر دعاه حاسدوه كلاما
والمادحوه مدحهم مُهْدٍ له ... سكراً كما علّ الكرام مداما
كم آمل لك راح مأمولا وكم ... أمل أراه حول ودّك حاما
وكلام مولاك المعدك عمدةً ... لهم كلاءة عدلك الإسلاما

محاولات للخروج عن القافية:

قام الشعراء المصريون بمحاولات عديدة للخروج عن العمود الشعري ذي القافية الواحدة، فنجد الأمير تميم بن المعز يمدح أخاه العزيز بقصيدة من المخمّسات استعمل فيها العديد من القوافي إذ اتبع نظم كلّ أربعة شطور بقافية واحدة ونهاها بشطر خامس

مختلف القافية كقوله:

لـقـد أضـحـى لـنـا خَـلَـفـا نـزارٌ وابـتـنـى الـشَـرَفـا
وأصـبـح خـامـس الـخُـلَـفـا وأحـيـا سَـعْـيُـهُ الـسَـلَـفـا
فـأضـحـى بـالـهـدى قـائـمْ

وهي طويلة نسجها كلّها على هذا المنوال.

ومن المحاولات التجديدية قصيدة الفقيه عمارة في فارس المسلمين أبي الغارات الملك الصالح طلائع بن رزّيك التي نظمها على شكل الموشح[1]:

برّح بي عاذلْ	في أحور خاذل	حلو الشِيَمْ
في وصله وابل	لروضي الذابل	لا في الدِيم
قد حيّر الأذهان	فكلّها ولهان	يشكو الصدى
للحسن والإحسان	في وجهه عنوان	إذا بدا
وجوهر الألحان	أصدافه الآذان	إذا شدا
من لحظه الخاتل	ولفظه القاتل	ذقت الألم
والسحر في بابل	في جفنه الذابل	أصل القسم

وفي قصيدة ثانية يمدحه مع أولاده وأخيه منها[2]:

أبـيـضٌ مـجـرّدةٌ أم عـيـونْ تُـسَـلُّ وأجـفـانـهـنّ الـجـفـونْ
عـجـبـت لـهـا قـضـبـاً بـاتـره
تـصـول بـهـا الـمُـقَـلْ الـفـاتـره
فـتـغـدو لأرواحـنـا واتـره

(١) ديوان عمارة اليمني، م.س. ص ١٠٠٧.
(٢) النكت العصرية، م.س. ص ٣٨٨.

ظباءٌ فَتَكْنَ بأُسْدِ العرينْ وغائرةٌ خرَجَت من كمين

إذا ما هززنا رماحَ القدود

حمين النفوس لذيذ الورود

حياض اللَّمَى ورياض الخدود

وفيها:

ومن نصر العترة الطاهرين ونعم النصيرُ لهمُ المعين

لقد شَرُفت مِصرُ والقاهره

بأيّام دولته الباهره

وأصبح للدولة الطاهره

بعزم ابن رُزِّيك فَتْحٌ مبين وعزم ابنه ناصر الناصرين

شعر مزدوج القافية:

ومن المحاولات الشعرية الجديدة التي عرفها الشعر المصري الفاطمي، اعتماد قافيتين في البيت الشعري الواحد ولم أجد في كلّ النصوص الشعرية العربية في كافة العصور الأدبية أشعاراً مشابهة لهذه الطريقة الجديدة من النظم الشعري. والهدف منها إعطاء البيت الشعري نغماً موسيقياً لافتاً للأسماع بسبب تكرار قافيتين متقاربتين في اللفظ.

يقول الشاعر المصري الفاطمي أبو الفتح محمود بن إسماعيل المعروف بابن قادوس في مدح الملك الصالح[1]:

---

(١) خريدة القصر، م.س. الجزء الأول، ص ٢٢٩.

مـلـيـك تـذل الـحـادثـات لِـعـزّه يـعـيـد ويـبـدي والـلـيـالـي رواغـم
وكـم كربـةٍ يـوم الـنـزال تـكشّـفـت بـحـمـلاتـه وَهْـيَ الـغـواشـي الـغـواشـمُ
تشـيـد بـنـاء الـحـمـد والـمـجـد بـيـضُـهُ وهُـنَّ لاسـاس الـهـوادي هـوادَم
رقـاق الـظُّـبـا تـجـري بـأجـال الـورى وأرزاقِـهـم فـهـي الـقـواسـي الـقـواسـم

ومن أقوال الأمير تميم بترديد القافية الواحدة مفتخراً:

ولنا الندى ولنا السَّدى ولنا الهدى ولنا الجدا ولنا الردى ولنا الوعى
لـم نـلـف إلا مـاجـداً أو راشـداً أو رافـداً أو صـاعـداً أو مـصـقـعـا

بداية الزجل والشعر الشعبي:

يروي علي بن ظافر الأزدي عن بعض أصحابه المصريين أن بعض جلساء الملك الصالح طلائع بن رُزّيك انشد بمجلسه بيتاً من الأوزان التي يسمّيها المصريون: «الزركالش» ويسمّيها العراقيون: كان وكان، وذكر هذين البيتين[1]:

الـنـارْ بـيـنْ ضُـلُـوعـي ونـا غـريـقْ فـي دمـوعـي
كـنّـي فـتـيـلـهْ قـنـديـلْ أمـوت غـريـقْ وحـريـقْ

بتسكين أواخر الكلمات.

وهذا النوع من الشعر الشعبي، بدأ يظهر على لسان الشعراء المصريين، كما أنّه بدأ يأخذ حيّزاً من حسّهم وتذوّقهم الشعري.

---

(١) بدائع البدائه، علي بن ظافر الأزدي، م.س. ص ٢٤٩.

رأي النقاد المصريين المعاصرين بأدب مصر الفاطمية:

يرى الدكتور محمد كامل حسين وهو من أهم دارسي الأدب المصري في ظل الإسلام الشيعي، أنّ الشعر والأدب في مصر الفاطمية «جاء إيذاناً بظهور دور جديد من أدوار الشعر، بدأ في القرن الرابع الهجري، واستمرّ تيّاره جارفاً قوياً، بل استطاع شعراء مصر، أن ينتزعوا زعامة الشعر وأن يحتفظوا بها حتى عصرنا الحديث»(١).

ويقول الكاتب «أنّ الشخصية المصرية، إن لم تكن موجودة في الأوزان والقوافي أولاً وفي الأسلوب، فهي موجودة في الأخيلة الشعرية والمعاني، وقد استطاع الشعر المصري الفاطمي تصوير الحياة المصرية في هذه الحقبة المضيئة أصدق تصوير، بحيث أنّك إذا قرأت هذا الشعر، لا تستطيع أن تنسبه إلى قطر عربي آخر غير مصر، فمن ناحية الشعر السياسي، يعتبر هذا الشعر سجلاً للأحداث التي جرت في هذه القرون الثلاثة». وبالرغم من أن أكثر هذا الشعر قد فُقد، وطالته يد التدمير والحرق، كما طالت كنوزهم وقصورهم ولكن ما بقي منه، يصوّر الحياة المصرية الشيعية بكل جوانبها.

هذا الأدب الذي بلغ القمة في ظل الإسلام الشيعي الإمامي، وصل إلى الحضيض في ظل الأكراد والمماليك الذين لا يعرفون من اللغة العربية إلا الكلمات التي تخدم متطلباتهم المادية. أما ما يخدم الفكر والعقل والحسّ والشعور، فلا وجود له في قاموسهم. وقد

---

(١) الحياة الفكرية والادبية بمصر، محمد كامل حسين. م.س. ص ١٨٩.

انعكس هذ الوضع الجديد على الحياة الأدبية والشعرية في مصر وخاصة بعد إقدام الأكراد الأيوبيين على حرق وتدمير مكتبات مصر، وكتب الشعراء والأدباء والفلاسفة المصريين. ولم يكتفوا بذبح المصريين وتهجيرهم في أصقاع العالم الإسلامي، وتزوير تاريخهم، فعمدوا إلى إنكار ما نجا من الحرق والتدمير والتشكيك بنسبته إليهم. يقول المقدسي أبو شامة عن شعر الملك الصالح طلائع بن رزيك نقلاً عن العماد الأصفهاني: «وله قصائد كثيرة مستحسنة أنفذها إلى الشام، يذكر فيها قيامه بنصرة الإسلام، وما يصدّق أحدٌ أنّ ذلك من شعره، لجودته، وإحكام مباني حكمته، وأقسام معاني بلاغته، ويقال أنّ المهذّب بن الزبير كان ينظم له وأن الجليس بن الحباب كان يعينه»[1].

ويقول الكاتب المصري المعاصر محمد كامل حسين في هذا الصدد أيضاً: «كانت الحياة في مصر الفاطمية، تدعو إلى ازدهار الشعر وإلى كثرة ما أنتجه الشعراء في كلّ فن من فنون الشعر وكل موضوع من موضوعاته، ولكنّ هذه الموجة الفنيّة التي طغت على مصر، سرعان ما أبادها الأيوبّيون، فيما أبادوه من تراث هذا العصر الذهبي في تاريخ مصر الإسلامية. فضاع الشعر ولم يبق منه إلا النزر القليل، أو قل لم يبق إلا اسم الشاعر أحياناً إن قدّر لاسمه البقاء. ونحن لا نتردّد باتهام الأيوبيين بجنايتهم على تاريخ مصر والأدب المصري، بتعمّدهم أن يمحوا كلّ أثر أدبي يمتّ للفاطميين

(١) كتاب الروضتين في أخبار الدولتين، الجزء الأول، م.س. ص ٢٩٨.

بصلة. فقد حرقوا كتبهم بما فيها دواوين الشعر خوفاً من أن يكون بالشعر مديح للأئمة، وهو كفرٌ بزعمهم»[1].

ثبت بأسماء الشعراء المصريين:

وقد أثبت الكاتب المصري محمود مصطفى أسماء الشعراء المصريين الشيعة فجاءوا كالتالي:

١ ـ علي بن النعمان القيرواني، (ـ ٣٧٤)، كان قاضي القضاة للفاطميين بمصر وشاعراً مجوداً.

٢ ـ الحسن بن علي بن وكيع التّنيّسي، (ـ ٣٩٣)، مصري، ذكر في الوفيات ج ١، ص ١٣٧.

٣ ـ أحمد بن محمد الأنطاكي «أبو الرقعمق»، (ـ ٣٩٩)، طارىء ذكر في الوفيات، ج ١، ص ٤٠.

٤ ـ الحسن بن محمد السهواجي، (٤٠٠)، مصري ذكر في الفوات، ج ١، ص ١٧٠.

٥ ـ صريع الدلاء، (ـ ٤١٢)، طارىء ذكر في الوفيات، ج ١، ص ٣٥٩.

٦ ـ ابن الضيف حيدرة بن عبد الظاهر، (ـ ٥٠٠)، من دعاة الفاطميين ذكر في الخريدة.

٧ ـ علي بن عبّاد الإسكندري، (ـ ٥٢٥)، مدح ابن الأفضل وقتل معه لما قتله الحافظ.

---

(١) في أدب الفاطمية، محمد كامل حسين. م.س. ص ١٦٨.

٨ ـ أبو الصلت أمية، (ـ ٥٢٨)، طارىء ذكر في الشذرات، ج ٤، ص ٨٣.

٩ ـ ظافر الحداد، (ـ ٥٢٩)، إسكندري ذكر في الشذرات، ج ٤، ص ٩١.

١٠ ـ محمد بن علي الهاشمي (أبو الغمر)، (ـ ٥٤٤)، إسنائي قال في الخريدة «أشعر أهل زمانه».

١١ ـ محمود بن قادوس، (ـ ٥٥١)، دمياطي كاتب الإنشاء بمصر وشيخ القاضي الفاضل.

١٢ ـ الجليس بن الحباب، (ـ ٥٦١)، مصري سمى بالجليس لأنه كان يجالس صاحب مصر.

١٣ ـ المهذب بن الزبير، (ـ ٥٦١)، مصري مدح الصالح بن رزيك.

١٤ ـ الرشيد بن الزبير، (ـ ٥٦٣)، «أسواني» ذكر في الشذرات، ج٤، ص ١٩٧.

١٥ ـ يوسف بن محمد (ابن الخلال)، (ـ ٥٦٦)، مصري صاحب ديوان الإنشاء أيام الحافظ.

١٦ ـ نصر الله (ابن قلاقس)، (ـ ٥٦٧)، مصري إسكندري ذكر في الوفيات، ج ٢، ص ١٥٦.

١٧ ـ عمارة اليمني، (ـ ٥٦٩). طارىء دخل مصر مرتين في سفارة ودخلها في المرة الثانية سنة ٥٥٣ فبقي بها إلى أن شنق.

١٨ ـ محمد بن القاسم بن عاصم، مصري شاعر الحاكم ذكر في حسن المحاضرة، ج ١، ص ٣٢٤.

١٩ ـ مسعود الدولة، مقدم الشعراء أيام ابن الأفضل بن أمير الجيوش.

٢٠ ـ أبو المظفر بن أحمد المصري، كان يعيش سنة ٥٧٦ ولقيه صاحب الخريدة بمصر.

٢١ ـ شرف الدولة يحيى بن حسن، مدح الصالح بن رزيك. ذكره في الخريدة.

٢٢ ـ طلائع الآمري، كان قريباً من الأفضل ذكره في الخريدة.

٢٣ ـ الناجي المصري، هجا الأفضل. ذكره في الخريدة.

٢٤ ـ النجيب بن وزير المصري، كان يعيش سنة ٥٦٣ ولقيه صاحب الخريدة.

٢٥ ـ أبو العباس أحمد بن مفرج، من شعراء الحافظ ذكره في الخريدة.

٢٦ ـ حسن بن زبيد أو علي بن الزبد.

٢٧ ـ علي بن محمد بن النضر، من شعراء زمن الأفضل ذكره في الخريدة.

٢٨ ـ علي بن البرقي، من شعراء زمن الأفضل ذكره في الخريدة.

٢٩ ـ عبدالله بن الطباخ، من شعراء زمن الأفضل ذكره في الخريدة.

٣٠ ـ محمود بن ناصر الإسكندراني، من شعراء زمن الأفضل ذكره في الخريدة.

٣١ ـ مروان بن عثمان اللكي، من شعراء زمن الأفضل ذكره في الخريدة.

٣٢ ـ أبو الفتيان مفضل العسقلاني، قدم مصر ذكره في الخريدة.

٣٣ ـ هبة الله بن الصياد، من شعراء الصالح بن رزيك.

٣٤ ـ الحسين بن الجُعَل الأصغر، من أهل الفسطاط من شعراء المائة الرابعة.

٣٥ ـ علي بن الحسين العقيلي، متأخر عن المائة الرابعة.

٣٦ ـ علم الملك (النحاس المصري)، كان يعيش سنة ٥٦١ ذكره في الخريدة.

٣٧ ـ علي بن أحمد بن الزبير، ابن الرشيد بن الزبير.

٣٨ ـ ناصر الدين بن شاور، وزير العاضد. ذكره في المغرب، ج ٤، ص ٩٢.

٣٩ ـ أبو الفتح البيني، تجاوز المائة الرابعة. ذكره في المغرب، ج ٤، ص ١٠٣.

٤٠ ـ الماهر المحجوب المصري، مصري من شعراء المائة الخامسة رحل عن مصر قال عنه الباخرزي: ما طرأ علينا أعذب منه عذبة لسان ولا أبرع منه براعة بيان.

٤١ ـ القاسم بن أحمد الرسي، هجا ابن كلس مخاطباً المعز.

٤٢ ـ أبو القاسم عبد الغفار، شاعر الحاكم مدح الفضل بن صالح قائده.

وهذا ثبت بالأطباء المصريين الفاطميين[١]:

---

(١) الأدب العربي في مصر، م.س. ص ٢٥٣.

١ ـ الأطبـاء.

نذكر عنهم هذا البيان وفيه أهم ما تحسن معرفته في التعريف بأحوالهم:

١ ـ كيسان بن عثمان: أصيل. (ـ ٣٧٨)، كان مشهور الذكر معروف الصنعة خدم الدولة الفاطمية أيام المعز والعزيز.

٢ ـ محمد بن أحمد التميمي: طارىء، خدم يعقوب بن كلس وصنّف له كتاباً كبيراً سماه مادة البقاء، بإصلاح فاسد الهواء والتحرّز من ضرر الأوباء. لقي الأطباء بمصر وحاضرهم وناظرهم. وكان موجوداً بمصر في حدود سنة ٣٧٠.

٣ ـ ابن بطلان: طارىء، (ـ ٤٤٢)، نصراني. بغدادي. أقام بمصر مدة اجتمع فيها بابن رضوان الطبيب المصري الفيلسوف وجرت بينهما مناظرة خرج ابن بطلان على أثرها من مصر مغضباً فانقطع للعبادة ببعض أديرة أنطاكية إلى أن مات.

٤ ـ ابن رضوان: أصيل، (ـ ٤٦٠)، كان في أول أمره منجّماً يقعد على الطريق ثم قرأ شيئاً من الطب فتلمذ له جماعة وسار ذكره.

٥ ـ موسى بن العازر: أصيل، خدم المُعِزّ عند قدومه من المغرب وركّب له أدوية كثيرة ورزق توفيقاً.

٦ ـ منصور بن مقشر: أصيل، نصراني كان طبيب العزيز بالله واتفق أن مرض فلما شفي كتب إليه العزيز بخطّه مهنّئاً.

٧ ـ ابن مقشر: أصيل، طبيب الحاكم وكان من أطباء الخاص

بالديار المصرية له يد في المباشرة والمعالجة. ولم يشتهر عنه علم ولا ظهر له تاليف وبلغ مع هذا أعلى المراتب. ولما مرض عاده الحاكم فلما مات أسف عليه وأطلق لمخلّفيه مالاً جزيلاً. وكان في حياته واسع الحال.

٨ ـ الحقير النافع: أصيل، داوى الحاكم بعد أن عجز عن علاجه أطباؤه فشفاه في ثلاثة أيام من عقر في رجله فأطلق له الحاكم ألف دينار وخلع عليه ولقّبه بالحقير النافع لأنه لم تكن له شهرة قبل مداواة الحاكم.

٩ ـ سلامة بن رحمون: أصيل، قال عنه أبو الصلت: أنبه من رأيته من أطباء مصر وأدخلهم في عداد الأطباء. وكان موجوداً بمصر أيام دخول أبي الصلت إليها سنة ٥١٠.

١٠ ـ جرجيس الأنطاكي: طارىء، كان بينه وبين أبي الخير سلامة بن رحمون اليهودي محاولات يلجأ فيها جرجيس إلى المغالطة، فكان أبو الخير لغفلته لا ينتبه إلى ما فيها، ويظنّها صحيحة فيحتفل بالرد عليها. كان موجوداً سنة ٥١٠.

١١ ـ أبو الصلت أمية: طارىء (٥٢٩)، طبيب مغربي زار مصر وأحصى من بها من الأطباء وغيرهم وكان شاعراً مجيداً.

١٢ ـ موسى بن ميمون: طارىء، أندلسي دخل مصر في آخر عهد الدولة الفاطمية وقد راموا استخدامه وإخراجه إلى ملك عسقلان لأنه طلب منهم طبيباً فلم يقبل وبعد ذلك اشتمل عليه القاضي الفاضل وقرر له رزقاً.

أما المهندسون والمنجّمون منهم[1]:

١ ـ محمد بن عبد الله القرياني: طارىء (ـ ٣٨٥)، إفريقي دخل مصر. والغالب عليه النجوم كان منجّماً للمعز ثم العزيز. ألّف كتاباً في أخبار الأمويين والعباسيين، وذكر فيه شيئاً من محاسنهم فغضب عليه العزيز، فلزم منزله حتى مات.

٢ ـ علي بن أبي سعيد الصدفي: أصيل (ـ ٣٩٩)، صاحب الزيج الحاكمي المسمى بزيج ابن يونس في أربع مجلدات. ابتدأ بعمله للعزيز، وكان مع اختصاصه بالنجوم متصرّفاً في جميع العلوم بارعاً في الشعر. يضرب العود على جهة التأدّب.

٣ ـ الحسن بن الهيثم: طارىء (ـ ٤٣٠)، بصري دخل القاهرة بدعوة من الحاكم وكان ينوي أن يعمل للنيل عملاً يحفظ به ماءه فلم يُوَفّق.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

٤ ـ علي بن النضر: أصيل، مدحه أبو الصلت في رسالته عن منجّمي مصر قال: إنه من الأفاضل المعدودين من حسنات الزمان.

٥ ـ ابن السندي: أصيل، من أهل المعرفة والعلم يعمل الأسطرلاب. قال القفطي وقد رأينا من عمله آلات حسنة الوضع في شكلها، صحيحة التخطيط في بابها، شهد عمل الفهرست لخزانة الكتب سنة ٤٣٥.

---

(١) الأدب العربي في مصر، م.س. ص ٢٥٤.

٦ ـ علوي الديري: أصيل، (ـ ٥٩٥)، من دير البلاص بصعيد مصر، لزم بلده وقصده فيها من يأخذ عنه علمه، وكان يعمل التقاويم ويُسَيِّرُها إلى أجلاّء أهل البلد، فيأتيه البر من ناحيتهم.

٧ ـ المنجم الخارجي: أصيل، (ـ ٣٩٨)، كان يعرف أحكام النجوم ويتكلم في الحدثان. زعم أنه رأى لنفسه أنه سيملك فخرج بصعيد مصر أيام العزيز ثم قبض عليه وضربت رقبته.

وكذلك قد قدم الكاتب المعاصر محمود مصطفى ثبتاً بعلماء النحو واللغة والمؤرخين[1]:

٣ ـ النحاة واللغويون والمؤرّخون في مصر الفاطمية:

١ ـ الحسن بن زولاق: أصيل، (ـ ٣٨٧)، كان فاضلاً في التاريخ له فيه كتاب خطط مصر وهو مخطوط. وكتاب أخبار قضاة مصر جعله ذيلاً على كتاب الكندي فكمله إلى سنة ٣٨٦ وهو مطبوع.

٢ ـ علي الشابشتي: أصيل، (ـ ٣٩٠)، أديب فاضل تعلّق بخدمة العزيز، فولاّه خزانة كتبه. وكان يقرأ له الكتب ويجالسه وينادمه وله كتاب الديارات. وهو مخطوط بدار الكتب المصرية.

٣ ـ جنادة الهروي: طارىء (ـ ٣٩٩)، كان مكثراً من حفظ اللغة ونقلها عارفاً بوحشيها ومستعملها. لم يكن في زمنه مثله. قتله الحاكم.

٤ ـ القزاز القيرواني: طارىء (ـ ٤١٢)، كان الغالب عليه النحو

---

(١) الأدب العربي في مصر، محمود مصطفى، م.س. ص ٢٥٥.

واللغة. خدم العزيز وصنّف له كتباً. اقترح عليه أن يؤلف كتاباً في الحروف على المعجم، فعمل ما لم يكن أحد سبقه إليه وبلغ كتابه ألف ورقة.

٥ ـ أحمد بن مطرف العسقلاني: طارىء (ـ ٤١٣)، أديب فاضل له مصنفات في اللغة والأدب وديوان شعر.

٦ ـ محمد المسبحي: أصيل، (ـ ٤٢٠)، رزق حظوة في التأليف وخدم الحاكم وتقلد القيس والبهنسا له كتاب أخبار مصر ومن حلها من الولاة والأمراء والأئمة والخلفاء وما بها من العجائب والأبنية وآثار الشعراء وأخبار المغنّين ومجالس القضاة والحكام والأدباء والمتغزلين وغيرهم. وهو مفقود ومنه قطعة مخطوطة وله غيره كتب مفقودة.

٧ ـ ابن مفلس: طارىء (ـ ٤٢٧)، كان من أهل العلم باللغة والعربية يشار إليه فيهما. سكن مصر واستوطنها وتلقّى بها عن يعقوب النجيمي وله شعر جيد.

٨ ـ محمد العبيدي: طارىء (ـ ٤٣٣)، نحوي لغوي أديب مصنّف ولي ديوان الإنشاء أيام المستنصر وصنّف تنقيح البلاغة في عشر مجلدات، والعروض والقوافي وهو كبير.

٩ ـ محمد البارودي: أصيل (ـ ٤٤٩)، نحوي ثقة. روى عن الحافظ ابن سعيد المصري.

١٠ ـ علي بن القطاع: طارىء (ـ ٥١٥)، أحد أئمة الأدب خصوصاً اللغة ولد بصقلية، وقرأ الأدب على فضلائها، وله تآليف

كثيرة منها «كتاب الأفعال» منه مختصر مخطوط و «العروض البارع» و «الشافي في القوافي» وهما مخطوطان و «لمح الملح» جمع فيه طائفة من شعر الأندلسيين و «أبنية الأسماء» و «الدرة الخطيرة في المختار من شعر الجزيرة» أي صقلية وهذه كلها مفقودة. وصل إلى مصر في حدود سنة ٥٠٠ فبالغ أهلها في إكرامه.

١١ ـ يوسف النجيرمي اللغوي: طارىء (ـ ٥٢٠)، من البصرة من أهل بيت كلهم ماهر في اللغة. وكان هو أمثلهم. وكان أهل مصر يرغبون في خطّه حتى بيعت نسخة ديوان جرير بعشرة دنانير وأكثر ما تروى الكتب القديمة في اللغة والأشعار وأيام العرب بمصر عن طريقه.

١٢ ـ ابن بابشاذ: أصيل، (ـ ٤٥٤)، من أئمة النحو وأعلام العربية. كان يتصفّح الرسائل بديوان الإنشاء لإصلاح ما عساه يكون من أغلاط الكتّاب.

١٣ ـ أحمد بن مطرف: أصيل، لغوي، كان في أيام الحاكم له تآليف في الأدب منها كتاب «النوائح». وهو في اللغة كبير الحجم ورسالة في الضاد والظاء كتب بها إلى أحمد بن القاسم الحسيني عامل تنيس.

١٤ ـ أحمد «الرشيد بن الزبير»: أصيل، (٥٦٣)، سبق ذكره في الشعر كاتباً فقيهاً نحوياً لغوياً عروضياً مؤرّخاً منطقياً مهندساً طبيباً موسيقياً منجّماً، فكان من أفراد الدهر فضلاً. ولي النظر بثغر الإسكندرية والدواوين السلطانية بغير اختياره، وأرسل في سفارة

إلى اليمن فسمت نفسه إلى الخلافة فأجابه قوم وسلموا عليه بها. وضربت باسمه نقود فقبض عليه وقتل.

له كتب كثيرة منها «أمنية الألمعي ومنية المدعى» وهو مخطوط و «جنان الجنان وروضة الأذهان» في أربع مجلدات يشتمل على شعر شعراء مصر ومن طرأ عليها وهو مفقود.

١٥ ـ الحسين بن الوليد: طارىء (ـ ٣٩٠)، نحوي عارف بالعربية مقدم فيها أقام بمصر أعواماً ثم عاد إلى الأندلس فأدب أولاد المنصور محمد بن أبي عامر.

١٦ ـ سلامة بن عبد الباقي: طارىء (ـ ٥٩٠)، نحوي عالم بفنون الأدب من أهل الأنبار. سكن مصر وكانت له حلقة بجامع عمرو يقرىء بها القرآن والنحو.

ثبت بأسماء المصادر الناجية من الحرق والتدمير:

ـ كتب علي بن أحمد المقريزي ـ الخطط المقريزية ـ اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ـ المقفّى الكبير. الإشارة لمن نال الوزارة وديوان الرسائل لابن منجب الصيرفي.

ـ أخبار مصر ـ المسبحي.

ـ النكث العصرية، لعمارة اليمني،الذخائر والتحف للقاضي الرشيد بن الزبير.

ـ تاريخ مصر لابن مُيَسّر.

ـ الخريدة للعماد الأصفهاني.

ـ الذخيرة لابن بسام، نزهة المقلتين في أخبار الدولتين لابن الطوير.

ـ المغرب في حلي المغرب لابن سعيد المغربي.

ـ يتيمة الدهر للثعالبي ـ المجالس المؤيدية والمجالس المستنصرية.

ـ أخبار مصر لابن المأمون ـ السجلات المستنصرية.

ثبت بأسماء الدواوين الشعرية الناجية:

ـ ديوان ابن هاني الأندلسي.

ـ ديوان عمارة اليمني.

ـ ديوان ابن حيّوس.

ـ ديوان ابن قلاقس.

ـ ديوان تميم الفاطمي.

ـ ديوان المؤيد في الدين داعي الدعاة.

ـ ديوان ابن أبي حصينة المعري.

ـ ديوان الملك الصالح طلائع بن رزّيك.

ـ ديوان ظافر الحداد.

ـ ديوان ابن غلبون، عبد المحسن الصوري.

ـ الأرجوزة المختارة.

ـ القصيدة الصورية.

ـ القصيدة الشافية.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الخاتمة

- الأدب والشعر في مصر بعد الفاطميين.
- موقف المؤرّخين من الدولة الفاطمية.
- قتل الشيعة في كل أنحاء الخلافة العبّاسية.
- فتوى ابن تيمية بحق الشيعة بكل مذاهبهم.
- نداء إلى المثقفين المصريين.
- أين أصبح التشيع الآن في مصر.
- الفهارس.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الأدب والشعر في مصر بعد الفاطميين

اتجه مؤرّخو الأدب في العصور الأيوبيّة والمملوكية اتجاه المؤرّخين السياسيين، وجاروهم في السب والشتم والتحريف والتزوير لكلّ ما هو مصري فاطمي، ويكفينا من الشواهد، كتب العماد الأصفهاني، وكتاب الروضتين في أخبار الدولتين للمقدسي أبي شامة. لذلك صاغوا المدائح لسلاطين بني أيّوب بسبب رعايتهم للأدب والشعر. ولكن الكلام عن الرعاية الكردية للأدب شيءٌ، والنتيجة شيء آخر.

يقول الباحث محمد زغلول سلام عن الأدب في العصور الأيوبية والمملوكية: «كان لا بد من أن أمزج في هذه الدراسة بين الأدبين العامي والفصيح، لأن المادة نفسها فرضت هذا المزج، ولم يعد الفصل كبيراً بين الأدب العامي والأدب الفصيح، بل إنهما اختلطا وتمازجا، حتى أن أدباء الفصحى كانوا يكتبون بالعاميّة المفصّحة، إذا صحّ هذا التعبير. حتى أن الأدب الفصيح نفسه، اتخذ صورة الأدب العامي وأشكاله، بل تعداها إلى أسلوبه وتعبيراته».

ويقول سلام: وقد تنفر طباعنا اليوم أو لا نرتضي عن بعض

صوره في ذلك الزمان، ولا بعض موضوعاته ومعانيه. هكذا قد لا نرتاح لبعض موضوعاته ومعانيه من مدح ذليل، أو نزول بالشعر إلى موضوعات هيّنة في دنيا الناس، والاهتمام بأشياء لا تصلح للشعر[1].

وكان غزل الغلمان وشعر المجون والموضوعات الجنسية هي الغالبة والمفرطة في الشعر الكردي والمملوكي. وكانت بكثرتها تصدم الذوق والحس. وخلت من الشعر الطالبي والعلوي الهاشمي، الشعر الحسيني الكربلائي، شعر الطف وأهل بيت النبي (ص) وعترته وذرّيتهم من الأئمة المعصومين.

تأسيساً على ما ورد من نماذج ونصوص، يمكننا القول إنّ القصيدة المصرية الفاطمية، امتلكت كلّ المهارات التي عرفتها القصيدة العربية، فأتت نصوصها مفتوحة غير مغلقة، متعدّدة بتعدّد قرّائها، حديثة متجدّدة، مع كلّ زمان ومكان، تتجاوز المعلوم السائد، وتخرق الثابت، وتلغي الحدود، بين قدرة النثر الإبداعية وقدرة الشاعر. ومهما قرأنا الشاعر وتمعّنا في نصوصه وقصائده، لا يشفي غلّتنا ولا يطفىء ظمأناً، لأنّ حلاوته مستساغة وطلاوته جاذبة.

لقد امتازت قصائد شعراء مصر الفاطمية بجمالية التجربة الشعرية وارتباطها بقضايا عصرها، ارتباط معايشة وإدراك، لا ارتباط وصف وتسجيل فقط، كما ظهر لنا أنّ الخبرة الشعورية في

---

(١) الأدب في العصر المملوكي، محمد زغلول سلام، الجزء الأول، ط ١، القاهرة، دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٠، ص ٨.

شعر شعراء هذه الحقبة، هي خبرة جماعية لا خبرة فردية، حيث أنّهم حاولوا بقصائدهم ومقطوعاتهم استيعاب تاريخ عصرهم من خلال منظور المعاصرة. ويظهر ذلك من خلال كثافة الخبرة الفنيّة التي وسمت شعرهم، ومن خلال ارتباطه بالأطر الحضارية التي مرت بها مصر في ظل الإسلام الشيعي. خاصة أن حضارة مصر في الحقبة الفاطمية تضاهي بل تتجاوز حضارتها الفرعونية، فالأولى، كما أشرنا، تركت بصماتها على الأبنية الشامخة والتماثيل والمنحوتات، والأخرى تركت بصماتها على الإنسان المصري الذي لا يزال حتى اليوم، أسير عادات وتقاليد ورسوم تلك الحقبة الحضارية التي ما زالت شامخة في حارات القاهرة وشوارعها وساحاتها وأبوابها ومساجدها.

فحضارة مصر الفرعونية هي حضارة الملوك أما حضارة مصر الفاطمية فهي حضارة الشعب وحضارة الرغيف والدعة والترف والرفاهية والغنى الفاحش، التي لم يعرفها شعب من الشعوب، حتى الشعب الأميركي في القرن الواحد والعشرين.

ومهما تباينت الآراء في الشعر المصري في ظل الإسلام الشيعي، فلا مناص من الاعتراف بأنّه يحقّق الدهشة المطلوبة لدى المتلقّي والسامع، بسبب كثافة المعاني المطروحة ولقدرته على تصيّد اللحظة النادرة من العواطف والأحاسيس، كما أنّه كان الوسيلة المعبّرة عن مشاعر الشعب المصري تجاه الحياة ووقائعها، كما كان سجلّهم الذي احتوى تاريخهم وتفاصيل حياتهم، والوسيلة التي عبّروا بها ومن خلالها، عن واقع معيشتهم ورؤيتهم للحياة والكون

والدين والدنيا، وكلّ ما يتعلّق بالإنسان المصري من أموره الفكرية والفلسفية والعاطفية والمادية.

كيف أصبح الشعر والأدب في أواخر الدولة الأيوبية وبداية دولة المماليك؟

لما تسنم قيادة الشعب المصري ملوك وسلاطين أكراد وأتراك، مجهولو النسب، لا يعرفون من اللغة العربية والقرآن والإسلام إلا الاسم، تراجع الأدب والشعر تراجعاً رهيباً وحلّت العجمة واللغة المحكية محل لغة القرآن الكريم، وأخذ الشعراء ينظمون باللهجة العامية، وحلّ الزجل محل الشعر الموزون المقفى. ومن هذه الزجليات قصيدة إبراهيم المعمار في وصف ليلة أنس وشرب مؤرخة بسنة ٧٤٥هـ، حيث يقول[1]:

منعونا ماء العنب يا أسين ... رب سلم لا يمنعونا التين
هاك قل لي إذا مُنعنا الراح ... وحُرمنا من الوجوه الصباح
بيش نِبْقَا نستجلب الأفراح ... والخليع كيف نراه يعيش، مسكين
على موت العنب بَكا الراووق ... والشمع صار بِعْبرِتُو مخفوق
والوتر بات من الغروب للشروق ... من أنينو تسمع لو في الليل حنين
ولقد هان حضرة المَحضر ... وتلوّن ذا الزهر واتغيّر
وبغيطو ريحاننا اتنصّر ... وعلى وجهو صلّب اليسمين
والندامى جميعهم في شتات ... حزنوكَنّ مات لهم أموات
هذا قاعد يبكي على ما فات ... وذا يندب، وذاك الآخر حزين

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس، ط ٢، القاهرة، سنة ١٩٨٢، ص ٣٢٨.

ولي صاحب زمان معو كان نطيب ... جاني قال لي مشتاق أنا يا أديب
لجريره لو إنها من زبيب ... أرى قلبي يرتاح لها ذا الحين
فقَصَدْنا المنْيَه إلى شبرا ... ما لقينا، رحنا طنان الأُخْرَا
وفي قليوب قالوا ولا قَطْرَا ... دُرْنا من مرصفا إلى شبين
وصعدنا قبلي ذا البلدان ... ونبشنا طموه لدير شعران
ما أمرّ الطريق إلى حلوان ... أخرب الله طُرَا على التُّبَّين
قد تعبنا مما نجدّ السير ... ولا صبنا في ذا السفر من خير
جينا عند المِسَا لواحد دير ... صرنا نزعق للشيخ أبو مرتين
ونقول لو يابونا قد جيناك ... عسى جرّة بحياة رهابينك
ويميتك ربّي على دينك ... وأنا نذري بَانُّو أحسن الدين
لانّا نضحك عليه ونتهزّر ... حتى لا ينكح ويتخنزر
ووهبناه من بيتنا مئزر ... ووقفنا نخاطبو باللين
فدخل غاب زمان ونحن وقوف ... وانْتُوا تِدْرُو إيش وقفتو الملهوف
وانّا ندعو ذاك الدعا الموصوف ... إنُّو يفتح وأخي يقول آمين
بعد ساعة إلاّ وهُوَا قد ردّ ... جا يقول بالله رآكم حَدّ
ونصيب من وراه شويخ يرعد ... ومعو جرّة وهو يصيح يا السين
كم ندوّر فما لقيت عندي ... إلاّ هذى وأظنّها دِرْدى
قمت نمدّد من الفرح يدي ... ونصيح لو من الظما أَرْوِين
خدت نسكب منها قنينة ... صبّتها مثل زِفْت مسكينة
سودا دِرْدِى ملآنه للطّينة ... قلت: معمار دى نَحْسَه للطّين
فرجعنا إيش رجعة المكسور ... قلت: كيف العمل فقال لي: ندوّر
في المقيلات ونقْتِنِع بالمزور ... ولا نرجع من ذا السفر خايبين

حين قطعنا الأياس من الخمّار ... جينا نِسْعى لُو أشَنّ الأمزار
قال لي نشرب ما العجين فقُلْتُ فشّار ... فهاذا الكعك أصل من ذا العجين
ونا مالي غيّة سوى ابن الكروم ... والشراب المعتّق المعلوم
نِتْبَعُو لو يصير بأقصى الروم ... ولو أني ندخل لقسطنطين
ولا نهوى إلا الشراب القديم ... ومُعَيْشِق جديد يكون لي نديم
ننفق المال على إيش نسمّى عديم ... وَنَا ممكن في غاية التمكين
ومرادى من الصغار أطفال ... هم يقولوا غزلان وَلاّ جِمال
ولقد رأيت في ذا الصغار احتمال ... ابن سبْعَه يحمل ولد سبعين
إلا أنّي قد أثقلتني الذنوب ... ما بقيت تحمل لكُثْر العيوب
وما عاد لي أوفق سوى إني أتوب ... يا إلهي اكتبني مع التايبين
وأرّخوا بالله توبة المعمار ... واكتبوها بالتبر طول أعمار
قولوا من هجرة النبي المختار ... سبعمائة سنة خمس وأربعين

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

موقف المؤرّخين من الدولة الفاطمية

التاريخ هو اللسان الناطق لأي حضارة، فأينما وجد الإنسان على وجه هذه البسيطة، ترك بصمات تدل على تطوره الحضاري والمعيشي. وعندما عرفت الحضارات الحرف والخط، بدأ المؤرّخون يدوّنون نمط عيشهم، وأساليب حياتهم.

ولما كانت الحضارة هي نمط العيش، وأسلوب حياة وطريقة تصرّف وسلوكية تظهر في كلّ المجالات الاجتماعية من أكل وشرب ولبس وغناء وتصوير وصناعة ورقص وتجارة وزراعة، وكل هذه الأمور يجب أن توجّه من قبل رأس الهرم الاجتماعي أي الدولة، لذلك، وجد دارسو حضارة مصر في ظل الدولة الفاطمية الإسلامية الشيعية، ارتباطها بدراسة ومعرفة تاريخها الديني والسياسي والعسكري. لذا نظر إليها كلّ مؤرّخ من وجهة نظره الطائفية والمذهبية إذاكان من المعاصرين، أو من وجهة نظر الدولة التي يخدمها إذا كان من مؤرّخي الدول التي تعاقبت على مصر بعد اندثار الدولة الفاطمية.

وقد أجمع المؤرّخون على ظلم هذه الدولة وتشويه تاريخها

الديني والسياسي، ولكنهم لم يستطيعوا تشويه وجهها الحضاري.

فالوجه الحضاري ماثل في العمائر التي تركوها، والأنظمة والسجلات والمناشير والبيانات والجامعات والجوامع والمدارس والأدب والشعر والموسيقى وكل التنظيمات الاجتماعية التي تركوها، وما زالت أسماؤها وآثارها باقية في مصر، وفي قلوب، وعلى ألسنة الشعب المصري.

والمؤرّخون القدامى والمعاصرون قسمان: قسم متحامل وهم الأغلبية العظمى، وقسم محايد يتمثّل بمؤرّخ واحد، مؤيّد، وهو تقي الدين أحمد بن علي المقريزي المسلم السنيّ الشافعي.

وسنستعرض آراء أغلب هؤلاء المؤرّخين لنرى مدى التزام الموضوعية، أو الابتعاد عنها في الحكم على الإسلام الشيعي الإمامي المصري، وعلى حضارة مصر في ظل هذا الإسلام.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

رأي المؤرّخين القدامى:

يلحق هؤلاء المؤرّخون برأيهم وموقفهم السياسي الحكام الأيوبيين والمماليك، لأنّ أغلبهم كان موظفاً لدى هاتين الدولتين، وبالطبع من يأكل خبز السلطان، عليه أن يضرب بسيفه لا بسيف أعدائه، لذلك أتت أحكام هؤلاء المؤرّخين بعيدة عن الحقيقة التاريخية والموضوعية، وقد أخذ المتأخّر منهم عن المتقدّم، بإضافة ما ولّدت له مخيّلته من معلومات سخيفة، لا تمثّل الحقيقة التاريخية، ولا سند لها.

رأي علي بن ظافر الأزدي:

لا يعترف علي بن ظافر الأزدي بخلافتهم ولا بإمامتهم ويرى أنّ نسبهم مدسوس ولا علاقة لهم بالعترة النبوية الطاهرة ويقول إنّ «العزيز استدعى جميع أشراف العراق من بغداد والبصرة والكوفة، وسألهم عن نسبه، فكلّهم أنكروه وامتنعوا عن تصحيحه. ورجع إلى النسخة القديمة ببغداد المحتوية على كلّ نسب قديم من أصول أنساب الطالبيّين، فلم يجدوا فيها ذكراً للجدّ الذي ينتسبون إليه من بعد محمد بن إسماعيل بن جعفر. فلما دهم العزيز من ذلك ما دهمه، اجتمع هو ووزيره يعقوب بن كلّس. وكان خبيثاً داهية، فعملوا نسخة نسب متصّل بمحمد بن إسماعيل، وأشاعوا الأمر، وانتصبوا للمناظرة». ثم أرسلوا هذا النسب إلى مدن بر الشام والعراق مع رسول أقدموا على تسميمه لأخذ الحجّة أنّه مات قبل أن يظهر كتاب صحة نسبهم[1].

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وأسلوب الحط من قدر الفاطميين والتشكيك بصحّة نسبهم واضحة، فبين محمد بن إسماعيل وبين عبد الله المهدي، أربعة جدود فلا يُعقل إضاعة هذه الجدود الأربعة لقصر المدة بين الأول والأخير.

وخبر تزوير كتاب النسب استفرد به ابن الأزدي ولم يشر إليه أي مؤرّخ آخر.

---

(١) راجع: أخبار الدول المنقطعة، ابن ظافر الأزدي، م.س. ص ٣٤.

رأي أبي حامد الغزالي:

ويعتبر أبو حامد الغزالي من أشد المتعصّبين على الشيعة والتشيع بكل مذاهبهم وفرقهم، وهو حين يردّ على الباطنية ويفنّد فضائحهم يقول عن الفرقة الإسماعيلية «أما الإسماعيلية فهي نسبة إلى زعيمهم محمد بن إسماعيل بن جعفر». ويزعمون أنّ أدوار الإمامة انتهت به، إذ كان هو السابع من محمد، ﷺ. وأدوار الإمامة سبعة سبعة عندهم فأكبرهم يثبتون له منصب النبوة، وأنّ ذلك يستمر في نسبه وأعقابه. وقد أورد أهل المعرفة بالنسب في كتاب «الشجرة، أنّه مات ولا عقب له»[1].

رغم أن الكتاب، ألّف لا للرد على الباطنية والإسماعيلية بل ألّف «لإقامة البراهين الشرعية على أنّ القائم بالحق، والواجب على الخلق طاعته، في (عصره) هو الإمام المستظهر بالله»، الخليفة العباسي. مما يعني أن هدف تأليف الكتاب سياسي وليس فلسفي أو ديني، مما يوحي بأن الغزالّي جيّر كلّ فلسفته ونظرياته لخدمة الخليفة العباسي المستظهر بالله[2].

وقد قال السيد حسن الأمين أنّ «الغزالي، وهو الذي هاجم الشيعة بعامة والفاطميين بخاصة وشحن كتبه بالتحامل عليهم، لم يجد آخر الأمر إلا مصر الفاطميّة بلداً يأويه ويحميه ويشجّعه على مواصلة البحث والدرس، وتناسى الفاطميّون تعصّب الغزالي واعتداءه عليهم. ولم ينظروا إليه إلا أنّه عالم، وحقّ العالم عليهم كبير،

---

(١) فضائح الباطنية، أبو حامد الغزالي، ط ١، القاهرة، الدار القومية، سنة ١٩٦٤، ص ١٦.

(٢) راجع: م.س. نفسه، المقدمة، ص (ى).

وواجبهم لعلمه واجب محتوم. فتناسوا ما نالهم منه في كتبه (القسطاس والمنقذ من الضلال والمستظهري). فأحلّوه في دولتهم على الرحب والسعة. والّف بعض كتبه ككتاب مشكاة الأنوار في رعايتهم وبين ظهرانيهم»[1].

رأي عبد القاهر البغدادي:

رغم أنّ البغدادي عالج بكتابه عقائد الفرق الإسلامية إلا أنّه عندما تحدّث عن مصر أشار إلى دخول الإسماعيليين «مصر سنة ٣٦٣هـ، وابتنوا فيها مدينة سمّوها القاهرة يسكنها أهل بدعتهم، وأهل مصر ثابتون على السنّة إلى يومنا، وإن أطاعوا صاحب القاهرة في أداء خراجهم إليه»[2].

والبغدادي توفي سنة ٤٢٩ هـ، وربما اشترك في التوقيع على محضر الطعن بنسبهم الذي أعدّه القاهر بالله العباسي سنة ٣٩٨هـ. والذي عطّل الشريف الرضي مفعوله بقصيدته اليائية المشهورة. ولو كان البغدادي يملك معلومات تسيء إلى الفاطميين والدولة الفاطمية، لما كان تأخّر عن إيرادها في هذا الكتاب.

رأي الشهرستاني:

ولد أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني سنة ٤٧٩، وتوفي سنة ٥٤٨ هـ، أي عاش ما يقارب السبعين سنة من عمر

---

(١) مجلة العرفان، صيدا، المجلّد رقم ٥٧، مقالة بعنوان الدولة الفاطمية، بقلم السيد حسن الأمين، سنة ١٩٧٠، ص ١٠٦٨.

(٢) الفرق بين الفرق، عبد القاهر البغدادي، م.س. ص ٢٩١.

الدولة الفاطمية وكان أحد أهم مدرسّي ومحاضري المدرسة النظامية في بغداد.

أشار الشهرستاني إلى الإسماعيلية وإلى إسماعيل بن جعفر الصادق، فلم ينكر وجوده ولا وجود أولاده من بعده فهو ينقل عن الفاطميين قولهم: «وبعد إسماعيل محمد بن إسماعيل السابع التام، وإنّما تمّ دور السبعة به، ثم ابتدىء منه بالأئمة المستورين، الذين كانوا يسيرون في البلاد سرّاً ويظهرون الدعاة جهراً».

وأشار إلى عقائدهم وردّ عليها وفنّدها، دون أن يخرجهم من الملّة الإسلامية أو يتحامل عليهم. بل ردّ عليهم ردّ المناظر الواثق من نفسه[1].

رأي الفارقي:

ويرى أحمد بن يوسف بن علي الفارقي في الخليفة الحاكم بأمر الله أنّه «كان شجاعاً شهماً مقداماً، بحيث أنّه قتل في الناس وقهرهم. وشرط ألاّ تخرج امرأة من بيتها، وحتى ظهرت امرأة أغرقت في النيل. وعنف بأهل مصر أشدّ العنف، وحرّم صناعة الخفاف (الأحذية النسائية). وجعل نهار أهل مصر ليلاً بحيث لا يظهر أحد إلا قتل وليلهم نهاراً. وكان الناس في الليل يسعون ويشترون. وكان من قبح السيرة والجور ما لا يوصف»[2].

---

(١) راجع: الملل والنحل للشهرستاني، الجزء الأول، ص ١٩٢.

(٢) تاريخ الفارقي، أحمد بن يوسف بن علي الفارقي، ط ١، بيروت، دار الكتاب اللبناني، سنة ١٩٧٤، ص ٧٢.

والفارقي من بلدة ميافارقين عايش الدولة الفاطمية أكثر من نصف قرن، حيث كان حيّاً سنة ٥٦٥ هـ، ورغم معاصرته لآخر أيام هذه الدولة، لكنّه لم يشتمهم أو ينتقدهم أو يشكّ بصحّة نسبهم كما فعل مؤرّخون آخرون أتوا بعده بمئتي سنة. وهو عندما أشار إلى ظلم وجور الحاكم، أشار إليه كأي خليفة أو ملك ظالم من الخلفاء والملوك المسلمين.

رأي يحيى بن سعيد الأنطاكي:

وتاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي المعروف بصلة تاريخ أوتيكا، وهو من معاصري الحاكم بأمر الله وتوفّى في عهد حفيده المستنصر بالله. وقد أرّخ فيه أحداث قرن كامل يبتدىء سنة ٣٢٦هـ وينتهي سنة ٤٢٥هـ رغم أنه مات بعد هذا التاريخ بخمسة عشر سنة إلا أنّه ينتهي بحوادث سنة ٤٢٥ هـ، مما يدل على أنّ هناك قسماً آخر للكتاب قد فقد.

والرأي الوحيد الذي حكم به يحيى بن سعيد وهو مصري المولد والمسكن، قاهري الإقامة، أنّه حدثّنا وبإسهاب عن تصرّفات الحاكم وادّعائه الألوهية، وموقفه من الدروز وحمايته لهم، غير أنّه يشير إلى أن كلّ هذه الأخبار ربما تكون منحولة على لسان الخليفة الحاكم و «أنّ هذه الأقاويل والقصائد والأشعار المنسوبة إليه، كلها هم نحلوه إياها وعملوها على لسانه». ويقول عن أسباب محاولة حرقه القاهرة أنّه كان بسبب «حنقه عليهم لأنّهم أكثروا الكلام في ذلك (ادعاء الألوهية). وعملوا أشعاراً يكفرّونه فيها ويشيرون بها

إليه. وترنّموا بأغاني تتضمّن شتيمة له وألفاظاً قبيحة يشيرون بها إليه، وجميعها تتصل به في وقتها»[1].

إذا كان هذا هو الحاكم بأمر الله، أعتى وأظلم وأقسى خليفة وحاكم عرفته مصر، وإذا كان الذين قتلهم من الموظفين الخونة والمرتشين بلغوا الآلاف. جعله المصريّون «مهزلة ومسخرة» بنكاتهم وقصصهم وقصائدهم وأغانيهم. وإن دلَّ هذا الشرح والوصف للحالة الفكرية والعقيدية للخليفة الحاكم، فهو يدلّ على أنها ليست أكثر من طفرة شعبية للتسلية وللتنكيت على السلطان، فطبيعة الشعوب تحب التسلية بتصرفات حكامّها. والدليل على ذلك إشارة يحيى بن سعيد الأنطاكي وهو من سكان القاهرة، ومن الذين استمعوا أو شاركوا في كلّ النكات، انّه صرّح ولم يلّمح بأن كلّ هذه التصرفات نسبوها للحاكم مما جعله يقدم على حرق القاهرة.

رأي أبو يعلى ابن القلانسي:

كانت وفاة القلانسي سنة ٥٥٥ هـ. وقد عاصر الدول الفاطمية لأكثر من ثلاثة أرباع القرن لأنه وُلد سنة ٤٧٠هـ، وأكثر من إيراد أخبار القضاء على الباطنية وقتلهم «تخليص الناس من شرهم». ولكنه لم يشنع على الخلفاء المصريين ولا شكّك بنسبهم كعادة المؤرّخين الأكراد. وهو عندما يتحدّث عن تولية الخليفة الحاكم الحكم، يتفرّد بإخبارنا أن ست الملك كانت تحاول نقل الخلافة إلى

---

(١) تاريخ الأنطاكي، م.س. ص ٣٤٦.

ابن عمها عبد الله وأن برجوان قبض عليها ووضعها في الإقامة الجبرية، حتى استكمال أخذ البيعة للحاكم[1].

وقد تحدّث القلانسي عن حكّام وولاة دمشق في عهد الخليفة الحاكم بأربعين صفحة من الصفحة ٧٤ إلى الصفحة ١١٤ وأخبرنا عن كلّ الأحداث السياسية والعسكرية التي تمّت في مصر والشام في هذه الفترة، دون أن يشير للشائعات التي ألصقها المؤرّخون بالحاكم وبالدولة الفاطمية، لا من قريب ولا من بعيد.

العماد الأصفهاني يطلب إلغاء التاريخ بهجرة الرسول الكريم ويفضّل عليها هجرة صلاح الدين الأيوبي إلى القدس:

وعندما يبرّر العماد الأصبهاني أسباب بدئه بتأريخ كتابه سنة ٥٨٣هـ، فيقول أنها «هجرة الإسلام الثانية إلى بيت المقدس، وقائمها السلطان صلاح الدين أبو المظفّر يوسف بن أيوب، وعلى عامها يحسن أن يبنى التاريخ وينسّق... وهذه الهجرة أبقى الهجرتين، وهذه الكرّة بقوّة الله أبقى الكرّتين»[2].

لقد فضّل العماد الأصفهاني هجرة صلاح الدين الأيوبي إلى القدس على هجرة النبيّ الكريم، وجعل نتائجها أبقى من نتائج هجرة النبي محمد (ص) إلى يثرب، وطالب بإلغاء التاريخ بالهجرة إلى يثرب، واستبدالها بتاريخ استعادة القدس. ورغم أنّه عاصر العادل أبا

---

(١) تاريخ دمشق، أبو يعلى القلانسي، م.س. ص ٧٤.

(٢) الفتح القسيّ في الفتح القدسي، العماد الأصفهاني، ط ١، القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر، لا تاريخ، ص ٤٩.

بكر وعاش إعادة القدس للصليبيين على يده، لكنّه لم يشر إلى هذا الأمر من قريب أو بعيد.

وإذا كان العماد الأصفهاني يرى هجرة صلاح الدين إلى القدس، أفضل وأكرم من هجرة النبي محمد (ص) إلى يثرب، فنحن لا نعجب من إقدام العماد الأصفهاني على دعوة المؤرّخين إلى ترك التأريخ بالهجرة النبوية الواعدة واستبدالها بهجرة صلاح الدين الأيوبي إلى القدس، فقد عمد غيره إلى اختراع نسب للأيوبيين وجعلهم من بني أمية ودخلوا على البيت الهاشمي من خلال عبد شمس، فأصبحوا هم والهاشميون أبناء عم.

ولكن العجب وكل العجب أن لا يعلّق أي مؤرّخ قديم أو معاصر على هذه الدعوة الهدامّة والمسيئة للإسلام وللهجرة النبوية وللنبي محمد نفسه (ص).

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

رأي ابن حزم الأندلسي:

وقف ابن حزم الأندلسي موقفاً معارضاً من الوجود الفاطمي، فهو بالرغم من أنّه يشهد بأن «جعفر بن محمد بن الحسين ابن أبي الحسنّ بن علي بن محمد الشاعر، بن علي بن إسماعيل بن جعفر الصادق»، شهد بصحة نسب عبيد الله المهدي أمام المهدي نفسه، وأمام جمع من علماء النسب، كذلك شهد بصحة نسبه رجل من بني البغيض. الا أنّه يقول: «وكل هذه دعوة مفتضحة، لأن محمد بن إسماعيل لم يكن له ولد قط اسمه الحسين، وهذا كذب فاحش. مع أنّه يؤكد أن أحمد ابن إسماعيل... ابن محمد ابن إسماعيل بن جعفر

الصادق توفي بمصر سنة ٣٢٥هـ[١].

وقد دأب على قوله: «لعنه الله» بعد ذكر اسم أي خليفة فاطمي أو أحد اتباعهم كقوله مثلاً عندما يتحدّث عن بعض قبائل زبيد «هم أنصار الكافر الصليحي، لعنه الله، القائم بنواحي زبيد بدعوة بني عبيد، لعنهم الله»[٢].

رأي ابن أيبك الدواداري:

بعد أن يورد ابن أيبك الدواداري رأي صاحب «تاريخ القيروان»، ورأي ابن زولاق في تاريخ مصر، المؤيّدين لصحة النسب، يقول أنّهم قلّة «أما الأكثر من العلماء المحقّقين وأرباب التواريخ المعتنين بحفظ الأنساب، فإنّهم ينكرون ذلك ويبطلون دعوى المهدي المذكور، وأنّ نسبه هذا جميعه ليس بصحيح، ويثبتون أنّ اسمه سعيد ابن زوجة الحسين بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن ميمون القدّاح، وأن عبيد الله هذا كان يهودياً من أهل سلمية، وكان حداداً، واسمه سعيد، فلما دخل المغرب تسمّى بعبيد الله وزعم أنّه علوي فاطمي، وادعى نسباً ليس بصحيح، ثم تسمّى بالمهدي، وكان زنديقاً خبيثاً عدواً للإسلام، يتظاهر بالتشيّع، حريصاً على إزالة الملّة الإسلامية. ودليل ذلك قتله الفقهاء والعلماء والأئمّة والمحدّثين والصالحين. قتل منهم عدّة كبيرة. وكان قصده إعدام الدين من الوجود لتبقى العالم كالبهائم.

---

(١) راجع: جمهرة أنساب العرب، ابن حزم الأندسي، ط ٤، القاهرة دار المعارف بمصر، سنة ١٩٧٧، ص ٦١.

(٢) م.س. ص ٤١٤.

ونشأت ذريّته بأجمعها على ذلك مبطنون به، ويجهرون به إذا أمكنهم»[1].

ونحن نسأل الدواداري: لماذا لم تذكر لنا اسماً واحداً من الفقهاء والعلماء والأئمّة الذين قتلهم عبيد الله المهدي؟.

وعندما تحدث عن العاضد الذي لم يعرف إلا الوزراء السنّة إن كان شاوراً أو ضرغام أو أسد الدين شيركوه أو صلاح الدين الأيوبي، وكل المؤرّخين يؤكّدون أنّه كان أسير وزرائه لا حول له ولا طول، يفتري عليه بقوله: «وكان العاضد شديد الرفض، متغالياً في سبّ الصحابة، وإذا رأى سنيّاً أو سمع به أراق دمه»[2].

وبالرغم من أن مصر والقاهرة كانت تعجّ بالمسلمين السنّة، لكنّ المؤرّخين لم يذكروا لنا مسلماً سنيّاً واحداً قتل على يد العاضد أو غيره من الخلفاء الفاطميّن.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

رأي ابن أياس:

أما ابن أياس، فقد وقف موقفاً محايداً فلم يشكّك في نسبهم كما أنّه لم يؤكّده، فقد نقل عن الذهبي سؤال ابن طباطبا العلوي الخليفة المعزّ عن نسبه وأن المعزّ ردّ عليه بنثر الذهب والتلويح بسيفه، ثم يقول: «وفي نسب هؤلاء الفاطميين أقوال كثيرة، فمن الناس من نسبهم إلى فاطمة بنت رسول الله (ص). ومن الناس من نسبهم إلى

---

(١) الدرة المضيّة في أخبار الدولة الفاطمية، م.س. ص ٦.

(٢) الدر المطلوب في أخبار ملوك بني أيوب، ابن أيبك الدواداري ط ١، القاهرة، طبعة المعهد الالماني، سنة ١٩٧٢، ص ١٣.

الحسين بن محمد بن أحمد بن القداح وكان أصل القداح من أبناء المجوس، وهذا أشهر نسبهم عند أرباب التواريخ»[1].

وهو إن نقل عن من سبقه من المؤرّخين، فقد أخطأ حتى في نقل الاسم، فالقداح: هو عبد الله بن ميمون القداح أحد دعاة الإمام محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق وهذا دليل الخلط الكثير الذي أصاب تاريخ الفاطميين.

رأي ابن كثير:

عندما توفي الخليفة عبيد الله المهدي الفاطمي وكان ذلك سنة ٣٢٢ هـ، قال الحافظ ابن كثير: «وفيها كان موت المهدي صاحب إفريقية أول خلفاء الفاطميين الكذبة، وهو أبو محمد عبيد الله المدّعى أنّه علوي وقد كان شهماً شجاعاً»[2].

وكيف يكون المدّعي الكذّاب شهماً شجاعاً، فهذا سرّ من أسرار ابن كثير.

وعندما يتحدّث عن القاضي عبد العزيز بن النعمان، يقول أنّه ألف كتاب «البلاغ الاكبر والناموس الأعظم» الذي فيه من الكفر ما لم يصل إبليس إلى مثله. وقد ردّ على هذا الكتاب، أبو بكر الباقلاني»[3].

---

(١) بدائع الزهور في وقائع الدهور، ابن إياس، الجزء الأول، ط ٢، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، سنة ١٩٨٢، ص ١٨٧.

(٢) البداية والنهاية، الجزء ١١، م.س. ص ١٧٩.

(٣) م.س. ص ٣١١.

والباقلاني كان من أهم فلاسفة المسلمين السنة الأشاعرة وكان يكره المعتزلة والشيعة الإمامية وقد ردّ على كلّ المخالفين لمعتقدات السنة بكتاب سمّاه: «التمهيد في الرد على الملحدة والمعلّلة والرافضة والخوارج والمعتزلة». ولم يخصصه للشيعة فقط، فالمعتزلة سنّة والخوارج سنّة، وكأنّ الحافظ ابن كثير لم يقرأه جيداً، فالكتاب بجميع فصوله وصفحاته لم يتضمن أي رد على عبد العزيز بن النعمان ولا على كتابه، ورغم أنّ كتب التاريخ مليئة بأخباره ومناوشاته مع الشيخ المفيد، شيخ الإمامية في عصره، فقد ذكر الخطيب البغدادي، أنّ ابن المعلّم (الشيخ المفيد)، كان جالساً مع بعض أصحابه الشيعة في مجلس من مجالس النظر، إذ أقبل الباقلاني، فالتفت ابن المعلّم لأصحابه وقال: قد جاءكم الشيطان، فوقعت في أذن الباقلاني، مع بعده عن القوم. فلما جلس قال لابن المعلم وأصحابه: قال الله تعالى: **﴿ألم تر أنا أرسلنا الشياطين على الكافرين تَؤُزُّهم أزّاً﴾**. (سورة مريم، الآية: ١٩)[١].

فلو كان ابو بكر الباقلاني قد ردّ على القاضي عبد العزيز ابن النعمان وعلى كتابه الشيطاني المزعوم، لكان المؤرّخون أتحفونا بأخبار هذا الردّ. فقد كان من المشهور عن الباقلاني جرأته وإقدامه. ويروى أنه عندما أرسله السلطان عضد الدولة رسولاً إلى ملك الروم طُلب منه خلع حذائه وعمامته، فرفض وقرّر العودة دون مقابلة

---

(١) التمهيد في الرد على الملحدة المعطلّة والرافضة والخوارج والمعتزلة، ابو بكر الباقلاني، ط ١، القاهرة، دار الفكر العربي سنة ١٩٤٧، ص ٤.

الإمبراطور لأنه رأى في هذا الأمر غضّ من أمر الإسلام حيث اعتبر نفسه ممثلاً للإسلام والملّة الإسلامية.

رأي ابن العماد الحنبلي:

عندما يبدأ الحنبلي بذكر حوادث سنة ٤٠٠ هـ، يبدؤها بقوله: «فيها أقبل الحاكم قاتله الله، على التألّه والدين، وأمر بإنشاء دار العلم بمصر، وأحضر فيها الفقهاء والمحدّثين. وعمّر الجامع الحاكمي بالقاهرة، وكثر الدعاء له. فبقي كذلك ثلاث سنين. ثم أخذ بقتل أهل العلم. وأغلق تلك الدار، ومنع من فعل كثير من الخير»[1].

وكلام ابن العماد كخبيص الملوك، ولكنّه غير مأكول ولا مبلوع، لخلّوه من الحقيقة ولكثرة التناقض بين أوّله وآخره.

وعندما قتل الحاكم ذكره ابن العماد فقال إنه «أفنى رجالاً وأباد أجيالاً، ومع هذا القتل العظيم والطغيان المستمر، كان يركب وحده منفرداً في المدينة تارة، وفي البرية طوراً، والناس كافة على غاية الهيبة، منه والخوف والوجل لرؤيته، وهو بينهم كالأسد الضاري، فاستمرّ كذلك أمره مدّة ملكه. وقد ادعى الألوهية وصرّح بالحلول والتناسخ، وحمل الناس عليه وألزم الناس بالسجود له».

والفرق بين تاريخ ابن العماد الحنبلي والحاكم سبعمائة سنة فمن نصّدق، ابن العماد أم معاصره سعيد بن البطريق صاحب صلة تاريخ أوتيكا، أم ابن الأثير والمقريزي.

---

(١) شذرات الذهب في تاريخ من ذهب الجزء ٣، م.س. ص ١٥٨.

وقد جروا في الحكم على هذا المنوال على كلّ الخلفاء الفاطميين وكل من يرتبط بهم بصلة.

رأي ابن أبي الفضائل:

ابن أبي الفضائل، من أنصار المعظم طوران شاه الأيوبي شقيق صلاح الدين، ألّف كتاباً بعنوان «كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة» وخصّصه لقرامطة وإسماعيلية اليمن وبالأخصّ الدولة الصليحيّة.

وعندما يتحدّث عن بدء دولتهم، يقول إنهم استطاعوا السيطرة على اليمن بفضل دعم الخليفة المستنصر مَعَدّ بن الظاهر. وبعد أن يذكر طريقة سيطرتهم على اليمن، يوجّه النداء التالي للمسلمين فيقول:

فالحذر الحذر أيها المسلمون من مقاربته ومخالطته والركون إلى قوله، فإنّه وأهل مذهبه يستدرجون العقول ويضلّون من ركن إليهم. لقد سمعته مراراً وأسفاراً يقول لأصحابه قد قرب كشف ما نحن نخفيه، وزوال هذه الشريعة المحمّدية. والله سبحانه أكرم من أن يبلغه مأموله من فساد الدين وهلاك المسلمين»[1].

ويتساءل القارىء، كيف سمع ابن أبي الفضائل، الصليحي وهو قد مات عن زوجته أروى أيام الخليفة المستنصر أي قبل مئة سنة من وفاة الكاتب؟ كما أننا ونحن في القرن الواحد والعشرين لا نترك

---

(١) كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة، ابن أبي الفضائل، ط ١، القاهرة مطبعة العطار، سنة ١٩٣٩، ص ٤٣.

وسيلة إلا ونتبعها لمعرفة عقائد المسلمين الدروز والإسماعيلية النصيرية ولا نستطيع لشدة تكتّمهم وحرصهم على عدم إفشاء عقائدهم. فكيف سمع ابن أبي الفضائل الصليحي؟ وهل كلّ المراسيم والسجلاّت والرسائل التي سطرّها الخليفة المستنصر وولده الآمر هي سجلاّت مزوّرة أم حقيقية، لأنها لم تخرج جميعها عن الإسلام الشيعي الإمامي الجعفري الأصيل.

رأي ابن خلدون:

أما المؤرّخ عبد الرحمن بن خلدون، فقد كان من المؤرّخين الموضوعيين والذين انصفوا الفاطميين ورفض محاضر الطعنّ التي نظمّها العباسيّون بحقهم فهو يقول عن دولتهم: «ثم ظهر بالمغرب من دعاة الرافضة أبو عبد الله الشيعي في كتامة من قبائل البربر أعوام ستة وثمانين ومائتين داعياً لعبيد الله المهدي، محمد بن جعفر بن محمد بن إسماعيل الإمام بن جعفر الصادق»[1].

وهو عندما يتحدّث عن بدء دولتهم يستند إلى شعر الشريف الرضى لإثبات صحة نسبهم.

وحين يذكر الخليفة الحاكم، يورد كلّ أخباره السياسية والعسكرية، أما أخباره الدينية ومواقفه وأفكاره أشار إليها بقوله: «وكان حاله مضطرباً في الجور والعدل والإخافة والأمن والشك والبدعة، وأما ما يُرمى به من الكفر، وصدور السجلات بإسقاط

---

(١) تاريخ ابن خلدون، الجزء الرابع، م.س. ص ١١.

الصلوات ففير صحيح، ولا يقوله ذو عقل. ولو صدر من الحاكم بعض ذلك لقتل لوقته. وأما مذهبه في الرفض فمعروف. ولقد كان مضطرباً فيه مع ذلك. فكان يأذن في صلاة التراويح وينهى عنها»[1].

وليثبت عدالة الحاكم والتزامه بالإسلام الأصيل، أورد ابن خلدون سجلاً مشهوراً عمّمه على رعايا الدولة الفاطمية. وهو السجّل الذي كنا قد أوردنا بعضه، ويحرّض فيه الحكام على ترك الحرية الكاملة لأصحاب المذاهب في الصوم والإفطار والصلاة والتكبير وراء الجنائز والآذان وسائر المعتقدات الإسلامية.

رأي ابن خلكان:

عندما يتحدث عن الخليفة المستعلي، ينسب إليه وإلى آبائه كلّ مساوىء العصر وينهي الحديث بقوله: خذلهم الله تعالى[2].

وعندما يتحدث عن الخليفة المنصور أبي الطاهر إسماعيل، ينهي كلامه بقوله: كان المنصور شجاعاً رابط الجأش، بليغاً يرتجل الخطبة لوقتها. توفي ودفن بالمهدية رحمه الله تعالى[3].

وعندما يتحدّث عن العاضد يكرر قول غيره عن العاضد أنّه «كان شديد التشيع مغالياً في سب الصحابة، وإذا رأى سنيّاً استحلّ دمه»[4].

ويقول إن السلطان صلاح الدين، «عندما قبض على الخليفة

---

(١) م.س. نفسه، ص ٦٠.

(٢) راجع: وفيات الأعيان، المجلد الأول، ص ١٧٩.

(٣) م.ن. ص ٢٣٦.

(٤) م.ن. الجزء الثالث، ص ١١٠.

العاضد، استفتى الفقهاء بقتله فأفتوه بجواز ذلك لما كان عليه العاضد وأشياعه من انحلال العقيدة وفساد الاعتقاد وكثرة الوقوع في الصحابة والاستهتار بذلك».

ونحن لا ننكر أن الفاطميين وكل مذاهب الشيعة تفضل الإمام عليّ على بقية الصحابة وترى أنهم اغتصبوا حقّه ولكنهم لا يرفضون بيعته لهم ويعترفون بإمامتهم وخلافتهم بسبب هذه البيعة.

رأي السيوطي:

بالرغم من أن السيوطي مصري المولد، لكنّه كان أكثر المؤرّخين المتقدّمين والمتأخّرين أمثاله، كرهاً للفاطميين وهو يقول في مقدمة كتابه «تاريخ الخلفاء» أنّه لم «يورد أحداً من الخلفاء العبيديّين لأنّ إمامتهم غير صحيحة، لعدّة أمور منها: أنّهم غير قرشيّين وإنّما سمّتهم بالفاطميين جهلة العوام. وإلاّ فجدّهم مجوسي. ومنها أن أكثرهم زنادقة خارجون عن الإسلام. ومنهم من أظهر سبّ الأنبياء. ومنهم من أباح الخمر. ومنهم من أمر بالسجود له. والخيّر منهم خبيث لئيم، يأمر بسب الصحابة، رضي الله عنهم. ومثل هؤلاء لا تنعقد لهم بيعة، ولا تصح لهم إمامة»[1].

وقد خصّص مقدّمة كتابه كلّها التي بلغت أربع صفحات من القطع الكبير في سبّهم وشتمهم وتجميع آراء كلّ المؤرّخين الأكراد والأيوبيين والمعارضين لهم فيها.

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطي، ط ١، بيروت، دار التراث، سنة ١٩٦٩، ص ٦.

والجواب عليه موجود في كلّ صفحات كتابنا وعلى كلّ الأصعدة، عقيدة وممارسة وحضارة.

وعندما اقتضى التسلسل التاريخي ذكر الخلفاء الفاطميين، اختزل السيوطي حياة مئتين وعشر سنين من تاريخ مصر والإسلام، بل من أبهى وأعظم قرنين من تاريخ مصر والدولة الإسلامية بسطر واحد، بعد أن ذكر دخول جوهر مصر وبنائه القاهرة والأزهر، حيث قال بثلاثة أسطر: «وفي رمضان من هذه السنة دخل المعزّ إلى مصر ومعه توابيت آبائه»[1].

ثم أخذ حين وفاة كلّ خليفة منهم يلصق بهم التهم جزافاً. وعندما مات العاضد، أثبت كلّ الخطب والكتب التي قيلت في ذم الخلفاء الفاطميين وعهدهم في مصر وينهي مداخلته بقصيدة العماد الأصفهاني التي مطلعها[2]:

أدالت بمصر لداعي الهداة ... وانتقمت من دعّي اليهود

علماً أن هذه القصيدة غير مثبتة في ديوان العماد.

رأي كمال الدين بن العديم:

أما ابن العديم فلم يعط رأيه بالفاطميين أو بنسبهم، ولكن يبدو أنّه يكره صلاح الدين الأيوبي والأيوبيين فهو يقول أن السلطان نور الدين محمود زنكي «كتب إلى الملك الناصر صلاح الدين يأمره بقطع الخطبة العاضدية وإقامة الخطبة المستضيئة العباسية، فامتنع

---

(١) تاريخ الخلفاء السوطي، م.س. ص ٣٧٢.

(٢) م.س. ص ٤١١.

واعتذر باالخوف من قيام أهل الديار المصرية عليه، وكان يؤثر أن لا يقطع الخطبة للمصريين في ذلك الوقت، خوفاً من نور الدين أن يدخل إلى الديار المصرية فيأخذها منه»[1].

ويخبرنا ابن العديم، أن صلاح الدين الأيوبي، اتفق مع السلطان نور الدين زنكي على ملاقاة الفرنجة في منطقة الكرك فوصل إلى منطقة الرقيم قبل الكرك، ثم خاف إذا اجتمع مع نور الدين في الكرك أن يطلب منه العودة إلى دمشق وترك مصر، فقطع الطريق في الرقيم قبل الوصول إلى الكرك، وعاد إلى مصر متحجّجاً بمرض والده نجم الدين أيوب.

ويقول ابن العديم أنّ نور الدين زنكي غضب على صلاح الدين لعدم ملاقاته في الكرك وأنّه بسبب هذا الأمر «خاف صلاح الدين من نور الدين أن يدخل مصر فيأخذها منهم، فشرع في تحصيل مملكة أخرى، لتكون عدّة له، بحيث أنّ نور الدين، إن غلبه على الديار المصرية، سار هو وأهله إليها وأقاموا فيها»[2].

وكأنّ ابن العديم يريد أن يقول أنّ دوافع صلاح الدين الأيوبي وأهله، كانت دوافع سلطوية دنيوية، لا علاقة لها لا بالدين ولا بالمذهب السنّي حتى ولا بالإسلام، هدفه السلطة والسلطنة والملك فقط.

وابن العديم كان له من العمر عشر سنوات حين توفي

---

(١) زبدة الحلب من تاريخ حلب، ابن العديم، الجزء الثاني لا طبعة، لا دار نشر لا تاريخ، ص ٦٩٧.

(٢) زبدة الحلب من تاريخ حلب، الجزء الثاني، م.س. ص ٧٠٣.

صلاح الدين الأيوبي، أي إن لم يكن معاصراً له فهو أقرب المؤرّخين معاصرة.

رأي بدر الدين العيني:

أما بدر الدين العيني، وهو من المؤرّخين المشارقة المتأخّرين، فقد كان مؤرّخاً محايداً، فلم يشتم الفاطميين حيث ذكرهم عن عرض، كما لم يمدحهم. فهو يقول في معرض مقارنة دولتهم بالدولة العباسيّة:

«وقارن دولتهم دولة الفاطميين ببلاد مصر، وبلاد الشام في بعض الأحيان، والحرمين في بعض الزمان. واستمرّت دولتهم قريباً من ثلاثمائة سنة. وكان أوّلهم المهدي، وآخرهم العاضد. وكان مقامهم بمصر مائتي سنة وثماني سنين. وهؤلاء أيضاً تلقّبوا بالقاب وهم: المهدي، والقائم، والمنصور، والمُعِزّ، والعزيز، والحاكم، والظاهر، والمستنصر، والمستعلي، والآمر، والحافظ، والظافر، والفائز، والعاضد»[1].

وعندما ينسبهم يقول: فأوّلهم المهدي، أبو محمد عبيد الله بن الحسن بن محمد ابن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ـ وينهي النسب بقوله: ـ على زعمهم ـ[2].

---

(١) السيف المهنّد في سرة الملك المؤيّد، بدر الدين العيني، ط ١، القاهرة دار الكتاب العربي، سنة ١٩٦٦، ص ٨٨.

(٢) م.س. ص ١٤٨.

رأي الحافظ الذهبي:

أما الحافظ الذهبي، فهو يرى «أنّ العاضد لدين الله هو ابن... الحاكم العبيدي المصري الرافضي، خاتمة خلفاء الباطنية وقيل إنّ موته كان بسبب إسهال مفرط، وقيل مات غمّاً لما سمع بقطع خطبته. وقيل بل كان له خاتم مسموم فامتصّه وخسر نفسه»[1].

رأي ابن الأثير:

يعتبر ابن الأثير من المؤرّخين المحايدين الذين لم يقفوا موقف الرافض للدولة الفاطمية. فهو يعترف بخلافتهم وكنا قد أشرنا إلى مناقشته الموضوعية لمحضر الطعن بنسبهم. كما أنه ذكر الأحداث التي تعنيهم بكل موضوعية، ولم يشتمهم كغيره من المتأخرّين عنه وأكثرهم أخذ عنه وزوّر وأضاف، وهو يقول عند وفاة الخليفة العاضد: «وخلا القصر من سكانه، كأن لم يُغَنَّ بالأمس، فسبحان الحي الدائم الذي لا يزول ملكه، ولا تغيّره الدهور، ولا يقرب النقص حماه... وهذا دأب الدنيا، لم تعط إلاّ واستردّت، ولم تحلُ إلا وتمرّرت، ولم تصفُ إلا وتكدّرت. بل صفوها لا يخلو من الكدر، وكدرها قد يخلو من الصفو، نسأل الله تعالى أن يقبل قلوبنا إليه، ويرينا الدنيا حقيقة ويزهدنا فيها ويرغبنا في الآخرة، إنّه سميع الدعاء قريب الإجابة»[2].

---

(١) العبر في خبر من غبر، الحافظ الذهبي، الجزء الرابع، ط ٢، الكويت طبعة وزارة الإعلام، سنة ١٩٨٤، ص ١٩٧.

(٢) الكامل في التاريخ، الجزء التاسع، ص ١١٢.

رأي أبي المحاسن ابن تغري بردي:

وقف ابن تغري بردي منهم موقف المعارض ولكنّه لم يشتمهم مباشرة، بل نقل آراء غيره من الذين طعنوا بنسبهم أو شتموهم دون مناقشة، أي وكأنّه موافقاً على الطعن بهذا النسب، فأورد رأي القاضي عبد الجبار المصري الذي أوصل نسبهم إلى حداد يهودي من سلمية، ورأي القاضي أبي بكر الباقلاني بأنّ جد عبيد الله المهدي كان مجوسياً[1].

وعندما تحدّث ابن تغري بردي عن محضر الطعن ذكر أسماء كلّ الذين وقعّوا عليه وأضاف إليهم الشريفين الرضي والمرتضى، تدليساً، وكل الذين ناقشوا هذ المحضر أوردوا تمنّعهما عن التوقيع، ونظم الشريف الرضي قصيدته البائية لتعطيل مفعول المحضر[2].

ورغم محاولته للظهور بمظهر المؤرّخ الموضوعي والمحايد، لم يستطع أبو المحاسن إخفاء كرهه ومعارضته للخلفاء المصريين، وليس غريباً عليه، فالمؤرّخون على دين ملوكهم.

رأي ابن أيبك الصفدي:

رغم أنّ كتاب الوافي بالوفيات، هو كتاب تراجم وأعلام، إلا أن الصفدي لم يستطع إخفاء انحيازه إلى الأيوبيين، والحط من قدر الخلفاء المصريين، فهو حين يتحدّث عن أي أيوبي، يكيل له

---

(١) راجع: النجوم الزاهرة، الجزء الرابع، م.س. ص ٧٩.

(٢) م.س. ص ٢٣٠.

ولإسلامه وجهاده الثناء، وإذا تحدّث عن أي خليفة مصري، يحاول أن يحطّ من قدره، فالخليفة الآمر بن المستعلي عنده، كان كثير اللعب، مرتكباً للشهوات، حجر عليه الأفضل بن بدر الجمالي لمنعه من ارتكابها[1].

وعندما يتحدّث عن الخليفة الظافر، ينفرد بإعلامنا بأنّ «أخت الظافر كاتبت الفرنج بعسقلان وشرطت لهم مالاً جزيلاً على إمساك عباس الصنهاجي»[2]. رغم أنّ كلّ المؤرّخين المعاصرين والمتأخّرين أمثال الصفدي لم يشيروا إلى هذه المعلومة. فمن أين استقاها؟ فلا جواب!.

وعندما يتحدّث عن مقتل شاور، وتوزير أسد الدين شيركوه يخبرنا أنّه بموت شاور وتوزير شيركوه ظهرت السنّة»[3].

رأي النويري:

لم يكن النويري من المؤيّدين للدولة الفاطمية ولكنه لم يشتمهم ويلعنهم في كتاباته كالعماد الأصفهاني وابن أيبك الدواداري والحافظ ابن كثير وبعض المعاصرين أمثال الشيخ خليل الميس والعديد من الكتّاب المصريين. ولكنّه عندما يتحدّث عنهم لا يعترف بخلافتهم، بل يقول ملوك الدولة العبيدية والملك الفلاني.

وعندما تحدّث عن الخليفة الحاكم بأمر الله قال إنّه «في سنة

---

(١) راجع: الوافي بالوفيات، الجزء ١٦، م.س. ص ٩٢.

(٢) م.س. نفسه، الجزء ٩، ص ١٥٢،

(٣) م.س. الجزء ١٦، ص ٩٧.

٣٩٣ هـ، حصل للحاكم مرض المانخوليا، فأخذ في قتل أرباب الدولة وذوي المناصب وغيرهم»[١].

علماً أنّ الباحث والمؤرخ، عبد المنعم ماجد. قد سطّر كتاباً بعنوان: «الحاكم بأمر الله المفترى عليه»، أظهر فيه سبب قتل كلّ موّظف، والكل يعلم أنّ الكثير من عامة الشعب المصري، كان الخليفة الحاكم يشاهد مخالفاتهم الموجبة للعقوبة، وكان يعفو عنهم.

أما المقريزي وعمارة اليمني، فقد ورد رأيهم في الفاطميين في أكثر من مكان في الكتاب. وقد كانا من المتعصّبين لهذه الدولة رغم أنهما من المسلمين السنّة.

رأي المستشرق برنارد لويس:

وعندما تحدث برنارد لويس عن المصادر التاريخية السنية أشار أول ما أشار إلى كتاب الطبري فقال:

«أقدم ما نملك من مصادر هذه المرحلة هو كتاب المؤرّخ السني الكبير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري المتوفّى سنة ٣١١ هـ ـ ٩٢٢م وهو يمثّل أقدم مرحلة لمعلومات السنّة عن الحركة الباطنية تمثيلاً واضحاً: إذ أنّ اطلاعه على عقائد الفرق وعلى خلافاتها الداخلية اطلاع قليل. فهو ـ بالرغم من إشارته إلى أنّ زعماء القرامطة في سورية قد ادعوا بأنهم من ذرية محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق ـ لم يَدُرْ في خلده أن يربط بينهم وبين المدعي الفاطمي الذي ذكر ظهوره في إفريقية».

---

(١) نهاية الأرب للنويري، الجزء ٢٨، م.س. ص ١٧٦.

وبعد أن يستعرض أقوال عريب بن سعد القرطبي والمسعودي المعاصرين لقيام الحركة القرمطية والدعوة الإسماعيلية يذكر اطلاعه على تاريخ ثابت بن سنان الصابي، المتوفي سنة ٣٦٥هـ.

فيشير إلى أن وفاة الصابي دليل على معاصرته قيام ونشوء القرامطة والإسماعيليين منذ البدايات ويعتبر أن ما ذكره الصابيء هو أقرب للتصديق كونه معاصراً فيقول لويس عنه:

«يذكر ثابت تاريخ القرامطة في البحرين وسورية والعراق منذ نشأتهم حتى سنة وفاته. وقد فصّل البحث في الحروب بين الخليفة المعز الفاطمي والقرامطة خاصة. وفيه كلّ الدلالة على أنه بحث معاصر. ويتبع مسكويه وابن الأثير كلاهما كتاب ثابت هذا، ويظهر أنّه مصدرهما المعتمد عن هذه الفترة.

ويمثل ثابت مرحلة من المعلومات أرقى من مرحلة الطبري، فهو يظهر ـ في غير مرة ـ أنه عارف بالعلاقة بين القرامطة والفاطميين في إفريقية. ولكنه مع ذلك لا يذكر شيئاً عن عقيدتهم ولا يعرف شيئاً عن تاريخ الفرقة في دورها الأوّل قبل انتفاضتها علناً، ولم يذكر اسم أبي الخطاب وميمون القداح وابنه عبد الله ولم يخامره شك في نسب عبيد الله (المهدي) الذي يشير إليه دائماً بالفاطمي».

فإذا نستنتج من مداخلة برنارد لويس أن أسماء أبي الخطاب الأسدي وميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون القداح لم تكن معروفة ومتداولة قبل محضر الطعن بالنسب، أي قبل سنة ٤٠٢ هجرية.

وأنّ تداولها على أيدي المؤرّخين بدأ بعد إصدار محضر الطعن ماخوذة من كتاب «أخو محسن»، الذي أخذها بدوره من كتاب ابن

رزّام المفقود. ونقل برنالد لويس رأي المستشرق كازانوفا بما كتبه، رغم انتماء الاثنين لمذهب السنّة[1].

وينهي برنالد لويس المداخلة بقوله: «بظهور كتاب ابن رزّام، ظهر لأول مرة، في كتب السنة التاريخية، اسم ميمون القداح وابنه عبد الله، وربطت أصول الحركة الفاطمية بهما وبدأ الشك بنسب الخلفاء الفاطميين»[2].

رأي المؤرّخين المعاصرين:

انقسم المؤرّخون المعاصرون في موقفهم تجاه الدولة الفاطمية كانقسام المؤرّخين المتقدّمين، فمنهم من كان من غلاة السنّة فرماها بالكفر والزندقة، ومنهم من كان محايداً فنظر إلى حضارتها نظرة المبهور دون أن يخوض في الأمور الدينية والسياسية.

رأي الجبرتي:

فالجبرتي على سبيل المثال أخذ عن مؤرّخي الأكراد والأيوبيين وحكم على الخلفاء المصريين بالبدعة والرفض والخبث، ويبدو أن مصادره ومراجعه كأحكامه حيث يقول: «إن عبيد الله المهدي هو جدّ بني عبيد الخلفاء المصريين العبيديين الروافض باليمن»[3]. والكل يعلم أنّ الخلفاء المصريين كانوا بمصر وليس في اليمن. كما يقول إنّه لما

---

(١) راجع: عقائد الاسماعيلية، برنارد لويس، م. س. ص٥٨.

(٢) م.س. نفسه، ص ٥٩.

(٣) تاريخ عجائب الآثار في التراجم والآثار، عبد الرحمن الجبرتي، ط ١، بيروت، دار الفارس، لا تاريخ، ص ٢٦.

«خطب للمستضيء العباسي بمصر، مات العاضد قهراً وأظهر الناصر يوسف الشريعة المحمّدية، وطهر الإقليم من البدع والتشيّع، والعقائد الفاسدة، وأظهرعقائد أهل السنة والجماعة وهي عقائد الأشاعرة. وبعث إليه أبو حامد الغزالي بكتاب ألّفه له في العقائد، فحمل الناس على العمل بما فيه ومحا من الإقليم مستنكرات الشرع وأظهر الهدى»[1].

أما ادعاء الجبرتي بأنّ أبي حامد الغزالي بعث لصلاح الدين الأيوبي بكتاب ألّفه في العقائد، فالغزالي توفّي ودفن في طوس سنة ٥٠٥ هـ أي قبل ولادة صلاح الدين بنصف قرن تقريباً.

أما أنّ صلاح الدين الأيوبي قد طهّر إقليم مصر من مستنكرات الشرع، فابن العماد الحنبلي يقول لنا إنّه في سنة ٦٢٨ هـ كثُر وجود اللقطاء مما اضطر السلطان «صلاح الدين» لإقامة بيوت للقطاء، حيث يقول: «وبنى داراً للملاقيط ورتبّ بها جماعة من المرضعات وكل مولود يلتقط، يحمل إليهنّ فيرضعنه»[2].

علماً أنه طوال الحكم الإسلامي الشيعي الإمامي لمصر، والذي استمرّ أكثر من مائتين وعشر سنوات، لم يشر المؤرّخون إلى وجود لقيط واحد.

والجواب موجود: حسن وفهم وتطبيق شريعة الإسلام من قبل الأئمة الخلفاء الشيعة المصريين، أدّى إلى قيام مجتمع متطوّر راقٍ خالٍ من الأكدار والدنس والشوائب.

---

(١) م.س. ص ٢٧.

(٢) راجع: شذرات الذهب في أخبار من ذهب، الجزء الخامس، م.س. ص ١٣٩.

المؤرّخون على دين ملوكهم:

عندما عرّف ابن خلّكان عن أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصابيء، قال إنّ عضد الدولة البويهي «طلب منه أن يضع له كتاباً في أخبار الدولة الديلمية، فعمل كتاب «التاجي». فقيل لعضد الدولة: إنّ صديقاً للصابيء دخل عليه فرآه في شغل شاغل في التعليق والتسويد والتبييض. فسأله عما يعمل؟ فقال: أباطيل أنمّقها وأكاذيب ألفّقها». فحقد عليه عضد الدولة وعزم على إلقائه تحت أرجل الفيلة[1].

ويكفي هذا الخبر للتدليل على صحة ما يكتبه المؤرّخون وما يرد في كتب التاريخ.

الدسّ على الفاطميين:

ونقل محمد كردعلي عن لسان الدين ابن الخطيب قوله: «إنّ المعز لدين الله، كان أعظم ملوكهم خطراً، وكان بعيد الصيت عظيم الجبروت، وقوراً كثير التأنيّ، ذهب بنفسه كلّ مذهب، حتى زعموا أنّه أمر المؤذّن أن يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن معدّاً رسول الله». وعوض أن يناقش كردعلي ادعاء لسان الدين بن الخطيب ويبحث عن مصادره، دعّم رأيه بالاستشهاد بقول محمد بن هانيء الأندلسي في مدح المعزّ بالقصيدة التي جاء فيها[2]:

---

(١) وفيات الأعيان، الجزء الأول، م.س. ص ٥٢.

(٢) الإسلام والحضارة العربية، محمد كردعلي، الجزء الثاني، ط ٣، القاهرة، لجنة التاليف والنشر سنة ١٩٦٨، ص ٤٧٦.

أمديرها من حيث دار لطالما ... زاحمت تحت لوائه جبريلا

أورثته البرهان والتبيان ... والفرقان والتوراة والإنجيلا

وعلمت من مكنون علم الله ما ... لم يؤت في الملكوت ميكائيلا

لو كنت آونة مبشّر أمّة ... نشرت لمبعثك القرون الأولى

لو كنت نوحاً منذراً في قومه ... ما زادهم بدعائه تضليلا

لو كنت نوحاً منذراً في قومه ... ما زادهم بدعائه تضليلا

لو كان آتى الخلق ما أوتيته ... لم يخلق التشبيه والتمثيلا

لولا حجاب دون علمك حاجز ... وجدوا إلى علم الغيوب سبيلا

وقد ختم كردعلي المداخلة بقوله: إذا أحسنا الظن بهذه الأبيات نقول إنها مبالغة شاعر، وكان أولى بالمُعِزّ أن لا يقرّه عليها، وإذا أسانا الظن، نقول أنّه أوعز إليه بعمل هذه الأبيات.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

رأي محمد عبد الله عنان:

ومن المؤرّخين المعاصرين الذين شاركوا في ظلم الفاطميين الباحث الدكتور محمد عبد الله عنان، فهو حين يتحدّث عن مجالس الدعوة التي كانت تقام في الجامع الأزهر وقصر الخلافة ودار الحكمة يقول: «وغدت دار الحكمة مثوى الدعوة السرية الفاطمية، يحتشد فيها الدعاة والنقباء السريّون من كلّ ضرب، وكانت تعاليمها ومراتبها المذهبية تمّت بأكبر الصلات إلى الدعوة الميمونية السرية، وهي التي نظّمها عبد الله بن ميمون القدّاح، والتي كانت مبعثاً لدعوة القرامطة الهدامة، ولنلاحظ أنّ ابن ميمون هذا، هو

الذي يُرجع إليه بعض المؤرّخين نسب الأسرة الفاطمية»[1].

فقد أنكر الباحث محمد عنان، انتساب الخلفاء المصريين إلى العترة النبوية الطاهرة، وأخذ بقول خصومهم، دون مناقشة أو تمحيص، ولكن هذا إن كان يحطّ من قدرهم في مجال النسب، لا يحط من علوّ شأوهم في مجال التنظيمات الحضارية والاجتماعية.

ولم يكتف بعض المؤرّخين والكتّاب المعاصرين ومن حاملي درجة الدكتوراه، بما نزل من ظلم وتزوير وتحريف بالفاطميين والدولة الفاطمية من مؤرّخي الدولتين الكردية والمملوكية، فبدل أن يعمل واحدهم بما يمليه عليه اللقب الذي يحمله من أمانة تاريخية وموضوعية، يدفعه حقد غير مبرّر لتزوير تاريخ أجمل حقبة في تاريخ بلده، مصر، وتاريخ أمته العربية الإسلامية.

عندما يصف المقريزي المنهوبات التي أخرجها الأكراد الأيوبيون من قصر الخليفة العاضد، يقول بالحرف الواحد: «ومقدار ما يحدس أنّه خرج من القصر ما بين دينار ودرهم ومصاغ وجوهر ونحاس وملبوس وأثاث وقماش وسلاح، ما لا يفي به ملك الأكاسرة، ولا تتصوّره الخواطر الحاضرة، ولا تشتمل على مثله الممالك العامرة، ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة»[2].

---

(١) مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية، محمد عبدالله عنان، ط ٢، القاهرة، مكتبة الخانجي سنة ١٩٦٩، ص ١٢٣.

(٢) الخطط المقريزية، الجزء الأول، ص ٤٩٦.

وعندما وصف الباحث المصري المعاصر الدكتور عبد الرحمن فهمي محمد، حالة النقد والمصارف في سنة ٥٦٩هـ، أول سنة حكم كردية أيوبية لمصر، فحرّف وصف المقريزي لخزائن وقصور الفاطميين، ونسبها لخزائن وقصور الأكراد الأيوبيين، حيث يقول بعد إيراد رأي المقريزي الذي يتأسف على نهبهم خيرات مصر: «غير أنَّه لا يمكن التسليم بكل هذه النتائج التي وصل إليها المقريزي، سيما وأنّ خزائن القصور الأيوبية، كانت تفيض بالدراهم والدنانير والمصاغ والجواهر بشكل «لا يفي به ملك الأكاسرة، ولا تتصوره الخواطر الحاضرة، ولا تشتمل على مثله الممالك العامرة، ولا يقدر على حسابه إلا من يقدر على حساب الخلق في الآخرة»، على حد تعبير المقريزي نفسه[1].

وهكذا أصبحت قصور المصريين التي اغتصبها الأكراد الأيوبيون سنة ٥٦٩ هـ، بنظر الباحث عبد الرحمن فهمي محمد قصوراً أيوبية، ولكنه نسي أن يشير إلى أنّهم نهبوها كلها وباعوها في دمشق وبغداد وأنهم لو استطاعوا سرقة نهر النيل وجرّه إلى الشام لما قصرّوا.

وهذا دأب كلّ المؤرّخين الأكراد ومؤرّخي الدولة المملوكية وبعض المؤرّخين المعاصرين، لا يفتأون في تزوير حقيقة أهمّ وأعظم دولة في مجال الحضارة والرقيّ، في الشرق العربي.

---

(١) النقود العربية، ماضيها وحاضرها عبد الرحمن فهمي محمد، ط ١، القاهرة، المكتبة الثقافية سنة ١٩٦٤، ص ٧٠.

رأي أيمن فؤاد السيد:

يقول الباحث والمؤرّخ المعاصر أيمن فؤاد السيد: «الدولة الفاطمية نموذج منفرد في التاريخ الإسلامي لم يتكرّر على الإطلاق، فقد كانت دولة ذات طابع ديني فلسفي وحضارة متميّزة، أرادت بسط نفوذها على كلّ العالم الإسلامي المعاصر... وأنشأ الفاطميّون في مصر لأول مرّة قصراً خلافياً وبلاطاً للخلفاء، لم يكتف فقط بمنافسة بلاط خلفاء بغداد وأباطرة بيزنطة بل تفوّق عليهما بمظاهر الترف والبذخ والأُبَّهَة التي استغلّ الفاطميّون في إضفائها عليه، كلّ إمكانات مصر الحضارية وما تميّز به مذهبهم العقائدي الخاص»[1].

رأي حسن الأمين بالدولة الفاطمية:

ويرى شيخ المؤرّخين السيد حسن محسن الأمين الحسيني العاملي «أنّ تاريخ الفاطميين هو تاريخ العلم والأدب والحكمة، هو تاريخ الحرّية المقدّسة، حرّية الوجدان، حرّية المرء بأن يعتقد ما يشاء، على أن لا يعتدي على غيره. وهل أروع من حريّة الوجدان، تطلقها الدولة وتحميها! وهل أعظم من أن تجعل الدولة نفسها مدرسة عامة تنشر العلم وتبثّ الأدب وترعى العلماء وتكرم الحكماء؟.

---

(١) الدولة الفاطمية في مصر، أيمن فؤاد سيّد، ط ١، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية سنة ٢٠٠٠، ص ٧٤٧.

هذا ما كانت عليه مصر أيّام الفاطميين، مما لم يشهد قبلهم مثله بلد من البلاد، ولا دولة من الدول»[1].

ظلم المؤرّخين المعاصرين:

أما المؤرّخ اللبناني المعاصر وليم الخازن، فهو حين يتحدّث عن أمير طرابلس، أبو طالب، أمين الدولة عبد الله بن محمد بن عمار، يعتبره من ولاة الدولة العباسية، رغم أنّه لا علاقة لطرابلس في الحقبة التي تحدّث عنها بالدولة العباسية، حيث يقول: «ويجدر بنا ونحن نتحدث عن الثقافة في لبنان، خلال الحكم العباسي، أن لا نغفل عهد بني عمار في طرابلس (١٠٧٠ ـ ١١٠٩). وقد كان عهدهم من أزهى عهود المدينة الفيحاء، علمياً، وتجارياً، وزراعياً وسياسياً. فإن أبا طالب، أمين الدولة، عبد الله بن محمد بن عمار، القاضي الشيعي، أعلن نفسه، حاكماً مستقلاً على المدينة، بعد وفاة الحاكم الفاطمي حوالي ١٠٦٩، وكان يهتم بالعلم والعلماء. وبنى مدرسة سماها «دار العلم»، وأنشأ مكتبة كبيرة، واستمال طلاّب العلم إلى عاصمته، وفي أثناء حكم بني عمار، بلغت طرابلس شهرة بعيدة ولكن هذه الفترة لم تدم طويلاً، وسقطت طرابلس بيد الصليبيين في ٢٦ حزيران ١١٠٩ هـ»[2].

---

(١) مجلة العرفان، صيدا، المجلد رقم ٥٧، مقالة بعنوان، الدولة الفاطمية، بقلم: السيد حسن الأمين، سنة ١٩٧٠، ص ١٠٦٤.

(٢) مظاهر الحضارة اللبنانية، زمن الدولة العباسية، وليم الخازن، ط ١، بيروت، منشورات الجامعة اللبنانية، سنة ١٩٨٤، ص ٥٠.

وهذا الكلام غير مطابق للحقيقة التاريخية، فكل كتب التاريخ أشارت إلى طرابلس الفاطمية في هذه الحقبة، وكنت قد أشرت إلى مجيء حاكم طرابلس الفاطمي جلال الملك بن عمار لاجئاً سياسياً إلى القاهرة، وتكريمه من قبل الخليفة الآمر واعتباره من أبطال المسلمين الذين قاوموا الغزو الصليبي حتى الرمق الأخير.

رأي رئيس جبهة علماء الأزهر:

أجرت مجلة المجلة مقابلة مع رئيس جبهة علماء الأزهر الدكتور محمد عبد المنعم برّي مستمزجة رأيه بما جري في جنوب لبنان على يد أبطال المقاومة الإسلامية ضد العدو الصهيوني المغتصب لأرض فلسطين وللجنوب اللبناني ـ الذي تحرّر فيما بعد على يدي المقاومين اللبنانيين الأبطال فكان رأيه كالتالي:

اعترض الدكتور عبد المنعم برّي على تسمية التشيع بمذهب بمقابل المذهب للسنّي. وأصَرَّ أن التشيع لا علاقة له بالإسلام وأن التشيع هو «ديانة شيعية».

ويقول الدكتور برّي وهو المتخصّص «في الفكر الشيعي» «أنّ الشيعة يتستّرون بمبدأ التقيّة التي معناها تضليل الجاهلين وأهل السنة والجماعة بعقائد الشيعة السرية».

وجواباً على سؤال: هل هناك خطورة على اطلاع الشباب على الفكر الشيعي؟ أجاب دكتور برّي: «نعم، إنّ عندي مثلاً في بيتي، مكتبة كاملة عن الفكر الشيعي. ولي حالياً تحت الطبع كتاب بعنوان: «الجذور اليهودية للشيعة». جمعت فيه خلاصة ما تحتويه كتبهم. وهي في

مجملها كوارث في أصول عقائدهم، تتضمّن عورات وفضائح ومخازي يندي لها جبين الإنسانية. إنّ عبد الله بن سبأ مثلاً مؤسس الفكر الشيعي، هو في الأصل حاخام يهودي يمني سابق»[1].

ويذكر الدكتور محمد عبد المنعم بري العورات والمخازي التي يندى له جبين المسلم حسب قوله فيحصرها في الأمور التالية:

١ ـ معرفة الأئمة المعصومين بعلم الغيب.

٢ ـ يحللون الزواج المؤقّت أو نكاح المتعة. ويتهمهم بأنّهم لا يعترفون بالقرآن الكريم ويقولون أنّ القرآن الحالي فيه تحريف وتزوير.

٤ ـ يلعنون أبا بكر وعمر وعثمان (رض).

٥ ـ يلعنون عائشة أم المؤمنين (رض).

والشيعة لهم وجهة نظرهم المنطقية والموضوعية في هذه الأمور ولا ينكرون ما يعتقدون، ولكن ليس بالحدة التي ذكرها رئيس جبهة علماء الأزهر.

فهم يرون أن أئمّتهم المعصومين يستشرفون آفاق المستقبل ويتوقّعون ما سيحصل فهم يتشرفون غيب بعض الأمور، بسبب معرفتهم بمقدماتها الحاصلة أمامهم. أي أنّهم يحللون الاسباب فيحددون النتائج.

ونكاح المتعة أو الزواج المؤقّت فهو حلال محمد وحلال القرآن.

---

(١) مجلة المجلة، العدد تاريخ ٤/١١/٢٠٠٠/ الصفحة ١٥.

أما أنّ القرآن فيه تحريف أو تزوير، فهذا رأيه ورأي صاحبه عبد الله بن سبأ وليس رأي الشيعة.

أما لعنهم الخلفاء الراشدين والسيدة عائشة (رض). فهم لا يلعنونهم، بل يفضلون عليّ وأهل بيته عليهم.

أما أنّ مؤسّس التشيع والشيعة هو عبد الله بن سبأ!

فيستطيع القارىء العودة إلى هذا الموضوع في كتابنا هذا، وسيجد أن الدكتور محمد عبد المنعم بري يتفّق تمام الاتفاق معه لأنه كما يبدو من سلالة عبد الله بن سبأ، والشيعة والتشيع منهما براء.

وليس من الضروري أن يلصق بالفكر الشيعي كلّ ما هبّ ودبّ. فالإسلام الشيعي هو الإسلام الصافي الخالص من الأدران، إسلام القرآن والسنّة، إسلام أهل بيت النبي وعترته الطاهرة. وهو مبثوث في كلّ المراسيم والبيانات والسجلات والخطابات التي أصدرها الخلفاء الفاطميون. ويستطيع القارىء العودة إليها والتأكد من هو المسلم الحقيقي. المسلمون الشيعة في كلّ عصر ومصر أم الدكتور محمد عبد المنعم بري وحزبه.

قتل الشيعة:

يقول النويري: إن السلطان بركياروق السلجوقي أمر جنوده سنة ٤٨٤هـ، «بقتل (الشيعة)، وركب هو والعسكر، وطلبوهم، وأخذوا جماعة ممن كان وافقهم فلم يفلت منهم إلا من لم يعرف»[1].

---

(١) راجع: نهاية الأرب، للنويري، الجزء ٢٦، ط ١، القاهرة الهيئة العامة المصرية للنشر، سنة ١٩٨٥، ص ٣٥٤.

رغم أن النويري قال: «إنّ أمرهم زاد حتى كادوا يستظهرون بالكثرة والقوة، وصاروا يتهدّدون من لم يوافق مذهبهم بالفتك». وعندما يتابع شارحاً من هم المهدّدون بالفتك نتفاجيء بقوله: «وانتهى الحال إلى أنّ الأمراء ما بقي منهم من يجسر أن يمشي حاسراً إلا بدرع تحت ثيابه، حتى الوزير الأعزّ كان يلبس زردية تحت ثيابه».

فنستنتج أنّ الشيعة الإسماعلية كانوا يخوّفون الأمراء والوزراء فقط، ولم تكن العامة تخشاهم أو تخاف منهم، وذلك لأنّ الخلاف كان سياسياً وليس دينياً ومذهبياً.

نماذج حية عن قتل الشيعة الإسماعيلية:

يحدّثنا ثابت بن سنان أنه سنة ٢٩١ للهجرة قام الخليفة المكتفي ونادي في الأسواق طالباً من الناس الحضور لمشاهدة أساليب التعذيب والقتل الذي سيحلّ «بالقرامطة، ففعلوا وكثر الناس وحضر القواد. وحضر أحمد بن محمّد الواثقي المتقلّد للشرطة، وحضر محمد بن سليمان، فقعدوا جميعاً. وأحضروا ثلاثمائة وعشرين إنساناً ونيّفاً، ممن كان أُسر قديماً، ومن جاء به محمد بن سليمان، وأحضر القرمطي (الحسين بن زكروية)، والمُدَثّر، فأُقعِدا وقدمّ نيّف وثلاثون إنساناً من هؤلاء الأسارى من وجوههم، فقطعت أيديهم وأرجلهم، وضربت أعناقهم. ثم قُدِّم القرمطي فضرب مائتي سوط، ورُشّ على مكان الضرب، الزيت المغلي، وكوي بالجمر، ثم قطعت يداه ورجلاه وضُربت عُنُقُه. فلما قُتل، انصرف القوّاد وأكثرُ الناس

ممن حضر للنظر إلى عذاب القرمطي. أما قائد الشرطة، الواثقي، أقام إلى آخر وقت العشاء، حتى تمّ ضرب أعناق باقي الأسارى»[1].

ويذكرنا هذا المشهد الذي ما زال يتكرّر حتى اليوم بمشهد المصارعين أيام الرومان الذين كانوا من العبيد ويدفعهم الحكام للتقاتل حتى الموت وهم يشاهدونهم يصرعون بعضهم البعض ويتلذّذون بمشهد موتهم واحداً تلو الآخر. وهكذا كان داب المسلمين الشيعة منذ، بيعة السقيفة وحرب صفين وكربلاء، حتى اليوم.

أسماء العلماء المقتولين من قبل الفاطميين:

ولشدّة ما نزل بأهل البيت من قتل وظلم وسجن وتشريد قبل أبي الفرج الأصبهاني، دفعه هذا الأمر لتاليف كتاب في مقاتلهم. وكيف ولو ظهر أبو الفرج في القرن الثالث الهجري، لكان ألّف المجلدات في مقاتلهم، وليس مجلّداً واحداً.

ولو كان هؤلاء المؤرّخون المتعصّبون على الخلفاء الفاطميين يملكون معلومات عن أشخاص قتلوا أو اضطهدوا من قبل الفاطميّن بسبب عقيدتهم الإسلامية السنّية، لكانوا ألّفوا المؤلّفات فيها. ولكنّي تصفحت كلّ هذه الكتب، فلم أجد فقيهاً قتل، أو شرّد، بسبب انتمائه المذهبي.

ولو كان هناك أسماء، لكان المؤرّخون المعارضون للوجود

---

(١) تاريخ أخبار القرامطة، ثابت بن سنان بن قرة الصابي، ط ١، بيروت، دار الأمانة، سنة ١٩٧٢، ص ٨٠.

الفاطمي ومؤرخّو الأكراد، ذكروها بالاسم، وذكروا الظروف التي أدّت إلى قتلهم، وعلى يد من من الخلفاء قتلوا؟ وكيف قتلوا؟.

فتوى ابن تيمية بالإسماعيلية والدروز والشيعة الاثني عشرية؟

تسبّبت فتوى ابن تيمية للإسماعيلية ولكل فرق الشيعة في بر الشام، الدمار والخراب والقتل والتشريد، فاعتصم الشيعة الإسماعيلية الدروز في جبل لبنان وجبل الدروز واعتصم الإسماعيلية النصيرية بجبال سلمية واعتصم الشيعة الإمامية الاثني عشرية بجبال العلويين وجبال عاملة، ورغم كلّ هذه الاعتصامات استطاع الأكراد الأيوبيون والمماليك من ذبحهم وتشريدهم وقتلهم ولم ينج منهم إلا من كتب الله له النجاة.

وقد جاء بهذه الفتوى بخط يده:

«هؤلاء القوم الموصوفون المسمّون بالنصيرية، هم وسائر أصناف القرامطة الباطنية أكفر من اليهود والنصارى، فإن هؤلاء يتظاهرون بالتشيّع وموالاة أهل البيت، وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ولا برسوله ولا بكتابه ولا ثواب ولا عقاب ولا جنة ولا نار.

ولهم ألقاب معروفة عند المسلمين: تارة يسمون الملاحدة، وتارة يسمّون الإسماعيلية، وتارة يسمّون القرامطة، وشرح مقاصدهم يطول.

ومنهم من يكتب اسم الله تعالى في أسفل رجله ومنهم من يستهزىء بالصلاة والزكاة والصوم والحج ويحلل نكاح ذوات المحارم وسائر الفرائض وقد اتفق علماء الإسلام على أنّ مثل هؤلاء لا تجوز مناكحتهم ولا تباح ذبائحهم.

أما أوانيهم وملابسهم فكأواني المجوس وملابس المجوس، ولا تستعمل إلاّ بعد غسلها.

ولا يجوز دفنهم في مقابر المسلمين، ولا يصلّى على من مات منهم أبداً.

أما استخدامهم في ثغور المسلمين وحصونهم فهو من الكبائر، فإنّهم من أغشّ الناس. وهم من أحرص الناس على تسليم الحصون إلى أعداء المسلمين ودماؤهم وأموالهم مستباحة حتى ولو أظهروا التوبة»[1].

ترى هل إذا استرجعنا قراءة صلوات وسجلات وخطب وبيانات الأئمة الخلفاء المصريين الإسماعيليين نجد ما وصفه بهم ابن تيميّة؟.

هامش الحرية:

وقال الباحث عبد الرحمن زكي أنّ جوهراً الصقلي «لم يلجأ إلى وسائل الشدّة والعنف في نشر المذهب الفاطمي، وإنما اتبع الوسائل السلمية، فاعتمد على المسجد الذي اتخذه أشبه بمدرسة يتلقّى فيه الأهالي تعاليم هذا المذهب. دون أن يفرض على أحد اعتناقه. فقد أنشأ الجامع الأزهر ليكون مركزاً لتعليم المذهب الفاطمي، حتى لا يضايق المصريين السنيين في شعورهم الديني في المساجد الأخرى. وهذا التسامح لم يصرف جوهراً عن الغرض الأول من سياسة الفواطم، وهو تعميم مذهبهم بين المصريين وغيرهم. فقد

---

(١) مذاهب الإسلاميين، عبد الرحمن بدوي، ط ١، بيروت، دار العلم للملايين، سنة ١٩٩٦، ص ١٢٠٠.

لجأ في جذبهم إليه بالوسائل المادية. وذلك بإسناد مناصب الدولة الهامة إلى معتنقي هذا المذهب»[1].

أما الشيعة في عهد صلاح الدين الأيوبي وبعده وبفتوى ابن تيمية الشهيرة، التي تعتبر كلّ من لا يكون مسلماً سنّياً، بأنه ملحد، فقد قتل منهم مئات الآلاف ومُثّل بهم وكتب التاريخ مليئة بأخبار المذابح التي حلّت بهم.

الفقهاء السنة يطردون الفقيه الشيعي من جامع الأزهر في عهد الخليفة العزيز بالله:

لقد أطلنا البحث عن هامش الحرية الذي كان يتمتّع به الشعب المصري في ظل الحكم الإسلامي الفاطمي، وقد نقل محمد كامل حسين عن الكندي أنّ الفاطميين سمحوا لبعض فقهاء أهل السنّة أن يلقي دروسه وتعاليمه في الجامع الأزهر. «وفي سنة ٣٨٣ هـ، رتّب رجل جعفري للجلوس في الجامع للفتوى على مذهب أهل البيت، فشغب عليه الفقهاء السنّة من أهل الجامع، فبلغ ذلك قاضي القضاة، فقبض عليهم».

ويعقبّ الباحث محمد كامل حسين على هذا الخبر بقوله: «فمن هنا نستطيع أن نتبيّن أنه، كان بالجامع الأزهر، فقهاء يخالفون العقيدة الفاطمية، وأنّهم كانوا يفتون على حسب مذهبهم وعقيدتهم. فلما جاء هذا الفقيه للفتيا على المذهب الفاطمي، شغبوا عليه فاضطرّ

---

(١) بناة القاهرة، عبد الرحمن زكي، ط ١، القاهرة، المكتبة الثقافية، سنة ١٩٦٩، ص ١٠.

القاضي إلى أن يقبض على بعضهم، لا لشيء سوى أنّهم لم يتسامحوا مع هذا الفقيه، مثل ما تسامحت الدولة معهم»[1].

ويحدّثنا محمد كامل حسين أيضاً، عن أن مصر شاهدت في العصر الفاطمي عدداً من فقهاء الشافعية والمالكية. وأخبرنا عن إقامة عبد السلام بن محمد بن بندار، أبو يوسف القزويني، شيخ المعتزلة، بمصر أربعين سنة، «يلقي تعاليمه التي تخالف تعاليم الفاطميين».

ويقول كامل حسين أيضاً: «وتسامح الفاطميون مع العلماء الذين لم يعتنقوا مذهبهم، بل كانوا متسامحين مع أصحاب الأديان غير الإسلامية أيضاً[2].

آراء أخرى معاصرة:

ويقول محمد أبو الفضل إبراهيم:

«إن الدولة الفاطمية، كانت من أعظم الدول، وكان لها تاريخ حافل، ولخلفائها في الحضارة الإسلامية أثر بعيد، فهم الذين أسّسوا القاهرة، المُعزّية. فكانت قبّة الإسلام وحاضرة الأنام، وغُرّة جبين الزمان. أنشأوا الجامع الأزهر، فكان منبعاً للعلوم الإسلامية ومنارة للمعارف والآداب على مرّ الزمان. كما أقاموا دور الكتب والخزائن. وجلبوا إليها الكتب والأسفار. وأرصدوا لها الأموال. وأعدّوا لطلاّب المعرفة القوّام والنسّاخ. وهوت إليها أفئدة العلماء من شتّى الجهات. ينهلون العلم من

---

(١) أدب مصر الفاطمية، م.س. ص ٤٥.

(٢) راجع: م.س. نفسه، ص ٩١.

أعذب مورد وأصفاه. هذا إلى ما كان لهم من أثر في بناء المساجد والقصور والبساتين في جنبات القاهرة وعلى ضفاف النيل. وما تجرّدت له همّتهم من إعداد الجيوش، وإنشاء الأساطيل، تجوب المياه، فضلاً عما كان لهم من عادات في المواسم والأعياد، تميّزت بها دولتهم، وما زالت تتّصل بحياتنا الاجتماعية حتى اليوم»[1].

عندما تحدّثنا عن تميّز الخلفاء المصريين بالأخلاق المميّزة أشرنا إلى رأي عباس محمود العقّاد المدافع عن الفاطميين وإلى انبهاره بحضارتهم.

وزكي حسن يرى أنّ «زمن الفاطميين من أزهى عصور الفن الإسلامي».

ويرى محمد حمدي المناوي «أنّ الفاطميين، كانت سياستهم مبنية على التسامح الديني، حتى أنّ الوزراء وهم أكبر موظّفي الدولة، لم يكونوا كلّهم مسلمين، فكان منهم الذميّون، كما لم يكن كلّ المسلمين إسماعيليّ المذهب، فكان منهم السنيّون أو من الشيعة الإمامية»[2].

ويقول عبد المنعم حماده: «وقد بلغت مصر في عهد الخلفاء الفاطميين شأواً بعيداً من التقدم. ونالت درجة سامية من حضارة العصور الوسطى، وغدت أعظم دولة في ذلك الوقت. فقد ارتقت فيها العلوم والفنون والآداب والعمارة. ولا يزال التاريخ يحدّثنا حتى الآن

---

(١) اتعاظ الحنفا، الجزء الأول، هامش ص ٦.

(٢) الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي. م.س، ص ٣١٤.

عن كثير من الأسماء التي لمعت وكان لها أثر واضح وعميق في الاتجاهات العلمية والفنية[1].

ويقول محمود مصطفى عن دولتهم أنها: «كانت غنية مؤثّلة الغنى قبل حضورها إلى مصر، وكانت لهم دور بالقاهرة يختزنون فيها أدوات الترف ويسمّونها «الخزائن. وكان خلفاء هذه الدولة عرباً فيهم السماحة والكرم وكانت لهم أريحيّة العربي: يهتز لسماع المديح فيجود بما استطاع»[2].

أما محمد كامل حسين فهو يرى أنّ ما رمى به المؤرّخون والكتّاب، الفاطميين من «إيمانهم بالإباحة المطلقة والقول بالتناسخ والحلول، إلى غير ذلك من الاتهامات التي أظهر البحث الحديث أنّ الفاطميين براء منها». وفرّق محمد كامل حسين بين الخلفاء المصريين وبين الدعاة الذين خرجوا عن المذهب الإسماعيلي، أمثال علي بن الفضل وأحمد بن الكيال والقرامطة وأشار إلى إقدام الفاطميين الإسماعيليين على محاربة هؤلاء الخوارج[3].

أما صالح الورداني فهو يشبّه قضاء الرئيس جمال عبد الناصر على الأخوان المسلمين كإقدام صلاح الدين الأيوبي على حرق الشيعة ونفيهم وحرق كتبهم ومكتباتهم، ولا أظنّ أنّ هناك تشابها في الأمرين[4].

---

(١) راجع: مصر والفتح الإسلامي، م.س. ص ١٤٦.

(٢) راجع: الأدب العربي بمصر، محمود مصطفى، م.س. ص ٢١١.

(٣) في أدب مصر الفاطمية، م.س. ص ٣٤.

(٤) راجع:الشيعة في مصر، صالح الورداني، ط ١، القاهرة، مكتبة مدبولي، سنة ١٩٩٣، ص ٧٩.

ويقول محمد عبد الله عنان: «إن عصر الدولة الفاطمية بمصر كان من أزهى العصور، يجتمع فيه الكثير من أسباب العظمة والقوّة والبهاء، وكانت هذه الدولة الشامخة التي قامت تمثّل زعامة الإسلام والخلافة في ظروف دينية، وسياسية خاصة، أشد الدول الإسلامية حرصاً على أن تطبع الشعب والمجتمع بطابعها الخاص، فنرى الحياة الاجتماعية المصرية في العصر الفاطمي تتخّذ صوراً ومظاهر خاصة، وتتقلّب بين ألوان من البذخ والترف والبهاء، قلّ أن نجدها في عصر آخر من عصور مصر الإسلامية. وقد كانت هذه الحياة الاجتماعية الباهرة والمغرقة معاً، مرآة الدولة الفاطمية، وتشعّ بكثير من خواص قوّتها وفخامتها وبهائها، وكان الشعب المصري على تحفّظه، يشهد بمرحه المأثور، هذا الفيض الفاطمي من البذخ والترف والبهاء، بإعجاب وحماسة. ويتابع عنان قائلاً: أجل كانت مواكب الخلافة الفاطمية، وحفلاتها الرسمية والشعبية، ورسومها الفخمة ومآدبها الشهيرة، وبذخها المأثور، أياماً ومواقف مشهودة، تثير من حولها أيما إجلال وروعة. وكانت أعيادها ومواسمها الباهرة، ولياليها الساطعة، مثار البهجة والفرح العام»[1]. علماً أنه له رأي آخر نقيض هذا الرأي.

أما الشيخ محمد زاهد الكوثري كتب مقدمة لكتاب كشف أسرار الباطنية لابن أبي الفضائل وقال عن الفاطميين بأنهم سلّطوا الروم والأرمن والصقالبة على المسلمين وادعوا الألوهية وأظهروا الإلحاد علناً وفتحوا باب الاستيلاء للصليبيين على بلاد الإسلام وذكر أن

---

(١) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية، م.س. ص ٣٤٩.

أهون شيء شراء شجرة نسب مزورة. وضرب مثلاً على ذلك بإقدام نقيب الأشراف عمر مكرم أيام محمد علي باشا، على بيعه أنساباً إلى الأقباط واليهود، وإدخالهم في شجرة النسب الطالبي، مما دفع الخليفة العثماني إلى إقصائه عن النقابة.«وكل من يدعي انتساب العبيديين إلى علي، كرّم الله وجهه، متساهل في البحث والتحقيق، مقبل على كلّ من هبّ ودبّ»[1].

ويقول أيمن فؤاد سيّد أنّ: «الدولة الفاطمية نموذج منفرد في التاريخ الإسلامي لم يتكرّر على الإطلاق»[2].

وبعد استعراض هذا العدد الكبير من آراء المؤرّخين المتقدّمين والمتأخّرين في الفاطميين والدولة الفاطمية، نجد أنّهم وقفوا موقفين متناقضين متباعدين، موقف الرافض والمعارض وهو الموقف المبنّى على الأصولية المذهبية، التي أعمت بصرهم وبصيرتهم، والموقف المحايد أو المؤيد حيث بنى هؤلاء المؤرّخون موقفهم الوسطي المحايد أو المؤيّد على الإنتاج الفكري والمادي الذي تركه الفاطميون على أرض الواقع.

والذي يثير الانتباه والدهشة أنّ كلّ هؤلاء المؤرّخين هم من الإسلام السنّة، حيث لم يترك الأيوبيّون ومن بعدهم المماليك أي أثر مكتوب مؤيّد للفاطميين. ولولا بعض المؤرّخين المصريين المتأخّرين، أمثال أحمد بن علي المقريزي وأبي المحاسن ابن تغري بردي، لكان

---

(١) راجع: كشف أسرار الباطنية، م.س. المقدمة، ص ٦.

(٢) الدولة الفاطمية في مصر، م.س. ص ٧٤٧.

أثر وتاريخ أهم حقبة من حقبات التاريخ المصري والإسلامي في طي النسيان ونفق المجهول.

أما حالة مصر بعد الفاطميين، فقد وصفها الشاعر أبو بكر التيفاشي المتوفي سنة ٦٥١ هجرية بقوله:

قد كان للماضين من أرباب مصر هِمَمُ
فالفضل عنهم فضلةٌ والعلم فيهم عَلَمُ
إن انقضت أعلامهم وعلمهم وانصرموا
فاليوم مصرُ عَدَمٌ إن كان يُرجى العَدَمُ
وانظر تراها ظاهراً بادٍ عليها الهَرَمُ

وفي خاتمة البحث لا أستطيع إلا أن أشير إلى أنّ ٩٥٪ من الشعراء والأدباء والفلاسفة العظماء في تاريخ أمتنا العربية هم مسلمون شيعة. فإذا رفضناهم رفضنا تاريخنا القومي المشرق والمضيء.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

نداء إلى المثقفين المصريين:

بعد انتهائي من كتابة ما كتبته عن حضارة مصر في ظل الإسلام الشيعي، حاولت أن أعرف نظرة المصريين إلى هذه الحقبة المشعّة من تاريخهم وتاريخ الشرق الإسلامي ـ المسيحي، والتي زادت عن القرنين من الزمن، فاطلعت على كتب التاريخ المدرسية التي تدرّس في المدارس المصرية، فوجدت أنّ الدولة المصرية حصرت تاريخ هذين القرنين بأربع صفحات فقط، وكأنّ الخلفاء المصريين، هم أمركيّون أو صليبّيون، أي أنّ الحكومات المصرية المتعاقبة، استمرت تعمل على طمس تاريخها المشّع والمشرّف، أو

بالأحرى استمرّت توافق على الجريمة التي ارتكبها الأكراد الأيوبيون بحق مصر والشعب المصري، وشارك فيها أدعياؤهم المماليك ومن بعدهم العثمانيون الأتراك والمستعمرون الإنكليز.

ومن واجب مثقفي مصر، إعادة النظر بهذا الموقف وفتح ملف هذه الجريمة بحق التاريخ الإسلامي المسيحي المشرقي المشرّف ودعوة علماء ومؤرّخي الإسلام والمسيحية المشرقية، إلى إزالة الظلم عن هذه الفئة المسلمة، ومن ثم إبطال فتوى ابن تيميّة بحقّهم، وفتاوى من تبعه من العلماء المتأخرين. وإعادة الاعتبار لكلّ من ساهم في السابق، ويساهم في الدفاع عن المسجد الأقصى وكنيسة القيامة وكل مقدّساتنا وأرضنا السليبة في فلسطين.

وهذه صورة عن ما يتعلّمه الطالب المصري عن تاريخه خلال مائتي سنة:

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

أصل الفاطميين[1]:

ينتسب الفاطميون إلى السيدة فاطمة الزهراء بنت الرسول ﷺ، وزوجة علي بن أبي طالب. والفاطميون يدينون بالإسلام على المذهب الشّيعي، الذي يدعو إلى أن يكون حكم المسلمين محصوراً في أولاد علي بن أبي طالب وأحفاده من بعده.

نجح الفاطميون في نشر دعوتهم في شمال إفريقية، فأقاموا دولة شيعية لهم في ولاية إفريقية (تونس الحالية).

---

(١) كتاب التاريخ للصف الثاني، إعدادي، الدرس الثالث، ص٥٦.

اهتمام الفاطميين بفتح مصر:

عمل الفاطميون على فتح مصر ونقل الخلافة الفاطمية إليها للأسباب التالية:

١ ـ ثروة مصر الاقتصادية وغناها مما يدعم الفاطميين ويزيدهم قوة.

٢ ـ موقعها الجغرافي الممتاز بين بلاد المشرق الإسلامي وبلاد المغرب الإسلامي.

جوهر الصقلي وفتح مصر (٣٥٨ هـ ـ ٩٦٩ م):

بدأ المعز لدين الله الفاطمي رابع الخلفاء الفاطميين في شمال إفريقية في حفر الآبار على طول الطريق من تونس إلى الإسكندرية، وبتخزين المؤن والذخائر، ثم وجه جوهر الصقلي ـ نسبة إلى جزيرة صقلية التي نشأ بها، وكانت تابعة للمسلمين ـ على رأس جيش بلغ مائة ألف مقاتل لفتح مصر، ووصل جوهر الإسكندرية. واستولى عليها، وسار إلى الفُسطاط، ودخلها بعد مقاومة أهلها له.

بناء القاهرة والجامع الأزهر:

كان أول عمل قام به جوهر الصقلي وضع الأساس لإنشاء مدينة جديدة، سميت «القاهرة»، كما وضع أساس قصر الخليفة المعز. وفي العام التالي (٣٥٩ هـ) شرع جوهر في بناء الجامع الأزهر، واستغرق بناؤه سنتين تقريباً، وكان الهدف من إنشاء هذا الجامع نشر عقائد المذهب الشيعي.

القاهرة مركز الخلافة الفاطمية:

بعد أن أتم جوهر الصقلي بناء مدينة القاهرة وتأسيس الجامع الأزهر، أرسل إلى الخليفة المعزّ لدين الله يطلب إليه الحضور للقاهرة، فحضر إليها سنة ٣٦٢ هـ (٩٧٢م). وقد أصبحت القاهرة، منذ ذلك الحين، عاصمة ومركز الخلافة الفاطمية، ويعتبر الخليفة المُعِزّ لدين الله أول الخُلفاء الفاطميين في مصر.

اتسعت الدولة الفاطمية حتى شملت بلاد الشام والحجاز واليمن، بالإضافة إلى مصر وبلاد المغرب.

العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦ هـ = ٩٧٥ ـ ٩٩٦م):

كان عهده عهد يسر ورخاء وتسامح ديني، وقد تحول الجامع الأزهر في عهده إلى جامعة بمعناها المعروف الآن، بعد أن كان معهداً خاصاً بتدريس المذهب الشيعي وإقامة الصلاة.

الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ = ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م):

أنشأ دار الحكمة التي كان يعمل بها كثير من العلماء في مختلف فروع العلم والمعرفة، والحق بها مكتبة ضخمة، سميت دار العلم، ضمت كثيراً من أشهر الكتب في مصر والعالم الإسلامي.

المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ = ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤ م):

كان المستنصر أطول الخلفاء عهداً، فقد حكم ستين عاماً، نعمت البلاد في أوائلها بالرخاء، غير أن مصر في أواخر عهده تعرّضت لما

عرف بالشدة العظمى؛ حيث انخفض منسوب النيل، وتدهورت الزراعة. واشتد الغلاء، وانتشرت المجاعات والأوبئة، واستمرّت هذه الأحوال سبع سنوات، مما اضطر الخليفة المستنصر إلى الاستعانة بحاكم عكا، وهو بدر الجمالي فأعاد الأمن وتحسّنت الزراعة، وحصن بدر الجمالي مدينة القاهرة، وأحاطها بسور ضخم.

نهاية الدولة الفاطمية:

وتولى الخلافة بعد المستنصر، خلفاء ضعاف، تدهورت أحوال الدولة الفاطمية في عهدهم، حتى أنها لم تستطع صد الصليبيين، الذين أغاروا على بلاد الشام التابعة للدولة الفاطمية، واستولوا على بيت المقدس وصاروا يتطلّعون إلى الاستيلاء على مصر، وازداد الموقف سوءاً في الدولة الفاطمية حين تنافس شاور، وضرغام على منصب الوزارة، واستنجد كلّ منهما بقوي خارجية، فاستنجد شاور بـ نور الدين محمود سلطان حلب، واستنجد ضرغام بالصليبيين في بيت المقدس.

وانتهز كلّ منهما الفرصة، وبادر بإرسال الجيوش لنجدة حليفه، وكان جيش نور الدين محمود الذي أرسله إلى مصر بقيادة أسد الدين شيركوه وابن أخيه صلاح الدين يوسف ابن أيوب، وتم النصر لجيوش نور الدين بقيادة شيركوه، واضطر الخليفة العاضد (٥٥٥ ـ ٥٦٧ هـ = ١١٦٠ ـ ١١٧١م) آخر الخلفاء الفاطميين أن يعين شيركوه وزيراً، ولكنه توفي بعد قليل، فأسند الخليفة الفاطمي الوزارة إلى الشاب صلاح الدين، وهكذا بدأت طلائع الدولة الأيوبية في الظهور بمصر.

حضارة مصر في عصر الخلفاء الفاطميين:

نظم الحكم والإدارة:

الخلافة: أصبحت مصر مقر الخلافة الفاطمية الشيعية، واتبع الفاطميون نظام الوراثة في الحكم، وعهدوا إلى أبنائهم بولاية العهد. وكان الخلفاء الفاطميون الأوائل مصدر جميع السلطات، يعاونهم الوزراء وكبار الموظفين وولاة الأقاليم.

الوزارة: كان الوزراء في العصر الفاطمي الأول ينفذون أوامر الخليفة. ولما ضعف الخلفاء في العصر الفاطمي الثاني، قوي نفوذ الوزراء حتى أطلق على هذا العصر عصر الوزراء العظام، وصار في أيديهم تعيين الخلفاء أنفسه وعزلهم، ومن أشهر هؤلاء الوزراء بدر الجمالي.

النظام الإداري: أخذ الفاطميون منذ فتحهم لمصر يعملون على إحلال العناصر الشيعية محل العناصر السنية في المناصب الهامة، وكانت مصر في عهدهم مقسمة إلى اثنى عشر قسماً إدارياً، يتولى كلّ منها والٍ، مهمته إدارة شؤون منطقته، وكانت توجد عدة دواوين، على رأس كلّ منها موظف كبير، منها ديوان الجيش، وديوان الأحباس، ويشبه وزارة الأوقاف الآن، وديوان الرواتب وغيرها.

الجيش والأسطول: اهتم الفاطميون بإعداد جيش قوي، يحمي دولتهم في المشرق والمغرب، وكان الجنود ينظمون في فرق عسكرية، تسمى الواحدة منها باسم أحد الخلفاء أو الوزراء. وكان الخلفاء الفاطميون يقومون بتوديع الحملات الحربية المتجهة إلى بلاد الشام وفلسطين، بصفة خاصة.

أما الأسطول.. فقد عمل الفاطميون على تقويته لدرء أخطار الأسطول البيزنطي وتهديده للمدن الساحلية ببلاد الشام، فأنشأ المُعزّ لدين الله داراً لصناعة السفن بالمقس، كما كانت تصنع المراكب الحربية في عهده وعهد خلفائه بدمياط والإسكندرية، وكانت بعض وحدات الأسطول الفاطمي ترابط في عكا وصور وعسقلان، كما أقاموا في عيذاب على البحر الأحمر قاعدة بحرية كبيرة. وكان قائد الأسطول يطلق عليه قائد القواد أو أمير الأسطول.

الحياة الاقتصادية:

الزراعة: تركت الدول الفاطمية للفلاحين حق امتلاك الأرض، وحصلت منهم الضرائب، واهتم الفاطميون بشق الترع وتنظيم الري وإنشاء الجسور، وكانت ضرائب الأرض تجبى بطريقة الالتزام، وكان كثير من الخلفاء يوجهون العناية بالفلاحين وينظرون في شكاواهم عن جباية الضرائب.

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

وظلّت أحوال مصر الزراعية في انتعاش مستمر حتى حلت بالبلاد الشدة العظمى في عهد الخليفة المستنصر، فقلّت مساحة الارض الزراعية إلى حد كبير.

الصناعة: اشتهر المصريون في ذلك العهد بالمهارة؛ خاصة في صناعة المنسوجات، وبنى المُعِزّ لدين الله دار الكسوة، التي كانت تعد الملابس لموظفي الدولة على اختلاف مراتبهم صيفاً وشتاء، وكان اسم الخليفة ينقش على قطع النسيج، وفي عهد المُعِزّ كان

المصريون يصنعون الكسوة للكعبة المشرفة، وكانت تقام الاحتفالات كلّ عام، وحتى عهد قريب كانت مصر تقوم بإرسال كسوة الكعبة إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة. كما عنى المصريون في العصر الفاطمي بصناعة المعادن، لا سيما صناعة الذهب والفضة وصناعة الأواني الخزفية والزجاجية.

التجارة: كانت صادرات مصر في عهد الفاطميين تنقل إلى القلزم (السويس) ومنها بحراً إلى بلاد الشرق، وفي عهد الخليفة المستنصر بالله تحول طريق التجارة والحج إلى ميناء عيذاب على البحر الأحمر، وكانت تصل إلى ميناء عيذاب بعض أنواع البهار كالقرفة والفلفل والبخور وغيرها من منتجات الهند والحبشة، وكانت مصر تفرض الضرائب الجمركية على هذه الواردات. ونشطت حركة التجارة في البحر المتوسط مع المدن التجارية الإيطالية.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الحياة الاجتماعية:

تكون المجتمع في عصر الفاطميين من طبقة أهالي البلاد الأصليين، ويكونون السواد الأعظم من السكان، وطبقة المغاربة الذين كونوا الجيش الذي أسس الدولة الفاطمية ببلاد المغرب، وكانوا يدينون بالمذهب الشيعي، وطبقة الأتراك الذين كثر عددهم في مصر منذ أيام الطولونيين، وكذلك كثر عدد السودانيين أيام الخليفة المستنصر لأن أمه كانت من السودان. وعامل الفاطميون أهل الذمة من النصارى واليهود بالعطف والرعاية، وتقلّد بعضهم منصب الوزارة.

الأعياد والمواسم:

بالغ الفاطميون في الاحتفال بالمواسم والأعياد الإسلامية، مثل: يوم عاشوراء، وهو ذكرى استشهاد الحسين، ومولد النبي ﷺ، وليلة النصف من شعبان، وإحياء ليالي رمضان، وعيد الفطر، وعيد الأضحى. وصنع الفاطميون العرائس من السكر، كما صنعوا الحلوى السمسمية والسكرية وغيرها، ولا يزال المصريون يصنعونها حتى الآن. كما اهتموا بإحياء المواسم المصرية القديمة، مثل: عيد وفاء النيل، وكانت الحكومة توزع الرواتب الإضافية على موظفيها احتفالاً بهذا العيد القومي.

الحياة الثقافية والفكرية:

كانت المساجد مراكز ثقافية، وعمل العزيز بالله على تحويل الجامع الأزهر إلى جامعة، يدرس فيها الفقه الشيعي، والعلوم من لغة وطب ورياضة، ووفر الفاطميون للطلاب الوافدين من جميع أنحاء العالم الإسلامي المسكن والملبس، وأنشأوا بالأزهر مكتبة ضخمة، بها مخطوطات في جميع العلوم.

اتخذ الفاطميون من قصورهم مراكز لنشر الثقافة الشيعية بصفة خاصة، وألحقوا بها مكتبات، تحتوي على مئات الألوف من الكتب مثل مكتبة القصر الشرقي، التي أنشأها الخليفة المُعِزّ لدين الله.

الطب: وكان الطب يدرس في المارستانات، وهي تشبه كليات الطب في أيامنا، وكان يتخرج فيها الأطباء. ومن الأطباء الذين اشتهروا في ذلك العصر علي بن رضوان، الذي نبغ في الطب في عهد الخليفة العزيز.

الرياضيات: ومن أشهر الرياضيين في عهد الفاطميين، الحسن بن الهيثم، الذي نشأ بالبصرة بالعراق، وانتقل إلى مصر في عهد الخليفة الحاكم. وألّف ابن الهيثم كتباً كثيرة في العلوم المختلفة، ومنها الرياضيات التي ألّف فيها وحدها خمسة وعشرين كتاباً.

الفلك: اهتم الفاطميون بعلم الفلك، وأنشأ الحاكم رصداً (مرصداً) بسفح جبل المقطّم كان يطلق عليه الرصد الحاكمي.

التاريخ: ونبغ في التاريخ طائفة من المؤرّخين، منهم الحسن بن زولاق المصري (٣٠٦ ـ ٣٨٧ هـ)، وهو حجّة في تاريخ العصر الفاطمي الأول.

الشعر: ومن الشعراء الذين علا ذكرهم في العصر الفاطمي أبو حامد الأنطاكي، الذي أقام بمصر زمناً طويلاً، وعمارة اليمني، ولهما قصائد مطولة في مدح الفاطميين.

الآثار والعمارة الإسلامية: حفل العصر الفاطمي بكثير من المنشآت، أهمها:

القاهرة: أحيطت القاهرة بسور كبير من الطوب اللبن، وكانت لها عدة أبواب، منها: باب زويلة وباب النصر وباب الفتوح.

القصر الشرقي: بناه جوهر الصقلي للخليفة المعز، وكان مقر الحكومة الفاطمية، وبه مئات الحجرات.

القصر الغربي: بناهُ الخليفة العزيز أمام القصر الشرقي، وكان بين القصرين فضاء متسع، أطلق عليه فيما بعد بين القصرين.

وبنى الفاطميون في القاهرة الجامع الأزهر، وهو أشهر جامع في العالم الإسلامي. وبنى بدرُ الجمالي جامعاً فخماً على جبل المقطم، عرف باسم جامع الجيوشي.

ما هو المطلوب؟

لقد استطاعت المدنية الغربية أو الحضارة القائمة على الحرية الاقتصادية أو حضارة التحلل الجنسي وحرية تعاطي المخدرات أن تهزم النظام الشيوعي وتحطّم الاتحاد السوفياتي سلماً.

وبعد سقوط الاتحاد السوفياتي عسكرياً واقتصادياً تحت قبضة الأميركان، تحول الصراع الحضاري بين الولايات المتحدة الأميركية ولا أقول دول الغرب، وبين الحضارة المشرقية الإسلامية المسيحية، فحاولت الولايات المتحدة السيطرة على المشارقة من خلال تصدير فكرة العولمة، لكن الشعوب الشرقية لم تهضمها أو تتقبّلها بسبب ابتعاد نظام العولمة عن الفكر الروحاني المثالي. فلم تجد أميركا بديلاً لفكرة العلومة إلا العنف المسلح، وكان رأس حربتها إسرائيل وشارون، فكان من نتائج التسلّط الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني الذي أصبح رمز الصمود والتصدي للشيطان الأميركي، قيام تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن بمهاجمة العدو الأميركي في عقر داره وتلقينه درساً ما زال يشكل بعبعاً في عقل وفكر وقلب الإدارة الأميركية، وكان ذلك صبيحة ١١ أيلول سنة ٢٠٠١.

ولكن حضارة الأميركان هي حضارة المجرمين والبغايا والقوّادين، الذين أخرجتهم الدول الأوروبية من سجونها ورمتهم على

الشواطىء الاميركية بعد اكتشاف القارة، تخلصاً من كلفة إطعامهم وخدمتهم في سجونهم.

ولا يعقل أن تنتصر حضارة السفلة والمجرمين والقتلة التي لا تملك من التاريخ الإنساني سوى أربعمائة سنة على حضارة العرب والمسلمين والشرق العربي المسيحي الإسلامي الضاربة جذورها عمقاً في التاريخ لأكثر من عشرة آلاف سنة.

فليطمئن أهلنا، فقد بدأت حضارتنا وثقافتنا وعاداتنا وتقاليدنا تغزو الغرب الأوروبي والأميركي في عقر داره. وكما هزمنا التتار وجبروتهم العسكري بفكرنا كذلك سنهزم الجبروت العسكري الأميركي بحضارتنا وقيمنا، ولينطلق علماؤنا ومشايخنا وأبناؤنا لتبليغ وبثّ عاداتنا وتقاليدنا في صفوف شعوبهم التي، هم جعلوا منها صفحة بيضاء ساذجة تنتظر أي حامل فكر ليخطّ خطّه عليها.

لقد كشّر جورج بوش عن أنيابه وأعلن الحرب على الإسلام والشرق الإسلامي المسيحي بكامله، وقد ناخ بكلكله على صدور الأفغانيين والعراقيين بعد فشل ضرب العرب بإيران، ولو لم تكن القيادة الإيرانية الجديدة بزعامة السيد الخامنئي قد قطعت الطريق عليه بإفهام جيرانها العرب وإقناعهم بأن لا مطامع لها ولا خلافات معهم، لكان ضرب أبناء المنطقة ببعضهم البعض.

وكما انتصر هولاكو والمغول عسكرياً على الشعوب الإسلامية ولكنه هزم حضارياً وفكرياً، حيث استوعبه المسلمون وأدخلوا أولاده في الدين الإسلامي، كذلك يخاف أصحاب القرار في البنتاغون الأميركي من الهجمة الفكرية الحضارية المشرقية

الإسلامية على حضارة العولمة، لذا اتخذوا من أحداث ١١ أيلول حجة وبدأوا بشنّ الهجمات العسكرية على أفغانستان، بعد أن ذبحوا المسلمين في العراق والبوسنة والهرسك وكوسوفا والجبل الأسود ومقدونيا وكشمير والشيشان وفلسطين وهم يبحثون عن حجة ولو واهية، لضرب المسلمين والعرب في العراق والصومال والسودان وإيران.

إن وحدة المسلمين والمسيحيين في الشرق الإسلامي مطلوبة بعد تأمين وحدة المذاهب الإسلامية، ووحدة هذه المذاهب لا تكون إلا بأن يقبل كلّ طرف الطرف الآخر، ولما كان المسلمون السنّة يُخْرِجون المذاهب الإسلامية الشيعية الأخرى، من زيديه وإسماعيلية ودرزية واثني عشرية من الإسلام، عملاً بفتوى ابن تيمية، فكان من واجب زعماء الإسلام وخاصة خادم الحرمين الشريفين ملك المملكة العربية السعودية، وولي أمر المسلمين، قائد الثورة الإسلامية في إيران، ورئيس جمهورية مصر العربية، دعوة علماء بلادهم للاجتماع وإصدار قرار أو فتوى ببطلان فتوى ابن تيمية، تحضيراً لوحدة إسلامية قوية على غرار وحدة العرب في دولة الإمارات العربية المتحدة، أو الوحدة الأوروبية، على طريق قيام دولة الإسلام الكبرى، التي تقوم حتماً لمجابهة حضارة العولمة حضارة الفلتان الجنسي والإيدز والكوكايين، هذه الحضارة القائمة على استعمال شعوبنا سوقاً استهلاكية فقط، ويكفي أن نقاطع سلعها وبضائعها حتى تتهاوى، فكيف إذا «أعددنا لهم ما استطعنا من قوة ومن رباط الخيل»؟.

وأنهي كتابي بالإشارة إلى لفت نظر القارىء بأنّ الولايات المتحدة الأميركية، حاولت الفصل والإبعاد بين الإسلام الإيراني «الشرير» والإسلام السعودي «السمح»، ولكن الإسلام هو إسلام محمدً (ص) وهو إسلام واحد موّحد، لا فرق فيه بين مسلم سنّي أو مسلم شيعي أو معاهد نصراني.

أين أصبح التشيع في مصر؟

يعرّف علماء الإمامية التشيّع بأنّه موالاة عليّ وأبنائه (ع). ولم يدخلوا في تعريفهم أي عامل يتجاوز العقيدة الإسلامية، بل حصروا التشيع بحبّ علي وبنيه وموالاتهم.

وإذا كان التشيع محصوراً بمحبة أهل البيت وموالاتهم على بقية خلق الله، فالشعب المصري كله من شيعة علي وأهل بيته.

أما التعامي عن كل ما هو مسلم شيعي فاطمي في المسلسلات والأفلام والإنتاج الأدبي والمسرحي فهو استمرار لسياسة جاهلة أصبحت عادة عند كل من حكم مصر والمصريين، فالتاريخ الإسلامي الشيعي المصري مليء بالطرف المشعّة والحكايات الطريفة التي فاقت طرافتها كل قصص وحكايات العصور الإسلامية قاطبة. ويكفي أن تبقى عاصمة مصر هي القاهرة المعزّية، قاهرة المعزّ لدين الله الفاطمي لكي يشار إلى أثر الحضارة المصرية في ظل الإسلام الشيعي في كل زوايا تاريخ مصر وازقتها..

ملحق بأسماء وكنية ومدة حياة وحكم الخلفاء الفاطميين:

الاسم	تاريخ الولادة والوفاة	سنوات الحكم
عبيد الله المهدي	٢٦٠ هـ ـ ٣٢٢ هـ	٢٩٦ هـ ـ ٣٢٢ هـ
القائم بأمر الله	٢٧٧ هـ ـ ٣٣٤ هـ	٣٢٢ هـ ـ ٣٣٤ هـ
المنصور بنصر الله	٣٠٣ هـ ـ ٣٤١ هـ	٣٣٤ هـ ـ ٣٤١ هـ
المعزّ لدين الله	٣١٩ هـ ـ ٣٦٥ هـ	٣٤١ هـ ـ ٣٦٥ هـ
العزيز بالله	٣٤٤ هـ ـ ٣٨٦ هـ	٣٦٥ هـ ـ ٣٨٦ هـ
الحاكم بأمر الله	٣٧٥ هـ ـ ٤١١ هـ	٣٨٦ هـ ـ ٤١١ هـ
الظاهر لإعزاز دين الله	٣٩٥ هـ ـ ٤٢٧ هـ	٤١١ هـ ـ ٤٢٧ هـ
المستنصر بالله	٤٢٠ هـ ـ ٤٨٧ هـ	٤٢٧ هـ ـ ٤٨٧ هـ
المستعلي بالله	٤٦٨ هـ ـ ٤٩٥ هـ	٤٨٧ هـ ـ ٤٩٥ هـ
الآمر لأحكام الله	٤٩٠ هـ ـ ٥٢٤ هـ	٤٩٥ هـ ـ ٥٢٤ هـ
الحافظ لدين الله	٥٠٧ هـ ـ ٥٤٤ هـ	٥٢٤ هـ ـ ٥٤٤ هـ
الظافر بأمر الله	٥٢٧ هـ ـ ٥٤٩ هـ	٥٤٤ هـ ـ ٥٤٩ هـ
الفائز بنصر الله	٥٤٤ هـ ـ ٥٥٥ هـ	٥٤٩ هـ ـ ٥٥٥ هـ
العاضد لدين الله	٥٤٦ هـ ـ ٥٦٧ هـ	٥٥٥ هـ ـ ٥٦٧ هـ

١ ـ المهدي أبو محمد عبيد الله.

٢ ـ القائم بأمر الله أبو القاسم محمد.

٣ ـ المنصور بنصر الله، أبو الطاهر إسماعيل.

٤ ـ المُعزّ لدين الله أبو تميم مَعَدّ.

٥ ـ العزيز بالله أبو المنصور نزار.

٦ ـ الحاكم بأمر الله أبو علي المنصور.

٧ ـ الظاهر لإعزاز دين الله أبو الحسن علي.

٨ ـ المستنصر بالله أبو تميم مَعَدّ.

٩ ـ المستعلي بالله أبو القاسم أحمد

١٠ ـ الآمر بأحكام الله أبو علي المنصور.

١١ ـ الحافظ لدين الله أبو الميمون عبد المجيد.

١٢ ـ الظافر بأمر الله أبو المنصور إسماعيل.

١٣ ـ الفائز بنصر الله أبو القاسم عيسى.

١٤ ـ العاضد لدين الله أبو محمد عبد الله.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

ملحق رقم ١

هل التقريب بين السنة والشيعة ممكن؟

بقلم د. عبدالله النجار[1]

قبل الخليفة عمر بن عبد العزيز، كان الخطباء يلعنون «الإمام علي» فوق المنابر.

لم يعد أمام المسلمين وقت للخلاف، بينما الوحوش تهيم بحثاً عن فريسة.

لم يعد الوقت كما كان في الماضي يتّسع لاستيعاب ركام الخلاف المذهبي أو اختلاف الرأي بين المسلمين، لأنهم كانوا بعيدين عن مرمى المخاطر، ولم تكن هاك كمائن تدّبر لهم بليل، لإذلالهم والإستيلاء على مقدّراتهم وخيرات بلادهم. وربما لم تكن مطالب الحياة وضغوطها المادية قد وصلت عند هؤلاء الذين يمثّلون اليوم مصدر الخطر الأول للإسلام إلى الذروة التي دفعتهم اليوم كي يهيموا

---

(١) مجلة روز اليوسف، مصر، القاهرة، رقم العدد ٣٩٢٠و تاريخ ٢٠٠٣/٧/٢٦، ص٨٠.

في الأرض على وجوههم مدجّجين بالأسلحة، كما تهيم الوحوش شارعة أنيابها في مناحي الغابة بحثاً عن فريسة.

لم يحظ خلاف مذهبي بالقسط الأوفر من الكره والعداء، كما وصل الخلافب بين السنة والشيعة، إلى حد أنّ كلّ فريق منهم كان يرمي الآخر بالكفر والمروق عن الملّةو وما يتبع ذلك من استحلال الدماء واستباحة الحرمات، حتى صار ذلك سنّة معروفة وسلوكاً لم تبدأ وطأته في الزوال إلاّ في عهد الخليفة الخامس عمر بن عبد العزيز» (رض). فقد كان الخطباء قبل ان يولى الخلافة يختمون خطبتهم بالدعاء على «الإمام علي» عليه السلام ، ويلعنونه على المنابر قبل ان ينزلوا عنها بلحظات ليصلّوا بالمسلمين صلاة الجمعة.

ولعن «الإمام علي» كان تجسيداً لعمق المأساة التي ولّدها الخلاف في الرأي بين السنّة والشيعة، لما «للإمام علي» عند الشيعة من مكانة تكاد ترقى عند بعض الغلاة منهم إلى درجة النبوّة. والمعتدلون منهم يشهدون في صلاتهم وعند كلّ أذان أنّ علياً وليّ الله.

ولما وليّ «عمر بن عبد العزيز» الخلافة، صعد المنبر وختم خطبته لما أصبح سنّة متّبعة عنه إلى يومنا هذا، وهو قراءة الآية الكريمةك **﴿إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، يعظكم لعلّكم تذكّرون﴾**. ثم نزل من على المنبر لإمامة المصلّين بعد الإنتهاء من قراءتها، فظنّ الحاضرون أنّه قد نسي المعهود، ولم يلعن «علياً» كما هو متّبع وصاحوا في وجهه: السنّة السُنّة يا امير المؤمنين. فتعجّب لأنهم لم

يفهموا دلالة الآية الكريمة التي تلاها على مسامعهم، وفيها ما يأمر بالعدل، وينهى عن الفحشاء والمنكر وأنهى بذلك تلك العادة الحمقاء. فبدأت تخفّ حدّة الخلاف، وأخذ أسلوب الخلاف المذهبي يتّشح بقدر من وقار التخاطب، وأدب التناول. ولكنّ الخلاف وإن كانت حدّة التعبير عنه قد خفت، إلاّ أنّه ظلّ قابعاً في أعماق النفوس على نحو يثير الشجن ويدعو إلى الحسرة، ويدعو العقلاء إلى إيجاد مخرج يضع اختلاف الرأي في مساره الصحيح. وكان أن وجدت فكرة التقريب بين المذاهب الإسلامية وأنشئت دار التقريب في القاهرة منذ العام ١٩٤٧، لتكون منطلقاً لتلك الفكرة وقاعدة لها، تجتمع فيها أصحاب المذاهب المختلفة، ويلتقي المسلمون من بلادهم المتفرقة منها على مائدة العلم والفكر حيث يجلس الحنفي بجانب المالكي والشافعي والحنبلي بجانب الإمامي والزيدي، يتحاورون ويتناقشون.

وفي هذا المجال، كتب شيخ الأزهر الأسبق الشيخ عبد المجيد سليم مقالاً بعنوان: «بيان للناس» قال فيه: «إن الأحكام نوعان: ثابتة وهذه يجب الإيمان بها، ولا يسوغ الاختلاف فيها، لأنّها لا تتغيّر بتغيّر الأزمنة والأمكنة. والثاني: أحكام اجتهادية مرتبطة بالمصالح التي تختلف باختلاف ظروفها، وهذه راجعة إلى الفهم والاستنباط، مما كان منها قطعي الثبوت والدلالة، ولا يجوز فيه الاختلاف. وما دون ذلك يسوغ فيه الاختلاف. وهذا الاختلاف غير مذموم في الإسلام، ما دام المختلفون مخلصين في بحثهم، باذلين وسعهم في تعرّف الحقّ واستبيانه، بل إنّه يؤدّي إلى كثير من مصالح الأمة، وقد كان اصحاب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلّم ـ وتابعوهم، والأئمة

عليهم رضوان الله يختلفون، ويدفع بعضهم حجّة بعض ويجادلون بالتي هي أحسن ويدعون إلى ربّهم بالحكمة والموعظة الحسنة.

وقال الشيخ محمود شلتوت: «إنّني لا أبيح لأحد تقليدي واتّباعي دون أن ينظر ويعلم من أين قلت ما قلت، فإذا استقام الدليل فهو عمدتي، والحديث إذا صح فهو مذهبي. لقد آمنت بفكرة التقريب كمنهج قويم».

وقد أصدر الشيخ محمود شلتوت فتوى بجواز التعبّد على مذهب الشيعة وهو شيخ للأزهر، وبفضله وَجَد الفقه الشيعي طريقه إلى القوانين المصرية، سيما الأحوال الشخصية والوصيّة الواجبة والإجازة، وإلى الأزهر الشريف وكليّاته، فاستقرّ في كلية الشريعة ليكون أحد المذاهب المقارنة التي لا يكتمل البحث إلا بها في مجال الرسائل العلمية التي تُعَدّ للحصول على درجتي الماجستير والدكتوراه.

ومن أقواله: «إنّ الحكمة ضالة المؤمنين فإذا وجدها الإنسان على لسان كافر، فإنّ كفره لا يمنع من الانتفاع بها، لأنّ الحقّ قائمٌ بذاته فما بالنا إذا كان الرأي صادراً عن مذهب من المذاهب الإسلامية التي تستمدّ أحكامها من مصادر التشريع الغرّاء.

رأي الدكتور عبد الله النجار بعلماء الشيعة:

قال كاتب المقال:

«إن علماء الشيعة يتمتّعون بعقلية منظّمة وحديثهم مرتّب ترتيباً منطقياً ولغتهم هادئة واسلوبهم راقٍ، وحجّتهم حاضرة، ولهم فهم

مُتَميّز وقدرة على الجدال والمناظرة. ولغتهم العربية فصيحة سليمة يصعب أن تقع لمتحدِّث على خطأ نحوي، كما أنّ لهم صبراً على الدراسات النصية القديمة التي تقوم على دراسة المتون والحواشي، حتى أصبح لهم باع عريض في ذلك. ولم يقتصر تناولهم للعلوم الإسلامية التقليدية على مأثورات الأئمة السابقين من كبار فقهائهم، بل أضافوا إليها دراساتهم التأصيلية، حتى أنّهم قطعوا شوطاً كبيراً في مجال الدراسة الأصولية المقارنة، التي تتناول مادة «أصول الفقه» بالمقارنة. وقد وصلنا نحن بالأزهر الشريف إلى الدراسات الفقهية المقارنة، أما الدراسات الأصولية المقارنة فلم نشرع فيها بعد. وإن كنّا أعجبنا كثيراً بنشاط الشيعة الفقهي والعلمي في هذا المجال، وحبذا لو طبّقناه في كلية الشريعة بجامعة الأزهر.

(وكل) هذا يدل على أن الخلاف بين المذهبين إنما هو خلاف صناعي ابتكره أعداء المسلمين للتفريق بينهم. وإذا كان للعداء الناجم عن الخلاف المذهبي، أو اختلاف الرأي مُتَّسَعٌ فيما مضى، فلم يعد له مُتَّسعٌ اليوم. وليس أمام المسلمين إلا خيار واحد، هو التعاون والتآلف والتآزر.

وباختصار شديد، الوحدة التي أمر الله بها في كتابه وسنّة نبيّه - صلى الله عليه وآله وسلم -، والتي أثبتت الأيّام أنّه لا حياة للمسلمين بدونها.

نسب المؤلف ونبذة عن حياته

أنا حسن بن محمد بن طالب بن علي بن جواد بن طالب بن عبد الله بن علي بن هاشم بن موسى بن صالح بن خليل بن جواد بن هاشم بن حسن بن علي بن محمد بن أحمد بن محمد بن مكي بن محمد بن عبد الله الثالث بن علي بن عبد الله الثاني بن علي المتحدث بن عبيد الله الأعرج بن الحسين الأصغر بن الإمام زين العابدين بن الإمام الحسين بن الإمام علي بن أبي طالب، عليهم السلام جميعاً.

وهذا النسب عمل على ملاحقته وجمعه والتأكّد منه، إبن عمنا العلامة السيد إبراهيم محمد السيد عبد الله صالح ـ أطال الله بعمره ـ وقد تكبد المشقات والصعاب، بين دارة العالم النسّابة، الشيخ إبراهيم سليمان، وبين مقام السيدة زينب عليها السلام، مقر إقامة إبن عمنا، ومن اتصلت أرومته بأرومتنا، العالم العلامة السيد علي مكي الحسيني الحبوشّي العاملي ـ جزاه الله خيراً ـ وبعد بحث وتدقيق وتمحيص، تمت غصون هذه الشجرة الزكية الضاربة عمقاً في التاريخ العاملي والإسلامي، والشامخة صعوداً في الكبر والكبرياء والتضحية والإباء، شجرة أهل بيت رسول الله، وعمقنا الوجداني في

التاريخين العربي والإسلامي.

ولدت سنة ١٩٤٣ في تبنين من والدين صالحين هما مريم بنت محمد الحاج قاسم حمود ومحمد ابن السيد طالب علي صالح. تلقيت علومي التمهيدية والسنة الأولى الإبتدائية في تبنين، ثم هاجرنا للسكن والإقامة في بيروت سنة ١٩٥٢، تابعت تحصيلي الابتدائي والمتوسط في مدرسة حوض الولاية، وكان يطلق عليها حينها اسم المدرسة العسكرية.

وتابعت دراسة الصفوف الثانوية في ثانوية رمل الظريف، وحصلت على البكالوريا القسم الثاني فرع الفلسفة سنة ١٩٦٤، والتحقت مدرّساً في مدرسة تبنين الرسمية في السنة نفسها، وانتقلت منها لى مدرسة عيناب الرسمية في قضاء عالية حيث بقيت فيها حتى سنة ١٩٦٨، وانتقلت منها إلى مدرسة بيصور الرسمية حتى سنة ١٩٧٠، حصلت خلالها على الإجازة التعليمية في اللغة العربية وآدابها.

وفي السنة نفسها انتقلت من مدرسة بيصور إلى مدرسة الزيدانية الرسمية للصبيان، وتابعت عملي فيها مدرساً حتى سنة ١٩٧٧ حيث استلمت إدارتها واستمريت في الإدارة حتى صيف ١٩٩١ حيث طلبت إحالتي على التقاعد بسبب تقديم ترشيحي للانتخابات النيابية عن مقعد بنت جبيل ولكي أتفرغ للعمل السياسي والأدبي وللتاليف والكتابة وجاء ذلك قبل سبعة عشر سنة من بلوغي السن القانونية. أكملت بعدها دراسة شهادتي الماجستير والدكتوراه وعدت إلى ممارسة مهنة التعليم مجدداً وإلقاء المحاضرات في كلية التربية ـ الجامعة اللبنانية ـ ولا أزال حتى كتابة هذه السطور.

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

الفهرست

الكتاب الخامس: الكتابة النثرية والخصائص الفنية للأدب المصري الشيعي الفاطمي

الباب الأول: الكتابة النثرية

الكتابة النثرية في أدب مصر الفاطمية ٧

الخطـابـة ٨

الكتابة النثرية في المحاضرات ١٠

المحاضرة السابعة والثلاثون للمؤيّد في الدين: عليّ (ع) مسيح هذه الامة ١١

معرفة صياغة البيانات والسجلات والمراسيم الصادرة عن مؤسسات الدولة أو الوزارة أو قصر الخلافة من شروط توظيف الكاتب ١٨

بيان صادر عن قصر الخلافة: حول مقتل الوزير برجوان ٢٠

مرسوم الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله بتكليف أبي القاسم أحمد بن علي الجرجرائي بالوزارة ٢٣

بيان صادر عن دائرة المناقصات في الوزارة المصرية (الأفضل) يحدد شروط العطاءات وضمان الأراضي العائدة للحكومة المصرية الفاطمية .. ٢٧

بيان إعادة فتح جامعة القاهرة ٣٠

مدح الخليفة الحاكم نثراً خطابياً ٣٥

وصف بـاز هـارب ٣٩
تعزيـة بمريـض ٤١
تهنئـة بانتصـار ٤١
تهنئة بإبلال من المرض ٤٢
ومن تهنئة بولد ٤٣
ومن تهنئته بمناسبة شهر رمضان نثراً وشعراً ٤٣
تهنئة بمولود أنثى للخليفة المستنصر ٤٦
الكتابة الفلسفية ٤٨
الترجمة الشخصية ٤٩
القاهرة المعزّية مطمح العلماء وسيطرة الفلسفة الشيعية المصرية
على العالم الإسلامي ٥٠
الطبيب المصري علي بن رضوان يعرّف عن نفسه بخط يده ٥٠
وصفـة طبيـة ٥٣
الكتابـة الفقهيـة ٥٤
كتابـة التاريـخ ٥٤
الكتابة عن نمط العيش أو الحضارة ٥٤
وصف الجواهر الخارجة من قصر الخليفة المستنصر ٥٥
قال الرشيد ابن الزبير ٥٥
وصف احتفالات عيد رأس السنة ٥٧
المسرح والكتابة المسرحية في خدمة التشيع المصري ٦١
التحسارية يمشون على الحبال ٦٧
باب اللوق: شارع خاص بالممثّلين والمسرحيين ٦٨
فن المقامة في مصر الفاطمية ٧٠
المقامة الجوذابية ٧١

ظافر الحداد يردّ على رسالة أبو الصلت الأندلسي المصري ٧٦
كتاب ابن أبي حصينة إلى المطران الداخل في الإسلام ٧٩
الكتابة النثرية الإخوانية الهزلية ٨١
رسالة جوابية نثرية بدون نقط مقفّاة تشبه القصيدة النثرية ٨٥
مدةً معلومةً، أو عِدّة محدودة، لَطاطاً لحكمه، ٨٥

الباب الثاني

المدارس والجامعات في مصر الفاطمية ٨٩
يعقوب بن كلّس ينشيء أول مدرسة رسمية في القاهرة ٩١
المحتسب يمنع ضرب الطلاب في المدارس ٩٤
الخليفة الحاكم ينشيء أول جامعة في العالم ٩٤
ميزانية جامعة القاهرة الفاطمية ٩٦
كليات جامعة القاهرة الفاطمية ٩٧
أسباب إقفال جامعة القاهرة الفاطمية (دار العلم) ٩٧
الدعاة الشيعة يلقون المحاضرات الفلسفية والدينية من منابر دار العلم .. ٩٨
مرسوم تعيين الطبيب ابن حسدية عميداً لكلية الطب في جامعة القاهرة .. ١٠٠
طريقة طبع الكتب ١٠١
الفاطميّون مظلومون حتى ولو تركوا التشيّع وعادوا إلى السنة والجماعة ١٠٢
إحدى عجائب الدنيا، مكتبة القاهرة الفاطمية ١٠٤
عمرو بن العاص يحرق مكتبة الإسكندرية ١٠٥
تفاخر الفاطميين باقتناء الكتب ١٠٦
الحاكم بأمر الله ينشيء مكتبة القاهرة العامة ١١٠
أجلاف الاتراك ينهبون المكتبة كي يصنعوا من جلودها نعالاً ١١١
كيف كانت تتم طباعة الكتب ١١٣
أفضل هدية للخلفاء الفاطميين: حمل خمسة عشر جملاً من طلاحي الورق ١١٤

المصريون على دين خلفائهم: مكتبة الأفضل بن بدر الجمالي
نصف مليون كتاب ودواة باثني عشر ألف دينار ١١٥
القاضي الفاضل علي بن عبد الرحيم البيساني يشجع على نهب مكتبة
القاهرة العامة ١١٦
الملك الكامل الأيوّبي يسترجع مسروقات القاضي الفاضل:
حمولة ١٨٠ جملاً ١١٧
وصف المقريزي للمكتبة الفاطمية الكبرى ١١٨
أهمية الفلك وعلم التنجيم في حياة الفاطميين ١٢٠
أقسام علم الفلك أيام الفاطميين ١٢٠
القسم الأول: أو علم الهيئة ١٢٠
القسم الثاني: وهو علم الزيج أو التقويم ١٢٠
القسم الثالث: ويطلق عليه اسم علم الأحكام ١٢١
عدد الكواكب التي كانت معروفة ١٢١
ربط أسماء الأسبوع بالنجوم السبعة السيارة ١٢١
سبب اتخاذ كل طائفة يوماً لها ١٢٢
أسماء الشهور في المشرق العربي وأسماؤها في مصر عند القبط ١٢٣
النسيء ١٢٤
الخليفة المعزّ لدين الله أول مشجع لعلم الفلك والتنجيم ١٢٥
الخليفة الحاكم وعلم الفلك ١٢٨
ابن يونس منجمّ الحاكم ١٣٠
استعمال علم الفلك والنجوم في الحياة اليومية: رمضان ٣٠ يوماً دائماً . ١٣١
الخليفة الآمر يلغي سنتي ٤٩٩ و٥٠٠ للهجرة من التاريخ ١٣٣
التنويم المغناطيسي ١٣٦
بعض الطلسمات التي ذكرها المؤرخون عند الفاطميين ١٣٧

الطبل الضرّاط ١٣٧
نسر الجامع الأزهر ١٣٧
المستشفيات والصيدليات ١٤٩
في مصر الفاطمية ١٤٩
أهم أطباء الدولة الفاطمية ١٤٩
النقزة تسبب الصرع ١٥٠
شروط الطبيب الناجح ١٥١
الطبيب المصري أفرائيم بن زفان يبيع كتبه لتاجر عراقي فيستردّها
الأفضل بثمنها ١٥٢
الطبيب ابن جميع يردّ الحياة لأحد الأموات ١٥٣
أطباء في جميع الاختصاصات ١٥٤
أهمية الطبيب في قصور الخلافة ١٥٦
أطباء بالمجان ١٥٧
عمل الطبيب يؤدي أحياناً إلى قتله ١٥٧
رواتب ومخصّصات الأطباء ١٥٧
أهم مستشفيات مصر الفاطمية واختلاف تخصّصاتها ١٥٨
من الذي يصرف على مستشفيات الدولة ١٦٠
الصيدليات والصيادلة ١٦١
وظائفُ خزانة الشراب في الدولة الفاطمية ١٦٢
الوزير اليازوري يشرب أدوية الحماية ١٦٣
دار الشراب صيدلية عمومية مجانية ١٦٤
طبلـة القولنـج ١٦٤
حجـر الاستسقـاء ١٦٥
فص الأنعاظ أو خاتم إثارة الشهوة الجنسية ١٦٦

الخصائص الفنية للأدب الشيعي المصري ١٦٨
اهتمام الفاطميين بالشعر والشعراء ١٧١
الشعب المصري ناقد ومتذوّق للشعر ١٧٢
رواتب الشعراء ١٧٤
إلقاء الحجز على رواتب عمارة اليمني ١٧٥
عمارة يطلب نقله من قصر الخليفة إلى قصر الضيافة على سبيل
التقاعد والإعفاء من الخدمة ونظم الشعر ١٧٧
تكريم عمارة، تكريم للأدب والشعر ١٧٨
آراء نقدية للشعراء المصريين في شعرهم وشعر غيرهم ١٧٩
فشل الأديب في التجارة ١٨٠
ابن قلاقس لا يجد من يشتري شعره بالماء والحطب ١٨١
رأي عمارة اليمني بالشعر الجيّد ١٨١
محاولات جديدة في أساليب النظم ١٨٢
محاولات للخروج عن القافية ١٨٤
شعر مزدوج القافية ١٨٦
بداية الزجل والشعر الشعبي ١٨٧
رأي النقاد المصريين المعاصرين بأدب مصر الفاطمية ١٨٨
ثبت بأسماء الشعراء المصريين ١٩٠
ثبت بأسماء المصادر الناجية من الحرق والتدمير ٢٠٠
ثبت بأسماء الدواوين الشعرية الناجية ٢٠١
الخاتمة ٢٠٣
الأدب والشعر في مصر بعد الفاطميين ٢٠٥
كيف أصبح الشعر والأدب في أواخر الدولة الأيوبية وبداية
دولة المماليك؟ ٢٠٨

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

موقف المؤرّخين من الدولة الفاطمية ٢١١
رأي المؤرّخين القدامى ٢١٢
رأي علي بن ظافر الأزدي ٢١٣
رأي أبي حامد الغزالي ٢١٤
رأي عبد القاهر البغدادي ٢١٥
رأي الشهرستاني ٢١٥
رأي الفارقي ٢١٦
رأي يحيى بن سعيد الأنطاكي ٢١٧
رأي أبو يعلى ابن القلانسي ٢١٨
العماد الأصفهاني يطلب إلغاء التأريخ بهجرة الرسول الكريم
ويفضّل عليها هجرة صلاح الدين الأيوبي إلى القدس ٢١٩
رأي ابن حزم الأندلسي ٢٢٠
رأي ابن أيبك الدواداري ٢٢١
رأي ابن أياس ٢٢٢
رأي ابن كثير ٢٢٣
رأي ابن العماد الحنبلي ٢٢٥
رأي ابن أبي الفضائل ٢٢٦
رأي ابن خلدون ٢٢٧
رأي ابن خلكان ٢٢٨
رأي السيوطي ٢٢٩
رأي كمال الدين بن العديم ٢٣٠
رأي بدر الدين العيني ٢٣٢
رأي الحافظ الذهبي ٢٣٣
رأي ابن الأثير ٢٣٣
رأي أبي المحاسن ابن تغري بردي ٢٣٤

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

رأي ابن أيبك الصفدي ٢٣٤
رأي النويري ٢٣٥
رأي المستشرق برنارد لويس ٢٣٦
رأي المؤرّخين المعاصرين ٢٣٨
رأي الجبرتي ٢٣٨
المؤرّخون على دين ملوكهم ٢٤٠
الدسّ على الفاطميين ٢٤٠
رأي محمد عبد الله عنان ٢٤١
رأي أيمن فؤاد السيد ٢٤٤
رأي حسن الأمين بالدولة الفاطمية ٢٤٤
ظلم المؤرّخين المعاصرين ٢٤٥
رأي رئيس جبهة علماء الأزهر ٢٤٦
قتل الشيعة ٢٤٨
نماذج حية عن قتل الشيعة الإسماعيلية ٢٤٩
أسماء العلماء المقتولين من قبل الفاطميين ٢٥٠
فتوى ابن تيمية بالإسماعيلية والدروز والشيعة الاثني عشرية؟ ٢٥١
هامش الحرية ٢٥٢
الفقهاء السنة يطردون الفقيه الشيعي من جامع الأزهر في
عهد الخليفة العزيز بالله ٢٥٣
آراء أخرى معاصرة ٢٥٤
نداء إلى المثقفين المصريين ٢٥٩
أصل الفاطميين ٢٦٠
اهتمام الفاطميين بفتح مصر ٢٦١
جوهر الصقلي وفتح مصر (٣٥٨ هـ ـ ٩٦٩ م) ٢٦١
بناء القاهرة والجامع الأزهر ٢٦١

القاهرة مركز الخلافة الفاطمية ٢٦٢
العزيز بالله (٣٦٥ ـ ٣٨٦ هـ = ٩٧٥ ـ ٩٩٦م) ٢٦٢
الحاكم بأمر الله (٣٨٦ ـ ٤١١ هـ = ٩٩٦ ـ ١٠٢٠م) ٢٦٢
المستنصر بالله (٤٢٧ ـ ٤٨٧ هـ = ١٠٣٥ ـ ١٠٩٤ م) ٢٦٢
نهاية الدولة الفاطمية ٢٦٣
حضارة مصر في عصر الخلفاء الفاطميين ٢٦٤
الحياة الاقتصادية ٢٦٥
الحياة الاجتماعية ٢٦٦
الأعياد والمواسم ٢٦٧
الحياة الثقافية والفكرية ٢٦٧
ما هو المطلوب؟ ٢٦٩
اين أصبح التشيع في مصر؟ ٢٧٢
ملحق بأسماء وكنية ومدة حياة وحكم الخلفاء الفاطميين ٢٧٣
ملحق رقم ١ ..... ٢٧٥
هل التقريب بين السنة والشيعة ممكن؟ ٢٧٥
بقلم د. عبدالله النجار ٢٧٥
رأي الدكتور عبد الله النجار بعلماء الشيعة ٢٧٨
نسب المؤلف ونبذة عن حياته ٢٨٠